

أَسْلُوبِيَّةُ التَّرَكِيدِ فِي شِعْرِ الشَّارِيفِ المَرْتَضَى



تقديم الأستاذ الدكتور
أحمد يوسف علي

تأليف الدكتور
سمير عوض الله رفاعي

Editions
Al-Adab
1923

42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

مَكْتَبَةُ الأَدَابِ

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة . ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

89

R

أَسْلُوبِيَّةُ النَّزْكِيَّةِ فِي شِعْرِ الشَّرِيفِ الْمَرْتَضَى

تأليف

دكتور

سمير عوض الله رفاعي

دكتوراه النقد الأدبي والبلاغة

كلية الآداب - جامعة بنها

تقديم

الأستاذ الدكتور

أحمد يوسف على

أستاذ النقد الأدبي والبلاغة

وكيل كلية الآداب

جامعة الزقازيق

مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ☎ : ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail:adabook@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

مكتبة الآداب

علي حسن

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

بطاقة فهرسة أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة

لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية

رفاعي ، سمير عوض الله.

أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى

تأليف سمير عوض الله رفاعي ، تقديم أحمد يوسف علي. -

ط ١. -

مكتبة الآداب، ٢٠١٠ . القاهرة

ص، ٢٤ سم

تدمك ٦ ٢٥٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الشعر العربي - تاريخ ونقد.

٨١١,٩

٢- الشريف المرتضى ، محمد بن الحسين بن موسى

أبو الحسن ، ٩٧٠ - ١٠١٥

أ - علي ، أحمد يوسف (مقدم)

ب- العنوان/

عنوان الكتاب: أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى

تأليف : سمير عوض الله رفاعي

تقديم : أحمد يوسف علي

رقم الإيداع : ٢٠٨٦٢/٢٠١٠

الترقيم الدولي : ٦ ٢٥٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨ I.S.B.N

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف: ٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)

e-mail: adabook@hotmail.com

الإهداء

- إلى أمى الغالية / فائزة على سعد..

تلك التى تحمّلت من أجلى الكثير

أهدى هذه الرسالة.

علي سبيل التقديم

لم يكن التراث الفكري أو البلاغي والنقدي أو الشعري في الحضارة العربية الإسلامية إلا رصيـداً حضارياً لتلاقي عدة شعوب وثقافات وعقائد وفنون انصهرت في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية. هذا التراث المتسع المتعدد المتنوع القائم علي مبدأي الوحدة والاختلاف هو مادة العلم، وقاعدة المعرفة بمعناها الأشمل. ولذلك توفرت عليه مناهج عديدة متباينة ومتكاملة منذ نهضة العلم الحديث في بلادنا إلي الآن. والتراث الشعري علي نحو خاص تراث قابل للتأويل العلمي اتباعاً لقواعد اللغة ومقتضيات الثقافة. وجدنا ذلك عندما تناول رواد الفكر والنقد الشعراء الكبار ابتداء من العصر الجاهلي ومروراً بما تلاه من عصور، تناولوهم لا بهدف تعريف الناس بهم، وإن كان هذا الهدف مطلوباً علي الدوام، بل بهدف تأصيل ما آمنوا به من فكر وما شغلهم من قضايا المنهج العلمي النقدي. فقدم طه حسين أبا العلاء المصري رمزاً للعقل ومنازة للوجدان، فكان أبو العلاء هو الشاعر وهو الفيلسوف الذي شغل الناس بما أثاره من قضايا علمية شائكة، وإزاحة السكون الجاثم علي مسلمات لم تعد قادرة علي مواجهة الشك والتساؤل.

ولم تكن قراءة طه حسين لأبي العلاء المصري هي القراءة اللافتة القائمة علي التأويل، فقد كان العقاد علي سبيل المثال باحثاً عن النماذج الفردية الفذة علي اختلاف مستوياتها ابتداء من نماذج الأنبياء مروراً بالقادة والزعماء وصولاً إلي شخصيات فذة من الشعراء وكان فضله لا ينكر عندما اكتشف الطوابع الفردية في إبداع ابن الرومي وأعاد بعثه إلي تاريخ الأدب، وإلي حياة الكبار من العظماء.

وعلي هذا النحو يأتي الشريف الرضي، وأخوه الشريف المرتضى الشاعران النقيبان البارزان في القرن الرابع الهجري بما يمثلان من قمة أدبية وفكرية، ورياسة مذهبية علوية جمعت حولهما قلوب المريدين، ومن رسم هذه المواقع الروحية

الأصلية كانت لوحات القصائد الشعرية الصافية التي أثارت في المتلقين عبر العصور تساؤلات وانطباعات عديدة. دفعت الدكتور سمير عوض الله رفاعي إلى الكشف عما تتميز به لغة الشعر عند الشريف المرتضى، فاتجه إلى الدرس الأسلوبى المعاصر مستعيناً به على تحليل هذه اللغة، متوقفاً عند إحدى رقائقه أعني مبحث التراكيب ليوضح أمارات التفرد والتميز على مستوى الجملة، وما يطرأ عليها من حذف أو توكيد أو تقديم أو تأخير أو على مستوى الروابط والأساليب.

والدراسة التي بين أيدينا دراسة علمية جادة اتخذت من المنهج العلمي المعاصر سبيلاً للوصول إلى غاياتها المحددة خلال ما طرحته من أسئلة، وما توصلت إليه من إجابات وجدية هذه الدراسة تعني جدية الباحث الذي توفر عليها وتحلى بالصبر والمثابرة، وحب الموضوع الذي يدرسه والتضحية في سبيله بوقته أو جهده أو ماله أو بكل ذلك. وهذا ما رأيته عليه عبر رحلة الطلب العلمي التي بدأت خطواتها الأولى بالدراسات العليا منذ عدة سنوات ومازلنا ننتظر منه المزيد في هذا المجال.

وبالله التوفيق، ،

الأستاذ الدكتور

أحمد يوسف علي

أستاذ النقد والبلاغة

ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا

جامعة الزقازيق

٢٠/٨/٢٠٠٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

المقدمة

الشَّريْفُ المُرتَضَى هو أبو القاسمِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَلَوِيُّ
المُوسَوِيُّ البَغْدَادِيُّ (٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م) (٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م)، مِنْ حُفَدَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ
عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَقَدْ نَشَأَ الْمُرتَضَى فِي أُسْرَةٍ شِيعِيَّةٍ تَمَتَّعَتْ بِمَنْزِلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ
وثقافيَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَذَلِكَ مِمَّا أَهَّلَهُ لِأَنْ يَكُونَ عَالِمًا وَشَاعِرًا وَأَدِيبًا^(١).

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

وَقَدْ عَرَفَ الْقُدَمَاءُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ لِلْمُرتَضَى مَنْزِلَتَهُ، فَأَشَادُوا بِذِكْرِهِ وَعُظُّوْا مَكَانَتَهُ
بَيْنَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَأَدِبَائِهِ، وَنَصَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَثَمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفَقْهِ
وَالْأَصُولِ وَالتَّفْسِيرِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَمِنْ أَمْزَجَ فِي عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّنْقِيدِ
وَالْأَدَبِ وَرَوَايَةِ الشُّعْرِ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ. وَذَكَرُوا الْعَدِيدَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ فِي هَذِهِ
الْمَجَالَاتِ كَمَا نَوَّهُوا بِدِيَوَانِ شِعْرِهِ وَضَخَامَتِهِ، وَإِجَادَتِهِ فِيهِ^(٢).

١- ينظر في ترجمة الشريْف المُرتَضَى :

١- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق: إحسان عباس - دار الثقافة
- بيروت - لبنان - ١٩٦٨ م - ج ٣ - ص ٣١٣.

٢- محمد بن الحسن الطوسي : الفهرست - تحقيق: محمد صادق بحر العلوم - المطبعة
الحيدرية - ١٩٦١ م - ص ١٢٥.

٢- ينظر: كمال الدين بن القوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب - تحقيق:
مصطفى جواد - المطبعة الهاشمية - دمشق - ١٩٦٢ م - ج ٤ - رقم (١) - ص ٦٠٠ وما=

وَقَدْ قَامَ بِتَحْقِيقِ هَذَا الدِّيَّوَانِ رَشِيدُ الصَّفَّارِ، وَقَدَّمَ لَهُ مُحَمَّدُ رِضَا الشَّيْبِيُّ،
وَرَاجَعَهُ الدُّكْتُورُ / مُصْطَفَى جَوَادَ، وَطُبِعَ بِدَارِ إِحْيَاءِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ
(عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ) سَنَةَ ١٩٥٨ م، وَصَدَرَ فِي ثَلَاثَةِ مَجْلَدَاتٍ .

وَالدِّيَّوَانُ الْمُحَقَّقُ^(١) يَشْتَمِلُ عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ وَتِسْعَمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ أَلْفِ
(١٣٩٣٦) بَيْتٍ، تَوَزَّعَتْ عَلَى قِصَائِدَ وَمَقْطُوعَاتٍ وَنُتْفٍ وَأَبْيَاتٍ مُفْرَدَةٍ (يَتِيمَةٍ)،
وَقَدْ بَلَغَ عَدْدُ الْقِصَائِدِ خَمْسَمِائَةٍ (٥٠٠) قَصِيدَةٍ، اشْتَمَلَتْ عَلَى سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَةَ
عَشَرَ أَلْفِ (١٣٠٤٧) بَيْتٍ، بَيْنَمَا بَلَغَ عَدْدُ الْمَقْطُوعَاتِ سَبْعَةً وَثَمَانِينَ وَمِائَةً (١٨٧)
مَقْطُوعَةٍ، اشْتَمَلَتْ عَلَى ثَمَانِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ (٨٨٠) بَيْتٍ، وَبَلَغَ عَدْدُ النُّتْفِ أَرْبَعًا وَارْبَعِينَ
عَشْرَةَ أَبْيَاتٍ، فِي حِينٍ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ مُفْرَدًا.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ فَإِنَّ مِنْ كُتُبِ تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْمَحْدَثِينَ -
مِنْ مِثْلِ الدُّكْتُورِ / شَوْقِي ضَيْفٍ، وَكَارِلْ بَرْوَكْلَمَانِ، وَعَلِي الْخَاقَانِي - لَمْ يَذْكُرُوا
الشَّارِيفَ الْمُرتَضَى فِي كُتُبِهِمْ، وَلَمْ يُشِيرُوا إِلَى دِيْوَانِ شِعْرِهِ^(٢)، كَمَا أَنَّنِي لَمْ أَجِدْ مِنْ
النُّقَادِ الْمَحْدَثِينَ إِلَّا نَاقِدًا وَاحِدًا - عَلَى حَدِّ عِلْمِي - قَدْ أَفْرَدَ دِيْوَانَ الْمُرتَضَى جَمِيعَهُ
بِالدَّرْسِ وَالتَّحْلِيلِ وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ دَرَسَهُ فِي سِيَاقِ دِرَاسَتِهِ لِنَتَاجِ الرَّجُلِ
الْعِلْمِيِّ وَالْأَدَبِيِّ وَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى دِرَاسَةِ غَرَضٍ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَهَذَا مِمَّا
دَفَعَنِي لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ رَغْبَةً مِنِّي فِي إِضَافَةِ شَيْءٍ جَدِيدٍ إِلَى مَا كُتِبَ عَنْ شِعْرِ
الْمُرتَضَى، وَرَغْبَةً مِنِّي - أَيْضًا - فِي الْوُقُوفِ عَلَى خِصَائِصِ التَّرَاكِيِبِ وَسِمَاتِهَا عِنْدَ

=بَعْدَهَا . وَجَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ : بَغْيَةُ الْوَعَاةِ فِي طَبَقَاتِ النُّحَاةِ - تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ
إِبْرَاهِيمَ - الْحَلَبِيُّ - الْقَاهِرَةُ - ١٩٦٥ م - ج ٢ - ص ١٦٢ .

١ - وَهَذِهِ النُّسخَةُ الْمُحَقَّقَةُ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدْتُ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ .

٢ - لَا تَنْهَمُ عَنْهُ - فِيمَا يَبْدُو - قَدْ انْشَغَلُوا بِأَعْلَامِ غَضَرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، مِنْ مِثْلِ : الْمُتَنَبِّي
(ت ٣٥٤ هـ) ، وَالشَّارِيفِ الرَّضِيِّ (ت ٤٠٦ هـ)

المُرْتَضَى الذى جَمَعَ بَيْنَ الشُّعْرِ والعِلْمِ، لأُبَيِّنَ أَسْرَارَهَا، وأَكْشِفَ عَنْ أبعادِ المعنى الشُّعْرِىِّ عِنْدَهُ، مُبَيِّنًا قُدْرَتَهُ عَلَى الانحرافِ عَنِ النُّظَامِ النُّحْوِيِّ، كاشِفًا عَنِ الارتباطِ الوثيقِ بَيْنَ حَرَكَةِ التَّرَاكيبِ والأفكارِ السَّائِدَةِ فِيهَا.

ثانيا: الدِّراساتُ السَّابِقَةُ :

وَمِنْ أَهمِّ الدِّراساتِ التى اِهْتَمَّتْ بِشعرِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى ما يلى :-

الدراسةُ الأولى بِعُنْوَانِ «أدبُ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى» لعبدِ الرازقِ محى الدين وهى رسالةُ دكتوراهٍ مخطوطةٌ بِكَلِيَّةِ الآدابِ بِجامعةِ القاهرةِ سنة ١٩٥٦ م. وَقَدْ اِهْتَمَّتْ فِيهَا صَاحِبُهَا بِإِعْطَاءِ صُورَةٍ عَنِ حَيَاةِ المُرْتَضَى وَعَنِ آثارِهِ ومُؤَلَّفَاتِهِ التى تَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ مُؤَلَّفًا فِي الفقهِ والكلامِ والأصولِ والتفسيرِ والنقدِ والأدبِ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَشْغُلْ دِرَاسَةُ الشُّعْرِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَّا جِزْءًا صَغِيرًا تَحْدِثُ فِيهِ عَنْ أَغْراضِ الشعرِ عِنْدَ المُرْتَضَى مُعَلِّقًا عَلَى بَعْضِ الأبياتِ التى أوردَها، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى ذَوْقِهِ وَطَبْعِهِ. وَقَدْ طُبِعَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ سَنَةَ (١٩٥٨ م) بِمَطْبَعَةِ المَعَارِفِ بِبَغْدَادَ.

أما الدِّراسةُ الثَّانِيَّةُ فَكَانَتْ بِعُنْوَانِ «الشَّرِيفُ المُرْتَضَى وأدبُهُ» لمحمدِ إبراهيمِ عبد الرحمن المطرودى، وهى رسالةُ دكتوراهٍ -أيضًا- مخطوطةٌ بِكَلِيَّةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِجامعةِ الأزهرِ سنة ١٩٧٨ م. وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ لَا تَخْتَلِفُ عَنِ الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ فِي شَيْءٍ، إِذْ قَدْ عَرَضَ صَاحِبُهَا لِشعرِ المُرْتَضَى فِي آخِرِهَا، ذَاكِرًا آراءَ القَدَمَاءِ فِي شَاعِرِيَّتِهِ، وَمُتَطَرِّقًا لِأَهَمِّ أَغْراضِهِ الشُّعْرِيَّةِ وَمُورِدًا نُصُوصًا شُعْرِيَّةً كَثِيرَةً مِنْ شعرِ المُرْتَضَى دُونَ أَنْ يُعَلِّقَ عَلَيْهَا.

والدِّراسَةُ الثَّالِثَةُ بِعُنْوَانِ «الغَزَلُ فِي شعرِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى»، دراسةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَفَنِيَّةٌ لمُنِيبِ عبد الرازقِ محمد، وهى رسالةٌ ماجستير مخطوطةٌ بِآدابِ القاهرةِ سنة ١٩٨٧ م. وَقَدْ رَأَى صَاحِبُهَا أَنَّ غَزَلَ الفُقهاءِ والعُلَماءِ -والمُرْتَضَى لَا شَكَّ مِنْهُمْ- غَزَلٌ حَقِيقِيٌّ وَلَيْسَ رَمْزًا أَوْ تَشْبِيحًا، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ مَضَى يُحَاوِلُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ -مُعْتَمِدًا عَلَى ذَوْقِهِ- أَنْ يُثَبِّتَ هَذَا الرَّأْيَ وَيَكْشِفَ -عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ هُوَ- عَنْ الْجَانِبِ

الآخر مِنْ شَخْصِيَّةِ الْمُرتَضَى أو الوجه الآخر غير المعروف مِنْ هذه الشَّخْصِيَّة. (1)

والدراسةُ الرابعةُ : «الصورة الأدبية في شعر الشريف المرتضى» لـ مشيرة محمد شديد إبراهيم، وهى رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر - القاهرة سنة ١٩٩٢ م.

والدراسةُ الخامسةُ : «الفن الشعري بين الشريفين الرضى والمرتضى : عرض وتحليل وموازنة» لـ محمد محمد موسى أبوجبل، وهى رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسىوط جامعة الأزهر.

والدراسةُ السادسةُ : «شعرُ الشريف المرتضى، دراسةٌ فنيَّةٌ» لـ عبد الحفيظ مصطفى عبد الهادى، وهى رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م. وهذه الدراسةُ مُتَّسِعةٌ لا عُمُقَ فيها ولا استقصاءً لقضاياها المدروسة إذ قد مهَّدَ الباحثُ لرسالته - كما فعلَ سابِقُوهُ - بدراسةٍ تاريخيةٍ عن الشاعر وعصره، وبدأ بدراسة شعر المرتضى دراسةً موضوعيَّةً موضِّحاً الأفكار والقضايا في فنون شعره، ثم انتقل إلى دراسة ظواهر البناء الفنِّى متمثلةً في التَّنَاصُّ والالتفاتِ والانتقالِ ثم تناولَ اللُّغةَ في شعر المرتضى، فتحدثَ عن الألفاظِ ومدى ملاءمتها للأغراض الشعرية ثم تحدثَ بإيجازٍ عن بعضِ ظواهر التركيبِ مُتَمَثِّلَةً في التقديم والحذفِ ثم انتقل إلى دراسة الصورة ثم الموسيقى.

وَقَدْ أغفلَ الباحثُ في دراستِهِ عمليةَ الإحصاءِ، ولم يستطعَ أن يكشفَ عن الدَّلالةِ في شعرِ المُرتَضَى ؛ إذ كان يَجْتَزِئُ البيتَ من سياقِهِ الذى وَرَدَ فيه وَيُفَتِّتُ النَّصَّ الشَّعْرِيَّ.

١ - ينظر : منيب عبد الرازق محمد : الغزل في شعر الشريف المرتضى ، دراسة موضوعية وفنية - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة - ١٩٨٧م - ص ٣ .

وَمِنْ الْمُلَاحِظِ عَلَى الدَّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ جَمِيعُهَا أَمْرَانِ، هُمَا :

١- أَنَّ أَصْحَابَهَا أَقْبَلُوا عَلَى دِرَاسَةِ شَعْرِ الْمُتَرَتِّبِ وَقَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ الْغَزَلَ فِي شَعْرِهِ غَزْلٌ حَقِيقِيٌّ، وَكَانَ حَقُّهُمْ أَنْ يُجَرِّدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْفِكْرِيِّ، وَأَنْ يُقْبِلُوا عَلَى دِرَاسَةِ شَعْرِ الْمُتَرَتِّبِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِيهِ رَأْيٌ مُسَبِّقٌ لِيَتَسَنَّى لَهُمُ الْوُقُوفُ عَلَى مَضَامِينِهِ وَأَفْكَارِهِ.

(١) وَأَتَتْهُمْ حِينَ حَاولُوا تَفْسِيرَ شَعْرِ الْمُتَرَتِّبِ قَامُوا بِقِرَاءَتِهِ قِرَاءَةً انْطِبَاعِيَّةً، وَالْقِرَاءَةُ الْانْطِبَاعِيَّةُ هِيَ «تِلْكَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي تَقْصِدُ إِلَى تَشْرِحِ الْأَبْيَاتِ وَشَرْحِ الْفَاضِلِهَا شَرْحًا لُغَوِيًّا خَالِصًا، وَتَقْنَعُ بِتَسْجِيلِ الْمَعَانِي الْمُبَاشِرَةِ لِلشَّعْرِ دُونَ الْاقْتِرَابِ مِنَ الرُّمُوزِ فِي لُغَةِ الْأَبْيَاتِ وَصُورِهَا وَمَضَامِينِهَا، وَهِيَ رَمُوزٌ حِينَ نَتَأَمَّلُهَا يُمْكِنُ أَنْ تُنِيرَ لَنَا طَرِيقَ الدُّخُولِ إِلَى عَوَالِمِ الْخَفِيَّةِ»^(١).

ثَالِثًا: الْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ فِي الدَّرَاسَةِ :

وَالْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ فِي هَذِهِ الدَّرَاسَةِ هُوَ الْمَنْهَجُ الْأَسْلُوبِيُّ الَّذِي يَنْطَلِقُ فِي دِرَاسَتِهِ مِنْ لُغَةِ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ الْمَدْرُوسِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِ كُتْلًا مُتَّسِكًا، كَمَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَسْلُوبِ بِوَضْفِهِ انْحِرَافًا عَمَّا تَقْتَضِيهِ الْمَعَايِيرُ الْمَقْرَرَةُ فِي النُّظَامِ اللَّغَوِيِّ^(٢).

١- إبراهيم عبد الرحمن محمد : الشعر الجاهلي ، قضاياها الفنية والموضوعية - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى - القاهرة - ٢٠٠٠م - ص ١٢٣.

٢- ينظر في التعريف بالمنهج الأسلوبى : صلاح فضل : علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته - دار الشروق - القاهرة - ط ١ - ١٥٨٨ - ص ٩٢ : ١٤٦ ، لطفى عبد البديع : التركيب اللغوى للأدب - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - ط ١ - ١٩٩٧م - ص ١٠٠ : ١١٠ ، أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨م - ص ١٣ : ٣٩.

وَقَدْ تَمَّ اخْتِيَارُ الْمَنْهَجِ الْأَسْلُوبِيِّ كِطَارِ نظريّ لهذه الدراسة ؛ لأنّ الظاهرة الشعرية لغويّة في جوهرها لا سبيل إلى التّأني إليها إلا من جهة اللّغة، إذ «يَتَشَكَّلُ الخطابُ النَّصِّيُّ مِنْ أُبْنِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يَقْتَضِي مِنْ آيَةٍ مُقَارِبَةٍ عِلْمِيَّةٍ لَهُ أَنْ تَتَأَسَّسَ عَلَى اللُّغَةِ، بِاعْتِبَارِهَا أَهَمُّ مُتَغَيِّرٍ مَنَاسِبٍ لِطَبِيعَتِهِ»⁽¹⁾.

وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى شِعْرِ الْمُرتَضَى كُلِّهِ بِاعْتِبَارِهِ نَصًّا شِعْرِيًّا وَاحِدًا يُفَسَّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ «لأنّ هذه النصوص - على اختلاف مصادرها - هي نتاج فكر واحد، وموقف معرفي واحد أمام الوجود والتاريخ ؛ لذا فإنّها - وإن ارتدّت أزياء مختلفة - تظلّ ذات أصلٍ جذريٍّ مُشتركٍ يردّها إلى وَحْدَتِهَا وَكُلِّيَّتِهَا»⁽²⁾، كما استعنتُ بالسياق الخارجيّ للنّصّ على فهم السياق الداخليّ له، شريطة أن «تَعكّسَ لغة النّصّ هذا السياق ويكون السياق أداة فاعلة في إضاءة النّصّ، وسرّ أغواره»⁽³⁾.

هذا، وإجراءات المنهج الأسلوبيّ تقوم على تصنيف السّمات التركيبيّة ثم وصفها وتحليلها مع رَدّها إلى أصلها المعياريّ، بهدف تفسير الدّلالة من وراء التركيز على تلك السّمات التركيبيّة دون غيرها وبيان دورها في سياق النّصّ موضع الدّراسة.

ومن الجدير بالإشارة أنّي قد استعنتُ بالإحصاء بُغْيَةَ الوصولِ إلى نتائج أكثر دقّة وانضباطًا.

على أنّي ينبغي أن أُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ «لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى بِالتفسير النهائيّ،

1- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٦م - ص ١٤.

2- أحمد يوسف على: قراءة النص، دراسة في الموروث النقدي - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٨م - ص ١٨.

3- جمال عبد المجيد: بلاغة النص، مدخل نظري، ودراسة تطبيقية - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩م - ص ٣١.

ويرتبط بقاء النص واستمراره بما يُقدِّمه من تفسيرات مُتعدِّدة، من خلال قراء
تختلف قدراتهم، فتختلف نتائجهم، ويحتفظ النص بجزء من كينونته في كل تفسير،
يمثل هو في ذاته جزءاً من واقعِهِ. (١)

رابعاً: خطة الدراسة:

وهذه الدراسة تتناول أبرز السمات التركيبية في شعر الشريف المرتضى مرتبة
ترتيباً تنازلياً حسب نسب ورؤدها في الديوان؛ ولذا فقد فصلتها على سبعة فصول،
تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة يليها ثبت بالمصادر والمراجع.

فأما المقدمة، فوجب عليّ فيها أن أعرض لأسباب اختيار الدراسة وأهميتها،
وللدراسات السابقة، ولمنهج الدراسة وخطتها.

وأما الفصل الأول: التقديم، فقد تناولت فيه بالدرس التقديم في شعر
المرتضى، ورأيت أنه يتوزع على ثلاثة أنواع، هي: تقديم شبه الجملة، والتقديم في
التركيب الإسنادي، وتقديم الفضلات والمكملات.

وأما الفصل الثاني: الإنشاء الطلبي، فقد تناولت فيه بالدرس والتحليل
صور الإنشاء الطلبي في شعر المرتضى، وهي خمس صور: الاستفهام، والأمر،
والنداء، والنهي، والتمني.

وأما الفصل الثالث: التركيب الشرطي، فقد اقتصرت فيه على دراسة
التركيب الشرطي المصدّر بالأدوات (إن، وإذا، ولو، ولما، ولولا، ومتى، وكلما،
ومن)؛ وذلك لكثرة ورود هذه الأدوات دون غيرها في شعر المرتضى.

وأما الفصل الرابع: الحذف، فقد تناولت فيه بالدرس حذف جزء الكلمة،

١- سعيد حسن بجري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات - الشركة المصرية العالمية للنشر

- لونغمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٧م - ص ١٦٥

وَالْحَذْفُ فِي الْحُرُوفِ، ثُمَّ الْحَذْفُ فِي التَّرْكِيبِ الْإِسْنَادِيِّ، وَالْحَذْفُ فِي التَّرْكِيبِ الشَّرْطِيِّ وَحَذْفَ الْفَضَلَاتِ وَالْمَكْمَلَاتِ، ثُمَّ حَذْفَ شِبْهِ الْجُمْلَةِ.

وَأَمَّا الْفَصْلُ الْخَامِسُ : الِاعْتِرَاضُ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيهِ بِالذَّرْسِ الِاعْتِرَاضَ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضِي وَمَوَاقِعَهُ الَّتِي بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَوْقِعًا، هِيَ : الِاعْتِرَاضُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ، وَبَيْنَ مَا أَصْلُهُ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَبَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَمُتَعَلِّقِهِ، وَبَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ الْقَوْلِ وَالْمَقُولِ، وَبَيْنَ خَبَرِ النَّاسِخِ وَاسْمِهِ، وَبَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ وَالْمُبْتَدَأِ، وَبَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، وَبَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ، وَبَيْنَ الصِّلَةِ وَالْمَوْصُولِ، وَبَيْنَ الْحَالِ وَصَاحِبِهَا.

وَأَمَّا الْفَصْلُ السَّادِسُ : الْقَصْرُ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيهِ بِالذَّرْسِ الْقَصْرَ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضِي وَطُرُقَهُ الَّتِي هِيَ - كَمَا ذَكَرَهَا الْبَلَاغِيُّونَ - أَرْبَعَةٌ، وَهِيَ الْقَصْرُ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ، وَبِـ «إِنَّمَا» وَبِالْعَطْفِ بِـ (لَا، وَبَلْ، وَلَكِنْ) وَبِالتَّقْدِيمِ.

وَأَمَّا الْفَصْلُ السَّابِعُ : الِالْتِفَاتُ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيهِ بِالذَّرْسِ أَبْرَزَ الْمَجَالَاتِ الَّتِي تَحَقَّقُ فِيهَا الِالْتِفَاتُ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضِي. وَهَذِهِ الْمَجَالَاتُ هِيَ : مَجَالُ الْعَدَدِ : وَتَمَثَّلُ فِي صُورِ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْمَفْرَدِ إِلَى الْجَمْعِ، وَمِنَ الْجَمْعِ إِلَى الْمَفْرَدِ، وَمِنَ الْجَمْعِ إِلَى الْمُثْنِيِّ، وَمِنَ الْمُثْنِيِّ إِلَى الْجَمْعِ. وَمَجَالُ الضَّمَائِرِ : وَتَمَثَّلُ فِي صُورِ الِالْتِفَاتِ مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْخِطَابِ، وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَى التَّكْلُمِ، وَمِنَ الْغِيَابِ إِلَى الْخِطَابِ، وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغِيَابِ، وَمِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغِيَابِ. وَمَجَالُ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ : وَتَمَثَّلُ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْمُؤَنَّثِ بِالْمَذْكَرِ، وَالِالْتِفَاتِ مِنَ الْإِنَاثِ إِلَى الذُّكُورِ، وَمِنَ الْإِنَاثِ إِلَى الذُّكُورِ، وَمِنَ الذُّكُورِ إِلَى الْإِنَاثِ.

وَأَمَّا الْخَاتِمَةُ : فَقَدْ أَوْضَحْتُ فِيهَا أَهَمَّ نَتَائِجِ الْبَحْثِ وَتَوْصِيَّاتِ الْبَاحِثِ.

وفى خِتَامِ الْمُقَدِّمَةِ أَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَبْلُغْ فى هذا البحثِ حَدَّ الكَمَالِ، وَلَمْ أُحَقِّقِ الغَايَةَ
والمُرَادَ، وَإِنَّمَا هِيَ مُحَاوَلَةٌ مِنِّي لِتَفْسِيرِ شِعْرِ المُرْتَضَى عن طريقِ أُبْنَيْتِهِ وتراكيبِهِ، بِجُهِدٍ
يَصْدُرُ عن اقتناعِ بَأَنَّ «الفنَّ أَعْظَمُ مِنْ مُفَسِّرِهِ وَلَيْسَتْ هُنَاكَ مَقُولَةٌ نَقْدِيَّةٌ فى أَىِّ أَثَرٍ
أَدَبِيٍّ تُعَدُّ كَامِلَةً، تُصَوِّرُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، أَوْ تَصْدَعُ بالقولِ الفَصْلِ فى أَمْرِ جَوْدَتِهِ أَوْ
عَدَمِهَا»⁽¹⁾، وَحَسْبِيَ أَنِّي قَدْ بَذَلْتُ الجُهِدَ الصَّادِقَ الوَفَى، رَاجِيًا أَنْ يَتَقَبَّلَهُ اللهُ - تَبَارَكَ
وَتَعَالَى - بِالرِّضَا والثَّوَابِ.

وعلى الله قَصْدُ السَّبِيلِ،

1 - ديفد ديتش : مناهج النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق - ترجمة : محمد يوسف نجم - دار
صادر - بيروت - (د . ت) - ص ٥٩٨ .

الفصل الأول

التقديم

تمهيد:

أودُّ في البداية أن أُشيرَ إلى أنه «حينَ نذكرُ التقديمَ فينبغي بَدَاهَةٌ أَنْ يُغْنِيَنَا ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ التَّأخِيرِ لَأَنَّا حِينَ نُقَدِّمُ الْخَبَرَ فَإِنَّا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ نُوْخِرُ الْمَبْتَدَأَ وَحِينَ نُقَدِّمُ الْمَفْعُولَ فَإِنَّا نَكُونُ قَدْ أَخَّرْنَا الْفَاعِلَ أَوْ الْفِعْلَ»^(١)

وَيُعَدُّ مَبْحَثُ التَّقْدِيمِ مِنْ أَكْثَرِ مَبَاحِثِ التَّرْكِيْبِ تَحْقِيقًا لِلانْحِرَافِ، فَهُوَ يَقَعُ فِي «بُورَةِ مَبَاحِثِ الْأَسْلُوبِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ التَّرْكِيْبِ وَيَكْتَسِبُ هَذَا الْمَبْحَثُ أَهْمِيَّةً خَاصَّةً مِنْ حَقِيقَةٍ أَنَّهُ يَخْضَعُ فِي كُلِّ لُغَةٍ لِلطَّائِعِ الْخَاصِّ بِهَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَرْتِيبِ الْأَجْزَاءِ دَاخِلِ الْجُمْلَةِ فِيهَا»^(٢)

وظَاهِرَةُ التَّقْدِيمِ تَكُنِيكَ لُغَوِيٌّ مُرْتَبِطٌ بِالشَّعْرِ مِنْذُ نَشَأَتِهِ وَيَحْفَلُ بِهِ الشَّعْرُ عَلَى مَدَى عَصَوْرِهِ إِذْ يُعَدُّ طِرَازًا أُسْلُوبِيًّا يُمْكِنُ تَتَبُعُهُ فِي نَتَاجِ كُلِّ شَاعِرٍ عَلَى حِدَةٍ، مِمَّا يُعَدُّ خَصِيصَةً أَسَاسِيَّةً فِي عَالَمِهِ الشُّعْرِيِّ^(٣) عَلَى أَنَّ دِرَاسَةَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ لَا تَعْنِي «التَّعَرُّفَ عَلَى التَّقَالِيْبِ الْمُمْكِنَةِ الَّتِي يَخْرُجُ فِيهَا الْكَلَامُ، بَلْ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى التَّعَرُّفِ عَلَى الْجُمْلَةِ ذَاتِهَا بِالاعْتِمَادِ عَلَى عُنَاصِرِهَا الْمَكُونَةِ، وَإِلَى خَصَائِصِ الْبَنِيَةِ فِيهَا، وَوُجُوهِ ارْتِبَاطِهَا

1- أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - طبعة ١٩٩٨م - ص ١٦٩ .

2- عبدالحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٨٠ - ص ٢١١ .

3- ينظر : مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث - منشأة المعارف - الإسكندرية - ١٩٨٧م - ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

ببقية أجزاء الكلام. . . وَدِرَاسَةُ مَظَاهِرِ تَرْتِيبِ الْعُنَاصِرِ فِي الْكَلَامِ، بِالِاقْتِصَارِ عَلَى
مَوَاطِنِ التَّغْيِيرِ لَهُ فَضْلُ الْكَشْفِ عَنْ مُخْتَلَفِ الْأَسَالِيبِ»^(١)

وتجدر الإشارة إلى أَنَّ ظَاهِرَ الإِعْرَابِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هِيَ الَّتِي قَدْ جَعَلَتْ الْمُبْدِعَ
قَادِرًا عَلَى أَنْ يُحَرِّكَ عُنَاصِرَ التَّرْكِيبِ مِنْ أَمَاكِينِهَا الْأَصْلِيَّةِ إِلَى أَمَاكِنَ بَدِيلَةٍ، كَمَا سَمَحَتْ
فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ بِتَعْدِيدِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَحْتُلَّهَا كُلُّ عُنْصَرٍ مِنْ هَذِهِ الْعُنَاصِرِ.

هَذَا، وَإِنْ أَيْ تَغْيِيرٌ فِي النِّظَامِ التَّرْكِيبِيِّ لِلْجُمْلَةِ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ - بِالضَّرُورَةِ - تَغْيِيرُ
الدَّلَالَةِ وَانْتِقَالُهَا مِنْ مَسْتَوًى إِلَى مَسْتَوًى آخَرَ ؛ «إِذْ إِنَّ هُنَاكَ تَرْتِيبًا مُعْتَادًا مُبْتَدَلًا،
يَطْرُقُ الذَّهْنُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَهَذَا التَّرْتِيبُ يُمْكِنُ مُخَالَفَتُهُ، وَلَكِنْ مَجْرَدَ الْمَخَالَفَةِ يَنْبِئُ عَنْ
غَرَضٍ مَا، ذَلِكَ الْغَرَضُ هُوَ إِبْرَازُ كَلِمَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ لِتَوْجِيهِ التَّفَاتِ السَّامِعِ إِلَيْهَا»^(٢)

وَإِذَنْ، فَالْإِنْحِرَافُ فِي تَرْتِيبِ عُنَاصِرِ التَّرْكِيبِ لَيْسَ «عَبَثًا فِي الْجُمْلَةِ، بَلْ هُوَ نَوْعٌ
مِنْ أَنْوَاعِ أَدَاءِ الْمَعْنَى»^(٣)، وَاللُّغَةُ الشُّعْرِيَّةُ تَمْتَازُ مِنَ اللُّغَةِ الْمَعْيَارِيَّةِ بِتَرَاكِبِهَا
الْمَخْصُوصَةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّا «لَوْ كُنَّا نَعْنِي بِاللُّغَةِ مُجَرَّدَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ لَمْ تَكُنْ
هُنَاكَ لُغَةٌ شُعْرِيَّةٌ خَاصَّةٌ، أَمَا لَوْ كُنَّا نَعْنِي بِاللُّغَةِ الشُّعْرِيَّةِ تَرَاكِبَ مُكَوَّنَةً مِنْ كَلِمَاتٍ
وَمَصْنُوعَةٍ بِأَنْسَاقٍ مُعَيَّنَةٍ فَلَا شَكَّ إِذَنْ مِنْ وَجُودِ لُغَةٍ شُعْرِيَّةٍ لَا تَتَمَيَّزُ عَمَّا سِوَاهَا
بِمُضْمُونِهَا وَإِنَّمَا بِنِسْبَتِهَا»^(٤) أَيْ إِنَّ اللُّغَةَ الشُّعْرِيَّةَ «لَيْسَتْ نَوْعًا مِنَ اللُّغَةِ الْمَعْيَارِيَّةِ وَإِنْ كَانَ
هَذَا لَا يَعْنِي إِنْكَارَ الْإِرْتِبَاطِ الْوَثِيقِ بَيْنَهُمَا، الَّذِي يَتِمَثَّلُ فِي حَقِيقَةِ أَنَّ اللُّغَةَ الْمَعْيَارِيَّةَ هِيَ

١- محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات - المجلس الأعلى للثقافة -
١٩٩٦م - ص ٢٨٣.

٢- فندريس : اللغة - ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - الناشر : مكتبة الأنجلو
المصرية - القاهرة - ١٩٥٠م - ص ١٨٨ .

٣- محمود ياقوت : قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين - دار المعارف - ١٩٨٥م - ص ١٥ .

٤- صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي - دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثانية -
١٩٩٨م - ص ٢٣٤.

الخَلْفِيَّةُ التي ينعكس عليها التَّحْرِيفُ الجَمَالِيُّ الْمُتَعَمِّدُ للمكونات اللُّغَوِيَّةِ للعمل، أو -
بعبارة أخرى - الانتهاكُ الْمُتَعَمِّدُ لقانونِ اللُّغَةِ المِيعَارِيَّةِ»^(١)

وَقَدْ تَنَبَّهَ الْقُدَمَاءُ لهذه الظاهرة، فسيبويه يشير إلى ما لها من أثرٍ دَلَالِيٍّ عند حديثه عَنِ
الفاعلِ الذي يتعداهُ فِعْلُهُ إلى مفعوله، حيثُ يكون التقديمُ لما يكونُ بيانهُ أهمَّ وأولى^(٢).

أَمَّا عَبْدُ الْقَاهِرِ الجُرْجَانِيُّ فيقررُ أهميةَ التقديمِ، وَيُنَبِّهُ إلى فوائده ولطائفه،
ويكشفُ عَنِ قيمته في أداءِ المعاني، فيقولُ : «هو بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جَمُّ المحاسنِ،
واسعُ التَّصَرُّفِ، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يَفْتَرُّ لَكَ عَن بديعةٍ، وَيُفْضِي بِكَ إلى لطيفةٍ، ولا
تزالُ ترى شعراً يَرُوقُكَ مَسْمَعُهُ، وَيَلْطَفُ لَدَيْكَ مَوْقِعُهُ، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ
رَأَيْتَكَ وَلَطَفَ عِنْدَكَ، أَنْ قُدِّمَ فِيهِ شَيْءٌ، وَحَوَّلَ اللَّفْظُ عَنِ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ»^(٣).

التَّقْدِيمُ فِي دِيْوَانِ الشَّرِيفِ الْمُرتَضَى :

والتقديمُ هو أكثرُ السَّمَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ انتشاراً في شعرِ الشَّريفِ الْمُرتَضَى ؛ فقد وَرَدَ
في ثلاثة وثلاثين وخمسمائة وستة آلاف (٦٥٨٣) مَوْضِعٍ، في سياقاتٍ مختلفةٍ عَلَى نَحْوِ لِه
دَلَالَتِهِ. أي بنسبةٍ مئويةٍ تبلغُ (٤٧٪) تقريباً من عددِ أبياتِ الدِّيوانِ.
وَقَدْ تَنَوَّعَتْ هذه السُّمَّةُ التَّرْكِيْبِيَّةُ إلى أنواعٍ كثيرةٍ أَمَكْنَ تَقْسِيمُهَا عَلَى ثلاثة
أقسامٍ، هي :

-
- ١- يان موكاروفسكى : اللغة المعيارية واللغة الشعرية - تقديم وترجمة : ألفت كمال الروبى -
مقال بمجلة فصول - المجلد الخامس - العدد الأول - ١٩٨٤م - ص ٤٢.
 - ٢- ينظر سيبويه: الكتاب - تحقيق : عبد السلام هارون - دار القلم - القاهرة - ج ١ -
١٩٦٦م - ص ٣٤.
 - ٣- ينظر سيبويه: الكتاب - تحقيق : عبد السلام هارون - دار القلم - القاهرة - ج ١ -
١٩٦٦م - ص ٣٤.

أولاً: تقديم شبه الجملة.

ثانياً: التقديم في التركيب الإسنادي.

ثالثاً: تقديم الفضلات والمكملات.

وَسَأَلِقَى الضَّوءَ - فيما يلي - عَلَى مَجَالَاتِ التَّوْظِيفِ الدَّلَالِيِّ لِكُلِّ قِسْمٍ مِنَ الْأَقْسَامِ السَّابِقَةِ، وَمَا يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ مِنْ أَنْوَاعٍ.

ومن الجدير بالإشارة في هذا السياق أَنَّ رَضِي لظاهرة التقديم عند الشريف المرتضى لَنْ يَكُونَ رَضًا شَكْلِيًّا فَحَسْبُ بَلْ سَيَكُونُ رَضًا مَعْنِيًّا - أَيْضًا - بِالدَّلَالَةِ النَّاتِجَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْكَالِ التَّرَكِيبِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا، كَمَا أَنَّي لَنْ أُنْشِغَلَ إِلَّا بِالتَّرَاكِيِبِ الْجَائِزَةِ نَحْوِيًّا؛ لِأَنَّ مَا أَوْجَبَتْهُ الْقَاعِدَةُ لَا يُعَدُّ انْجِرَافًا، وَيَفْقِدُ بِذَلِكَ قُدْرَتَهُ التَّأْثِيرِيَّةَ، وَلَنْ أَتَوَسَّعَ فِي عَرْضِ الْأَمْثَلَةِ، وَلَكِنِّي سَأَكْتَفِي بِبَعْضِهَا وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى مَا وَرَاءَهَا.

أولاً: تقديم شبه الجملة :

وَشِبْهُ الْجُمْلَةِ مُصْطَلَحٌ «يُرَادُّ بِهِ الظَرْفُ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ»^(١). وَثَمَّةُ ارْتِبَاطٍ مَعْنَوِيٍّ لِشِبْهِ الْجُمْلَةِ بِالْحَدِثِ، وَتَمَسِّكُهَا بِهِ، كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهُ، لَا يَظْهَرُ مَعْنَاهَا إِلَّا بِهِ، وَلَا يَكْتَمِلُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالتَّعْلُقِ^(٢) وَمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ شِبْهُ الْجُمْلَةِ مِنْ فِعْلٍ وَنَحْوِهِ هُوَ عَامِلُهَا الَّذِي يَعْمَلُ فِيهَا النِّصَبُ ظَاهِرًا أَوْ تَقْدِيرًا، وَلِذَا «نَجِدُ أَنَّ رُتْبَتَهُ

1 - محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحور والـ صرف والمعروض والتقديم -

الآداب - القاهرة - الطبعة الثانية - ٢٠٠١ م - ص ١٤٤

2 - ينظر: فخر الدين قباوة: إعراب الجمل وأشباه الجمل - دار الآفاق الجديدة - بيروت

الطبعة الثالثة ١٩٨١ م - ص ٢٦١ .

التأخيرُ عَنْ عَامِلِهِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي رُتْبَتِهِ»^(١).

وَقَدْ جَاءَ تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ عَلَى عَامِلِهَا فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى فِي الْمُرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْ بَيْنِ
أَنْوَاعِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ عِنْدَهُ، حَيْثُ قُدِّمَتْ فِي وَاحِدٍ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةً وَخَمْسَةِ آلَافٍ
(٥٨٢١) مَوْضِعٍ، أَيْ بِنِسْبَةِ (٨٨٪) مِنْ تَقْدِيمِ الْأَنْوَاعِ الْأُخْرَى، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ هَذِهِ
السَّمَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ عَلَى نَوْعَيْنِ، هُمَا:

النوعُ الأولُ : تَقْدِيمٌ تَتَوَسَّطُ فِيهِ شِبْهُ الْجُمْلَةِ التَّرَكِيبِ :

النوعُ الآخرُ : تَقْدِيمٌ تَتَصَدَّرُ فِيهِ شِبْهُ الْجُمْلَةِ التَّرَكِيبِ

النوعُ الأولُ : تَقْدِيمٌ تَتَوَسَّطُ فِيهِ شِبْهُ الْجُمْلَةِ التَّرَكِيبِ :

وَقَدْ وَرَدَ تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ بِحَيْثُ تَتَوَسَّطُ فِيهِ التَّرَكِيبُ فِي وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَةِ
آلَافٍ (٥٠٨١) مَوْضِعٍ، تَوَزَّعَتْ عَلَى أَحَدَ عَشَرَ نَوْعًا، وَهِيَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي مُرْتَبَةً
تَرْتِيبًا تَنَازُلِيًّا حَسَبَ نِسْبَةِ وُرُودِ كُلِّ مِنْهَا :

١ - تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ.

وَاحْتَلَّتْ الْمُرْتَبَةُ الْأُولَى مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَتَوَسَّطُ التَّرَكِيبُ حَيْثُ
بَلَغَ تَقْدِيمُهُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَرْبَعَمِائَةً وَأَلْفَ (١٤٧٢) مَرَّةً.

وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُرْتَضَى فِي التَّشْوِيقِ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ :^(٢)

وَهَمُومٌ صَدْرُ كُلِّهَا دَافَعْتُهَا أَلَتْ - طِوَالَ الدَّهْرِ - لَا

١ - سوزان محمد فؤاد فهمي : شبه الجملة ، دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم

- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م - ص ٣٧ .

٢ - الديوان : ١ / ١٨٤ (من الكامل)

لا أستطيع لها الشكاية خيفةً والهمُّ لا يُشكى لقلبك أجرحُ
وقد ورد البيتان السابقان في سياق حديث المرتضى إلى صاحبيه دأماً لهما الزمان
وهومته.

ويبدو لي أن السبب في هذه الهموم هو انتزاع الخلافة من العلويين وهم أحقُّ بها
من غيرهم، بدليل أنه وصف هذه الهموم بأنها لا تفارقه، وستبقى - أبداً الدهر -
تلازمه، وأنها هموم لا يستطيع أن يفصح عنها خيفةً أي اتقاء لبطش ذوي السلطة،
وبدليل ورود كلمة (الهموم) في نصوص شعرية أخرى للمرتضى تحمل هذا المعنى،
من مثل قوله: ^(١)

إنَّ يومَ الطفوفِ رنَّحنى حُرُ نأ عليكم وما شربت عُقاراً
وإذا ما ذكرت منه الذى ما كنت أنساه ضيق الأقطاراً
ورمى بى على الهموم وألقى حيداً عن تنعمى وأزواراً

فمن الواضح في هذا السياق أن كلمة (الهموم) في البيت الثالث سببها ما نزل
بآل البيت من قتل وتشريد وسلب للخلافة منهم وهم أحقُّ بها من غيرهم.
وقد قدّم المرتضى الجارّ والمجور «ها» المتعلقين بالفعل «أستطيع» - بما يحمّلان
من ضمير يعود على الهموم - على المفعول به «الشكاية» الذى هو أولى بالتقديم،
فقال: «لا أستطيع لها الشكاية خيفةً»، لينبه على أن هذه الهموم التى سببها ما نزل
بآل البيت من قتل وسلب للخلافة منهم، وهم أحقُّ بها من غيرهم هى التى تشغله
وتورقه وتأخذ عليه فكره.

ومن هذا النوع قول المرتضى من قصيدة في الشيب ^(٢)
صدّ عنى كارهها قر بى وإن كان حبيبا

١- الديوان: ٥٤ / ٢ (من الخفيف)، وينظر ص ٢٠ : ٢١، ص ١٣٥ : ١٣٦ .

٢- الديوان: ٧٣ / ١ (من مجزوء الرمل)

ورأى في الفاحم الجعد —————
 كـشهاب غابت الشُّهُ —————
 أو كنار تحمُّد النـا —————
 رؤي زداد لهيبا —————

والمرتضى في الأبيات السابقة يتحدث عن شيبه، ويكشف عن أنه كان سبباً في
 صدود محبوبه عنه، فقد نفر منه عندما رأى رأسه قد اشتعل شيباً كالنار التي لا تحمُّد
 ولا تهدأ، وعد ذلك عيباً فيه، وما هو بعيب !

لم تجد ذنباً ولكن أننت لفقئت ذنوباً^(١)

وقد انحرف المرتضى عن النظام النحوي في البيت الثاني من هذه المقطوعة، فقال:
 «ورأى في الفاحم الجعد من الرأس مشيباً» بتقديم شبهة الجملة «في الفاحم الجعد»
 و «من الرأس» المتعلقين بالفعل «أرى» على المفعول به «مشيباً» الذي هو أولى
 بالتقديم ؛ وذلك ليؤكد بشبه الجملة الأولى أن شعره ما زال فأحماً جعداً أي شديد
 السواد ملتوياً، وإنما هي بعض شعرات بيض قد بدت به.

فعينُ المحبوب - إذن - هي عينُ مَنْ يريدُ أن يُلْفَقَ عيوباً وذنوباً، عينُ ترى
 القليل من الشيب كثيراً، تراه كالنار المشتعلة التي لا تحمُّد ولا تهدأ ؛ ولذا فقد نكّر
 كلمة «شيباً» للتكثير. ثم هو قد قدّم شبه الجملة الثانية «من الرأس» ليحدد به مكان
 الرؤية وهو شعر الرأس لا غيره.

ويبدو لي أن التركيب الإبداعى «ورأى في الفاحم الجعد من الرأس مشيباً»
 يكشف عن أن هذا المحبوب ما هو إلا رمز للخلافة الإسلامية المسلموبة من
 العلويين، فالمحبوب / الخلافة ترفض الشيب / الضعف، وإن كان قليلاً / بسيطاً،
 وتُعدّه كثيراً ؛ لأن الشيب / الضعف هو السبب في ضياعها، ولأنها لن تُسترد إلا

بالشَّبَابِ / القوة.

وَيُؤَكِّدُ هَذِهِ الدَّلَالَةَ الرَّمْزِيَّةَ ثَلَاثَةً أُمُورًا، هِيَ : الأولُ مَا قَالَهُ الْمُرْتَضَى فِي قِصَائِدِ
أُخْرَيَاتٍ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ :^(١)

غَرَامِي بِغَيْرِ ذَوَاتِ الْخُدُودِ وَوَجَدِي بِغَيْرِ وَصَالِ الْغَوَانِي
وَلِي شُغْلٌ عَنْ هَوَى الْغَانِيَاتِ وَمَا الْحَبُّ إِلَّا فِرَاقُ الْجَنَانِ

وَمِثْلَ قَوْلِهِ :^(٢)

فَلِي كِبِدٌ تَصْلَى بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ وَلِي جَسَدٌ يَبْلَى بِغَيْرِ كَعَابٍ

الثاني: أن مفهوم الشعر ومهته - عند المرتضي - هي الدفاعُ عَنْ آلِ الْبَيْتِ

وَمِنْ صَارَتِهِمْ.^(٣)

الثالث : كما يُؤَكِّدُ الْمُرْتَضَى نَفْسَهُ رَمْزِيَّةَ اللَّغَةِ بِقَوْلِهِ : «إِنَّ الشَّاعِرَ لَا يَجِبُ أَنْ
يُؤَخِّدَ عَلَيْهِ فِي كَلَامِهِ التَّحْقِيقُ وَالتَّحْدِيدُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَتَى أُعْتُبِرَ فِي الشَّعْرِ بَطُلٌ جَمِيعُهُ،
وَكَلَامُ الْقَوْمِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّجَوُّزِ وَالتَّوَسُّعِ وَالْإِشَارَةِ الْخَفِيَّةِ، وَالْإِيْمَاءِ عَلَى الْمَعَانِي تَارَةً مِنْ
بُعْدٍ وَأُخْرَى مِنْ قُرْبٍ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُخَاطَبُوا بِشُعْرِهِمْ الْفَلَاسِفَةَ وَأَصْحَابَ الْمُنَظِقِ، وَإِنَّمَا
خَاطَبُوا مَنْ يَعْرِفُ أَوْضَاعَهُمْ، وَيَفْهَمُ أَغْرَاضَهُمْ ». ^(٤)

٢- تقديم شبه الجملة عَلَى الْفَاعِلِ :

وَاحْتِلَّ الْمَرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ حَيْثُ قُدِّمَ سِتًّا وَثَلَاثِينَ أَرْبَعِمِائَةً وَأَلْفَ (١٤٣٦) مَرَّةً.

١- الديوان : ٣ / ٣٣٨ (من المقارب) ، وينظر ص ٢٨ من هذا البحث .

٢- الديوان : ١ / ٧٩ (من الطويل) ، وينظر ص ٢٩ من هذا البحث .

٣- ينظر : هذا البحث ص ٧١ .

٤- الشريف المرتضي : الأمل - تحقيق : أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - بيروت -

لبنان - ١٩٩٨ م - ٩٥ / ٢ .

وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُرْتَضَى (١) فِي الْغَدِيرِ: (٢)

وَإِنِّي لَا زُجُوَّ أَنْ أَعِيشَ إِلَى الَّتِي تَحْدُثُنَا عَنْهَا الظُّنُونُ الصَّوَابُ
وَقَدْ كُنِيَ الْمُرْتَضَى بِقَوْلِهِ: «الَّتِي تَحْدُثُنَا عَنْهَا الظُّنُونُ الصَّوَابُ» عَنْ «المهدي
المنتظر»؛ لِأَنَّ الشَّيْعَةَ الْإِمَامِيَّةَ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيَّ لَمْ يَمُتْ
وَأَنَّهُ غُيِّبَ سَنَةَ ٣٢٩ هـ عَنْ الْأَنْظَارِ وَسَيُظْهِرُ يَوْمًا لِيَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ أَنْ مُلِثَتْ
ظُلُمًا. (٣) وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَسْلُوبَ الْكِنَايَةِ هُوَ «الْأَدَاةُ الْفَنِيَّةُ الْمُسْتَسَاعَاةُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعْنَى،
وَذَلِكَ حِينَ يَكُونُ التَّعْبِيرُ الصَّرِيحُ الْمُبَاشَرُ كَاشِفًا لِمَا يَنْبَغِي سِتْرُهُ أَوْ مُجَافِيًا لِلذَّوْقِ
وَالْخُلُقِ». (٤)

فَالشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ - إِذَنْ - يَتَمَنَّى أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ الْعُمْرُ إِلَى زَمَنِ الْمَهْدِيِّ،
وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ «عَنْهَا» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِالْفِعْلِ «تُحْدِثُ» مِنْ قَوْلِهِ «تَحْدُثُنَا»
عَلَى الْفَاعِلِ «الظُّنُونُ الصَّوَابُ» الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ لِيَقْصَرَ حَدِيثُ الظُّنُونِ
الصَّوَابِ عَلَى ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ دُونَ سِوَاهُ، وَمِنْ ثَمَّ لِيَقْصَرَ أُمْنِيَّتُهُ فِي أَنْ يَعِيشَ إِلَى زَمَنِ
ظُهُورِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَزْمَانِ.

١- الديوان : ٣٧ / ١ (من الطويل).

٢- الغدير هو وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ يُسَمَّى «غَدِيرُ خُمٍّ». وَالشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الرَّسُولَ
ﷺ نَصَّ عَلَى خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذَا الْمَوْقِعِ عِنْدَ رَجُوعِهِ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ
عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَامِ الْعَاشِرِ لِلْهِجْرَةِ. وَهُمْ يَحْتَفِلُونَ بِهَذَا الْيَوْمِ كُلِّ عَامٍ؛ وَيَنْظُمُونَ
فِيهِ الْأَشْعَارَ لَا يَوْضِفُهُ مَكَانًا جُغْرَافِيًّا، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ قَدْ غَدَا - عِنْدَهُمْ - رَمْزًا لِأَحْقِيَةِ الْعُلُويِّينَ فِي
الْخِلَافَةِ.

٣- ينظر: موسى الموسى: الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع - مطابع الزهراء
للإعلام العربي - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٨٩م - ص ٦١.

٤- شفيع السيد: التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية - دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة
الثالثة - ١٩٨٨م - ص ١٢٠.

٣- تقديم شبه الجملة على خبر الناسخ:

واحتلَّ تقديمُ شبه الجملةِ على خيرِ الناسخِ المرتبةَ الثالثةَ، حيثُ قُدِّمَ ثلاثًا وستمئةَ مرَّةٍ.

ومنه قولُ المرتضى من قصيدة يشكرُ فيها الوزيرَ أبا سعدٍ بنَ عبد الرحيمِ على مِنِّهِ العظيمةِ عليه: ^(١)

ولكنَّ التَّقِيَّةَ لم تَزَلْ بِى تَقُوْدُ إِلَى فَعَالٍ أَوْ كَلَامٍ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ تَضَرُّرِهِ مِنْ مَدِيحِ قَوْمٍ لُثَامٍ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْمَدِيحَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ بِيَدِهِ لَا بَتَعَدَ عَنْ أَوْلَئِكَ اللَّثَامِ وَأَقَامَ فِي دَارِ الْكِرَامِ، وَلَكِنهَا التَّقِيَّةُ الَّتِي قَادَتْهُ وَلَا تَفْتَأُ تَقُوْدُهُ إِلَى أَفْعَالٍ وَأَقْوَالٍ لَا يَرْضَى عَنْهَا.

فَالْمُرْتَضَى - إِذَنْ - بَعْدَ أَنْ يَنْتَهَى مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ بُغْضِهِ لِمَا يَفْعَلُ أَوْ يَقُولُ يَسْتَدْرِكُ بـ «لكن» ليزيلَ من ذهنِ المتلقى ما قد يتوهمُه من أَنَّ الْمُرْتَضَى رَاضٍ عَمَّا يَفْعَلُ وَسَعِيدٌ، وَكَأَنَّهُ يَجِيبُ عَنْ سَوَالٍ تَوَقَّعُهُ مِمَّنْ يَسْمَعُهُ. وَمَا غَضَبَكَ عَلَى هَذَا؟ ثُمَّ يَنْحَرِفُ الْمُرْتَضَى عَنْ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَيَقْدِّمُ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ «بى» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِالْفِعْلِ «تقود» عَلَى خَيْرٍ لَمْ تَزَلْ «تقودُ إلى فعالٍ» لِيُؤَكِّدَ تَمَكُّنَ التَّقِيَّةِ مِنْ نَفْسِهِ وَزِمَامِ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ مُقَادٌّ - لَا مُحَالَةٌ - بِهَا.

وَإِذَنْ، فَقَدْ كَشَفَ التَّرَكِيبُ الْإِبْدَاعِيَّ «ولكنَّ التَّقِيَّةَ لم تَزَلْ بِى تقودُ» عَنْ مَبْدِئِ مُهِمٍّ مِنْ مَبَادِي الشُّعْبَةِ. وَهُوَ مَبْدَأُ التَّقِيَّةِ، «والتقية كتمانُ الاعتقادِ عندَ الضرورةِ، والتظاهرُ بمذهبٍ يَرْضَى الْقُوَّةُ الْحَاكِمَةُ اسْتِجْلَابًا لِنَفْعِهَا أَوْ خَدِيعَةً لَهَا» ^(٢)، أَوْ «إِنَّمَا تَعْنَى أَنْ تَقُولَ شَيْئًا وَتَضْمَرَ شَيْئًا آخَرَ أَوْ تَقُومَ بِعَمَلٍ عِبَادِيٍّ أَمَامَ سَائِرِ الْفِرَقِ

١- الديوان ٢٤٩/٣ (من الوافر).

٢- حنا الفاخورى، وجيليل الجز: تاريخ الفكر الفلسفى عند العرب - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ م - ص ١٣٦.

الإسلامية وأنت لا تعتقدُ بهِ ثُمَّ تؤديه بالصورة التي تعتقدُ بهِ في بيتك»^(١). فالمرْتَضَى بوصفه شاعراً شيعياً علوياً كان «يأرسُ نشاطَ الشعرِ، وكلَّ الأنشطة الفكرية خِدمةً لأملٍ قَدْ آنَ تحقيقُهُ، وتطبيقاً لمبدأ الشَّيعةِ في التزام (التَّقِيَّةِ)»^(٢) إذ نراه يُخْفِي - شأنُهُ شأنُ سائرِ الشَّيعةِ - اعتقاده، ويجمالُ أعداءه، حتَّى لا يُعرِّضَ للخطرِ نفسه أو يلقى بأيديهم حتْفَهُ - يقولُ بعد هذا البيتِ.

تَلَقَّيْنَا مَجَامِلَةَ الْأَعَادَى وَفِي الْأَحْشَاءِ وَقَدْ كَالِضَّرَامِ

وفي مطلع مقطوعة يشكو فيها عدمَ تحقيقِ أمانيه يقولُ:^(٣)
يقولون لي: لِمَ أَنتَ بِالذُّلِّ رَاكِدٌ؟ فقلتُ: لَأَنِّي فِي الْحَيَاةِ رَغُوبٌ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنِ الْحَيَاةِ، وَعَنْ رَغْبَتِهِ فِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ قَدَّمَ شَبَهَ الْجُمْلَةِ «فِي الْحَيَاةِ» عَلَى خَبَرٍ أَنَّ «رَغُوبٌ» الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ: «لَأَنِّي فِي الْحَيَاةِ رَغُوبٌ» لِيؤكدَ اختصاصَ الْحَيَاةِ، بِحُبِّهِ، ذَلِكَ الْحُبُّ الَّذِي جَعَلَهُ يَحْتَمِلُ فِي سَبِيلِهَا الذُّلَّ وَالْمَهَانَةَ.

وَيُضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ فِي تَأْخِيرِ خَبَرِ «أَنَّ» عَنْ مَعْمُولِهِ مَا يَجْعَلُ قَافِيَةَ الْبَيْتِ تَتَّسِقُ مَعَ قَافِيَةِ الْمَقْطُوعَةِ الَّتِي مِنْهَا.

٤ - تقديم شبه الجملة على اسم الناسخ:

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ السَّمَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ تَقْدِيمِ شَبَهِ الْجُمْلَةِ بِحَيْثُ تَتَوَسَّطُ التَّرَكِيبَ، إِذْ قَدْ بَلَغَ عَدْدُ وَرُودِهَا فِي شَعْرِ الْمُرْتَضَى اثْنَى عَشَرَ وَخَمْسَمِائَةً (٥١٢) مَرَّةً.

١ - الشيعة والتصحيح - مرجع سابق - ص ٥٢ .

٢ - أحمد يوسف على: مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين - الناشر: الأنجلو المصرية - القاهرة - ٢٠٠٤م - ط ١ ص ١٤٣ .

٣ - الديوان ١ / ٢٧ (من الطويل) .

يقول المرتضى من قصيدة في الافتخار: ^(١)

تَعَالَوْا نَعُدَّ الْفَخْرَ مِنَّا وَمِنْكُمْ لِنَنْظُرَ أَوْلَانَا بِرَجْعِ النَّقَائِصِ
فَمَا لَكُمْ مَجْدٌ سِوَى مَالٍ بَاخِلٍ وَلَا فِيكُمْ مَدْحٌ سِوَى قَوْلِ خَارِصٍ

والبيتان السابقان يأتيان في سياق حديث المرتضى إلى بنى عمه العباسيين، ومن ثم فهو فيهما يخاطب بنى عمه داعياً إياهم لعقد مناظرة بينهم وبين قومه ليروا من منهم الذى يتحلّى بالنقائص، ثم يستأنف كلامه في البيت الثانى قائلاً لهم: أنتم لا تفتخرون إلا بكثرة أموالكم، وأنتم بها بخلاء، كما أنكم لا تتباهون إلا بمدائح فيكم قد قيلت، وهى من قول الكاذبين.

وقد قدّم المرتضى في الشطر الأول من البيت الثانى الجار والمجرور «لكم» المتعلقين بخير «ما» المحذوف على اسمها «مجد»، فقال: «فما لكم مجد»، ثم قدّم الجار والمجرور «فيكم» المتعلقين بخير «لا» المحذوف على اسمها «مدح» في الشطر الثانى، فقال: «ولا فيكم مدح»، ليؤكد بهذين التّقديمين انتفاء أية مَفْخَرَةٍ تُخَصُّ العباسيين وذلك مما يكشف عن تحقير المرتضى لهم وسخريته منهم، ويشير إلى أنهم لا حق لهم في الافتخار، إذ إنه لا مجد لديهم، وهذا مما يُنْفِرُ المُتَلَقِّينَ مِنْهُمْ، ويوحى بعدم أحقيّتهم في الخلافة.

كما كشف التّركيبان الإبداعيّان: «فما لكم مجد» و «ولا فيكم مدح» عن تأثير المرتضى بروح عصره السياسية تأثراً بالغاً إذ «سياسة القرن الرابع سياسة طبقية، تُفاضل بين الناس بمقدار منازلهم من طبقات المجتمع، فليحافظ السيد على التقسيم الطبقي، وليفخر بقومه، وليتغنّ بأجاده أسرته وليمدح آبائه، وليدّل الناس عليهم» ^(٢)؛ ليشير إلى أنهم أحق بالخلافة الإسلامية من غيرهم.

1- الديوان ١٥٢/٢ (من الطويل).

2- عبد الرازق محي الدين: أدب الشريف المرتضى - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب -

جامعة القاهرة - ١٩٥٦م - ص ١٨

ومن قصيدة في مدح فخر الملك، يقول: ^(١)

إِنَّ لِفَخْرِ الْمَلِكِ عِندَ ——— عِنْدِي نِعَمًا فَقُنْ النِّعَمَ

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ شِبْهَ الْجُمْلَةِ: «لِفَخْرِ الْمَلِكِ»، و«عِنْدِي»
الْمُتَعَلِّقَتَيْنِ بِخَيْرِ «إِنَّ» الْمَحذُوفِ عَلَى اسْمِهَا «نِعَمًا»، فَقَالَ: «نَّ لِفَخْرِ الْمَلِكِ عِنْدِي
نِعَمًا»؛ لِيُؤَكِّدَ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى اخْتِصَاصَ فَخْرِ الْمَلِكِ بِتَفْضِيلِهِ بِالنِّعَمِ الْكَثِيرَةِ، إِذْ قَدْ
نَكَرَ كَلِمَةَ «نِعَمًا» لِيُفِيدَ أَنَّهَا نِعَمٌ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى، كَمَا وَصَفَهَا بِجُمْلَةٍ «فَقُنْ النِّعَمَ»
لِيُؤَكِّدَ هَذَا الْمَعْنَى.

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى شِبْهَ الْجُمْلَةِ الْأُخْرَى «عِنْدِي» عَلَى اسْمِ «إِنَّ»؛ لِيَحْدَدَ الشَّخْصَ
الَّذِي يُخَصُّهُ فَخْرُ الْمَلِكِ بِنِعَمِهِ وَفَضَائِلِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُرْتَضَى نَفْسُهُ.
وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ - أَيْضًا - قَوْلُهُ: ^(٢)

وَمَا لِحَيَاةٍ بَعْدَ فَقْدِكَ لَذَّةٌ ——— وَلَيْسَ لِعَيْشٍ بَعْدَ بَيْنِكَ طِيبٌ

وهذا البيت من مقطوعة يتحدث فيها المرتضى عن رحيل محبوبته / الخلافة، ومن
ثم فهو فيه يخبر بأنه لم يعد يجد لذة للحياة بفقدانها، كما صار لا يتمتع بعيش لبينها.
وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ شِبْهَ الْجُمْلَةِ «لِحَيَاةٍ»، «بَعْدَ فَقْدِكَ»
الْمُتَعَلِّقَتَيْنِ بِخَيْرِ «مَا» الْمَحذُوفِ عَلَى اسْمِهَا «طِيبٌ» أَمَّا فِي الشَّطْرِ الثَّانِي فَقَدْ قَدَّمَ
شِبْهَ الْجُمْلَةِ «لِعَيْشٍ»، «وَبَعْدَ بَيْنِكَ» الْمُتَعَلِّقَتَيْنِ بِخَيْرِ «لَيْسَ» الْمَحذُوفِ عَلَى اسْمِهَا
كَمَا عَطَفَ جُمْلَةً: «وَلَيْسَ لِعَيْشٍ بَعْدَ بَيْنِكَ طِيبٌ» عَلَى جُمْلَةٍ: «وَمَا لِحَيَاةٍ بَعْدَ فَقْدِكَ
لَذَّةٌ»؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْحَيَاةَ بَعْدَ رَحِيلِ الْمَحْبُوبَةِ / الْخُلَافَةِ مَا هِيَ إِلَّا شَقَاءٌ وَعَنَاءٌ.

وَمِنْ الْمَلَا حِظِّ أَنْ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ الْمَعْطُوفَتَيْنِ مُتَّفَقَتَانِ تَمَامًا فِي الْبِنَاءِ التَّرْكِيبِيِّ،
حَيْثُ إِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَتَكُونُ مِنْ أَدَاةٍ نَاسِخَةٍ: «مَا» فِي الْأُولَى، و«لَيْسَ» فِي الثَّانِيَةِ، ثُمَّ

1 - الديوان (/ ٢٧٦) (مجزوء الرجز) .

2 - الديوان ١ / ٢٨ (من الطويل) .

شبه جملة متعلّقة بخبر محذوف لهذه الأداة الناسخة ثم ظرف الزمان : «بَعْدَ»،
والمضاف إليه، والضمير المجرور بالإضافة «الكاف» ثم اسم الأداة الناسخة المؤخر
«لَذَّةٌ» في الأولى «طَيِّبٌ» في الثانية.

كما أنّهما - إلى جانب الاتفاق في البناء التركيبى - متّفقتان في الدلالة ؛ فالحياة هي
العيش، والفقد يرادفه البين، واللذة تعنى الطيب.

وهذا الاتفاق في التركيب والدلالة يجعل الجملتين ملفوفتين تأخذ كلّ منهما
برقبة الأخرى في جرسٍ بديع ومعنى جليّ.

٥ - تقديم شبه الجملة على الخبر :

وقد احتلّ المرتبة الخامسة من بين أنواع تقديم شبه الجملة التي توسطت
التركيب، حيثُ قدّمت في تسعة عشر وأربعمئة موضع.

ومنه قوله في مطلع مقطوعة في الشيب :^(١)

نَصِيْبِي مِنْكَ الْيَوْمَ هَجْرٌ وَبِغْضَةٌ وَمَا لِكَ إِلَّا فِي الْوُدَادِ نَصِيْبُ

وقد ورد هذا البيت في سياق حديث المرتضى عن نفور محبوبته / الخلافة منه
بسبب شيبه، ولذا فقد انحرف عن النظام النحويّ، وقال : «نصيبى منك اليوم
هجر» بتقديم شبه الجملة «منك» و«اليوم» على متعلّقهما المصدر / الخير «هجر» ؛
ليؤكد - خلال تقديم شبه الجملة الأولى - اختصاص محبوبته / الخلافة وحدها بهجره
ثم يحدد زمان هجرها له بوقت شيبه وكبره، وذلك بتقديم شبه الجملة الثانية كما يوجى
هذا التقديم - أيضًا - بأنها كانت تواصله قبل اليوم، أي أيام شبابه وفتوته.

ومنه قوله في مطلع قصيدة كتبها إلى أخيه الرضى :^(٢)

طَرِيقُ الْمَعَالِي عَامِرٌ لِي قَيِّمٌ وَقَلْبِي بِكَشْفِ الْمُغْضَلَاتِ مُتَيِّمٌ

1 - الديوان ١ / ٣٤ (من الطويل).

2 - الديوان ٣ / ١٩٤ (من الطويل).

وَلِي هِمَّةٌ لَا تَحْمِلُ الضَّيْمَ مَرَّةً عَزَائِمُهَا فِي الْخُطْبِ جَيْشٌ عَرَمَرَمٌ
أُرِيدُ مِنَ الْعَلِيَاءِ مَا لَا تَنَالُهُ السُّدُ يُوْفُ الْمَوَاضِي وَالْوَشْيُجُ الْمَقْوَمُ^(١)
وَالْمُرْتَضَى فِي الْأَبْيَاتِ يُصَوِّرُ عِشْقَهُ لِلْم وَفَوْةٌ عَزِيمَتِهِ، وَلِذَا فَقَدْ انْحَرَفَ فِي
الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَذَلِكَ «وَقَلْبِي بِكَشْفِ الْمَعْضَلَاتِ مُيْتَمٌ»
بِتَقْدِيمِ شَبِّهِ الْجُمْلَةِ «كَشْفِ الْمَعْضَلَاتِ» عَلَى مُتَعَلِّقِهَا اسْمِ الْفَاعِلِ / الْخَيْرِ «مُيْتَمٌ»؛
لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْحَزْمِ وَالْعَزْمِ وَالْمَعَالَى لَا يُشْغَفُ بِعِشْقِ امْرَأَةٍ، وَإِنَّمَا شَغَفُهُ بِإِزَالَةِ
الْغَمِّ وَكَشْفِ الْمَصَائِبِ.

٦- تقديم شبه الجملة على النعت :

وَقَدْ اِحْتَلَّ الْمَرْتَبَةَ السَّادِسَةَ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ تَقْدِيمِ شَبِّهِ الْجُمْلَةِ بِحَيْثُ تَتَوَسَّطُ
التركيب، إِذْ قُدِّمَتْ مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ (٢٥٠) مَرَّةً.

وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُرْتَضَى فِي الْاِفْتِخَارِ^(٢) :

أَمَّا الرَّسُولُ فَقَدْ أَبَانَ وَلَاءَهُ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ جَائِرًا أَنْ يُنْذَرَا^(٣)
أَمْضَى مَقَالًا تَمْ يَنْفُلُهُ مُعَرَّضًا وَأَشَادَ ذِكْرًا لَمْ يُشْدِهِ مُغَرَّرًا^(٤)
وَنَسِيَ إِلَيْهِ رِقَابَهُمْ وَأَقَامَهُ عَلَمًا عَلَى بَابِ النَّجَاةِ مُشْهَرَا
وَلَقَدْ شَفَى يَوْمَ الْغَدِيرِ مَعَاشِرًا ثَلَبَجَتْ نُفُوسُهُمْ وَأَذْوَى مَعْشَرَا

وَالْمُرْتَضَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَتَحَدَّثُ عَنْ تَصْرِيحِ الرَّسُولِ ﷺ بِتَوَلِيَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام
الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ - وَأَنَّهُ بِيَدِهِ أَمْرُ الْعِبَادِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ، وَإِنْ
شَاءَ عَفَا وَصَفَحَ.

١- الوشيح : الرمح.

٢- الديوان ٢/ ٣٦ (من الكامل).

٣- الجائر : هو من مال عن القصد والطريق .

٤- المَعْرُضُ : هو من يستخدمُ التَّوْرِيَّةَ فِي كَلَامِهِ وَلَا يَصْرَحُ بِقَوْلِهِ . الْمَغْرُورُ : هو المخادعُ الْمُطْمِعُ بِالْبَاطِلِ .

وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ فَقَالَ : «وَتَنَى إِلَيْهِ رِقَابَهُمْ» بتقديم شبه الجملة المتعلّقة بالفعل «تَنَى» عَلَى المفعول بِهِ، وَذَلِكَ لِيؤكد اختصاص الإمام عَلِيٍّ - والأئمة الاثنى عشر مِنْ بَعْدِهِ - بِأَمْرِ تَعْذِيبِ أَعْدَائِهِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ اِنْحَرَفَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ نَفْسِهِ، وَقَدَّمَ شِبْهَ الْجُمْلَةِ «عَلَى بَابِ النِّجَاةِ» الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْفِعْلِ «أَقَامَ» مِنْ قَوْلِهِ «أَقَامَهُ» عَلَى النِّعَةِ «مُشْهَرًّا»، فَقَالَ : «وَأَقَامَهُ عَلَّمًا عَلَى بَابِ النِّجَاةِ مُشْهَرًّا»؛ لِيُنَبِّهَ السَّامِعِينَ عَلَى أَنَّهُ - أَيضًا - بِيَدِهِ النِّجَاةُ. فَهُوَ وَإِنْ كَانَ يُعَذِّبُ أَعْدَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْجِي شِيعَتَهُ وَأَنْصَارَهُ مِنْهَا. وَهِيَ فِكْرَةٌ شِيعِيَّةٌ قَدْ كَشَفَ عَنْهَا التَّرَكِيبُ الْإِبْدَاعِيُّ إِذْ يَرَوِي الْكُلَيْنِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِلْإِمَامِ يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وَيَدْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَشَاءُ»^(١).

٧- تقديم شبه الجملة عَلَى الحال :

وَقَدْ اِحْتَلَّ الْمَرْتَبَةَ السَّابِعَةَ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ بِحَيْثُ تَتَوَسَّطُ التَّرَكِيبَ، إِذْ قُدِّمَتْ سَبْعًا وَعَشْرِينَ وَمِائَةً (١٢٧) مَرَّةً.

يَقُولُ الْمُرتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ :^(٢)

يَا مَلِيكَ الْوَرَى وَمَنْ عَقَدَ اللَّـهُ هُوَ بِإِقْبَالِهِ الْعَزِيزِ لِسَوَاءٍ
وَالسُّبْحَى أَخْجَلَ الْمُلُوكَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا تَكْرُمًا وَمَضَاءَ
إِنْ قَرَنَاهُمْ إِلَيْكَ جَمِيعًا كُنْتَ صُبْحًا لَنَا وَكَانُوا مَسَاءَ

وَالْمُرتَضَى فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَتَوَجَّهُ بِخُطَابِهِ الشُّعْرِيِّ إِلَى الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مُبَيِّنًا عِظَمَ مَنْزِلَتِهِ، وَتَمَامَ قُدْرِهِ، وَعُلُوَّ شَأْنِهِ بَيْنَ الْمُلُوكِ، فَهُوَ مَلِكُ الْخَلْقِ طُرًّا، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْمُلُوكِ قَاطِبَةً.

١- ابن اسحاق الكليني الرازي : الكافي في الإمامة - صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري -

دار الكتب الإسلامية طهران - إيران - الطبعة الثالثة - (د ت) ١ / ٤٠٩ .

٢- الديوان ١ / ١٦ ، ١٧ (من الخفيف) .

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى شِبْهَ الْجُمْلَةِ «إِلَيْكَ» الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْفِعْلِ «قَرَنَ» مِنْ قَوْلِهِ «قَرَنَاهُمْ»
- والتي بها ضميرٌ يعودُ عَلَى الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ - عَلَى الْحَالِ «جَمِيعًا» الَّتِي هِيَ أُولَى
بِالتَّقْدِيمِ - وَالَّتِي تَبِينُ هَيْئَةً غَيْرَهُ مِنَ الْمُلُوكِ - ؛ لِيَبَيِّنَ الْمَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي يَحْتُلُهَا
جَلَالُ الدَّوْلَةِ وَالَّتِي تَعْلُو فَوْقَ مَنْزِلَةِ أَيِّ مَلِكٍ.

٨- تقديم شبه الجملة عَلَى نَائِبِ الْفَاعِلِ :

وَتَحْتُلُ هَذِهِ السَّمَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ الْمَرْتَبَةُ الثَّامِنَةُ حَيْثُ قُدِّمَتْ شِبْهَ الْجُمْلَةِ عَلَى نَائِبِ
الْفَاعِلِ مِائَةً وَسِتِّ عَشْرَةَ (١١٦) مَرَّةً.

يَقُولُ الْمُرْتَضَى فِي قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ فَخْرِ الْمَلِكِ :^(١)

دِمْنٌ لَوْرَنْتٌ إِلَيَّهِنَّ عَيْنَا لَكُ قُبَيْلَ الْفِرَاقِ قُلْتُ النُّجُومُ
وَمَغَانٍ مِنَ النُّحُولِ كَأَرَوَا حَ وَلَكِنْ لَيْسَتْ لَهُنَّ جُسُومُ
مَا مَرَرْنَا إِلَّا بِهِنَّ - وَمِنْهُنَّ - نَقْفَارًا - سَيَقَتْ إِلَيْنَا الْهُمُومُ

وَالْمُرْتَضَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ دِيَارِ الْأَحِبَّةِ / آلِ الْبَيْتِ - قُبَيْلَ فِرَاقِ
أَهْلِهَا عَنْهَا - وَيَصُورُهَا بِأَنَّهَا نَجُومٌ ثُمَّ يُشَبِّهُهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي بِأَنَّهَا قَدْ غَدَتْ بَعْدَ
الْفِرَاقِ أَرْوَاحًا بَلَا أَجْسَادٍ، ثُمَّ يَأْتِي الْبَيْتَ الثَّلَاثُ لِيَصُورَ مَبْلَغَ حُزْنِهِ عِنْدَ رُؤْيَيْهَا،
وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا.

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ «إِلَيْنَا» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِالْفِعْلِ «سَيَقَتْ» عَلَى نَائِبِ
الْفَاعِلِ «الْهُمُومُ» الَّذِي هُوَ أُولَى بِالتَّقْدِيمِ، فَقَالَ : «سَيَقَتْ إِلَيْنَا الْهُمُومُ»، لِيُؤَكِّدَ
اِخْتِصَاصَ قَوْمِهِ / الْعُلُوِّينَ وَخَدَّهُمْ بِالْهُمُومِ عِنْدَ رُؤْيَا أَثَارِ دِيَارِ الْأَحِبَابِ / آلِ الْبَيْتِ.

٩- تقديم شبه الجملة عَلَى الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ :

وَقَدْ بَلَغَ وَرُودُ هَذِهِ السَّمَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ فِي الدِّيَوَانِ ثَمَانِيًّا وَسِتِينَ (٦٨) مَرَّةً.

١- الدِّيَوَانُ ٣/ ١٨١ (مِنْ الْخَفِيفِ).

ومنه قول المرتضى في الافتخار : ^(١)

تَرَكُوا الْمَعَاذِرَ لِلْجَبَانِ وَحَلَقُوا فِي شَامِخٍ عَالِي الرِّجَا تَحْلِقًا

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ افْتِخَارِ الْمُرْتَضَى بِقَوْمِهِ، وَأَنْتَهُمْ مَلَكَوا الْفَخَارَ، وَلَا فَخَارَ لِغَيْرِهِمْ ؛ فَهُمْ - إِنَّ تَسَابَقَ النَّاسُ إِلَى الْمَكْرُمَاتِ - السَّابِقُونَ، وَهُمْ - إِذَا دُعُوا لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ - الْمَلْبُوثُونَ.

وَقَدْ انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، وَقَدْ أَمَّ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ «فِي» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِالْفِعْلِ «حَلَقَ» مِنْ قَوْلِهِ «حَلَقُوا» عَلَى الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ «تَحْلِقًا»؛ لِيُحَدِّدَ أَوَّلًا نَوْعِيَّةَ مَسَاعِيهِمْ، وَأَنْهَا لَا تَكُونُ إِلَّا فِي تَحْقِيقِ جَلَائِلِ الْأُمُورِ وَعِظَائِمِ الْأَعْمَالِ ثُمَّ يُؤَكِّدُهَا - ثَانِيًا - بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ. وَذَلِكَ مِمَّا يَتَنَاسَبُ وَسِيَاقَ فَخْرِهِ.

١٠ - تقديم شبه الجملة على التمييز :

وَقَدْ اِحْتَلَتْ هَذِهِ السَّمَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ الْمَرْتَبَةَ الْعَاشِرَةَ، حَيْثُ وَرَدَتْ فِي تِسْعَةٍ وَخَمْسِينَ (٥٩) مَوْضِعًا.

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ يَجِيبُ بِهَا عَلَى قَصِيدَةِ كَاتِبَتِهَا أَبُو سَعْدٍ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ

بَنِي خَلْفٍ لِيُعْزِيَهُ فِي وَفَاةٍ وَالِدِهِ : ^(٢)

كَمْ فِيكُمْ مِنْ طَالِعِ شَرَفِ الْعُلَا أَوْ قَامِعِ شَرَفِ الْعِيسَا أَوْ قَاهِرِ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنْ حُبِّهِ لـ «بَنِي خَلْفٍ»، وَأَنْتَهُمْ بِإِخْلَاصِهِمْ لَهُ - وَالْقَرَابَةِ لَا تَجْمَعُهُمْ - أَقَارِبُهُ. ثُمَّ يَذْكُرُهُمْ أَنَّ حُبَّهُمْ بَاقٍ فِي قَلْبِهِ لَا يَزُولُ.

وَقَدْ أَرَادَ الشَّاعِرُ - فِي هَذَا السِّيَاقِ - أَنْ يُؤَكِّدَ لَهُمْ أَنَّهُمْ جَدِيدُونَ بِهَذَا الْحُبِّ، فَكَانَ الْبَيْتُ السَّابِقُ الْمُصَدَّرُ بِـ «كَمْ» الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي تَفِيدُ التَّكْثِيرَ، الْمُبْهَمَةَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزٍ يَعْقُبُهَا مَبَاشَرَةٌ، وَكَانَ انْحِرَافُ الشَّاعِرِ عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ حَيْثُ فَصَّلَ بَيْنَ

١ - الديوان ٢ / ٣٢٠ (من الكامل).

٢ - الديوان : ٢ / ٧٤ (من الكامل).

«كَمْ» وتمييزها بالجاء والمجرور «فِيكُمْ» المتعلقين باسم الفاعل «طالع»، فقال «كَمْ
فيكم من طالع شرف العلاء»؛ ليؤكد أنهم يستحقون كل الحب والتقدير. فكثير منهم
- لا ريب - ذوو مقام رفيع، أبطال يقهرُونَ الأعداء.

١١ - تقديم شبه الجملة على المفعول لأجله:

وقد جاءت هذه السمة التركيبية في المرتبة الأخيرة، حيث بلغ عدد ورودها تسع
عشرة مرة.

يقول المرتضى من قصيدة يُعزِّي فيها أبا علي الحسن بن حماد في وفاة والدته: ^(١)
فَنَحْنُ نَبْكِي عَلَى آثَارِهِمْ جَزَعًا نَقُولُ: لَا تَبْعُدُوا عَنَّا، وَقَدْ بَعُدُوا

وقد ورد هذا البيت في سياق حديثه عن كثرة من فقدَهُم من الكرام ويفتقدُهُم.
والمُرتضى - في البيت - يأسى لنفسه أنه لم يستطع أن يردَّ سهام المنية التي أصابَتْهُمْ
في الصَّوْمِ تحت بصره، ولم يعد يملك لهم إلا دُموعاً مُنهمرة، لعلها تُطفئ النار
الموقدة في صدره، ولكنها لا تفيد؛ فهم - لا محالة - راحِلُونَ.

وقد قدّم المرتضى المسند إليه (المبتدأ) على خبره الفعلي فقال «وَنَحْنُ نَبْكِي»
ليؤكد أنهم - لا شك - ييكون، ثم إنحرف، وقدّم شبه الجملة «عَلَى آثَارِهِمْ» على
المفعول لأجله «جَزَعًا» فقال «فَنَحْنُ نَبْكِي عَلَى آثَارِهِمْ جَزَعًا»؛ ليشير إلى سبب
بكائهم، وهو أنهم ييكونون لفقد سادة كرام لا رُجوع لهم يقول المرتضى في مديح
جلال الدولة ^(٢)

وَكَمْ لِي فِي مَذْحِي عُلاكَ قَصَائِدُ فَضَلْنَا افْتِخَارًا نَظْمَ كُلِّ مُقَصِّدٍ
يَسِرْنَ عَلَى الْأَكْوَارِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَيَقْطَعْنَ فِينَا كُلَّ بَرٍّ وَفَذْفِدٍ ^(٣)

١ - الديوان ١ / ٢٢٠ (من البسيط).

٢ - الديوان : ١ / ٢٨٨ (من الطويل).

٣ - الأكوار : جمع الكور وهو الرُّخْل. والفَذْفُدُ : الصحراء.

وَيُطْرِبْنَ مَنْ أَضْغَى لَهُنَّ بِسَمْعِهِ كَمَا أَطْرَبَتْ ذَا الْخَمْرِ الْحَانَ مَعْبِدِ
فَإِنْ غَرَّدَ الشَّادِي بِهِنَّ تَنْغُمًا تَنَاسَيْتَ تَغْرِيدَ الْحَمَامِ الْمُغَرِّدِ

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ الْقَصَائِدِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي
نَظَّمَهَا فِي مَدْحِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَالَّتِي وَصَفَهَا بِأَنْهَا أَفْضَلُ مِنْ نَظْمِ كُلِّ نَاطِمٍ، وَأَنَّهَا -
لِجَمَاهَا - تَطُوفُ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَتَقْطَعُ الْفِيَا فِي الْبَرَارِي، وَأَنَّهَا تُطْرِبُ مَنْ يَسْتَمِعُ
إِلَيْهَا كَمَا تُطْرِبُ الْحَانَ مَعْبِدَ السَّكْرَانِ، وَإِذَا تَرَنَّمَ الشَّادِي بِهَا يُنْسِي تَغْرِيدَ الْحَمَامِ.

وَقَدْ انْحَرَفَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ، وَقَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ «بِهِنَّ» الْمُتَعَلِّقَيْنِ
بِالْفِعْلِ «غَرَّدَ» عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ «تَنْغُمًا»؛ لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ قَصَائِدِهِ فِي
جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَوَصْفِهَا، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِنَعْتِهَا وَتَفْصِيلِهَا عَلَى مَا عَدَاهَا مِنْ أَشْعَارٍ،
فَطَبَعِي أَنْ يُقَدَّمَ شِبْهُ الْجُمْلَةِ - بِمَا تَحْمِلُ مِنْ ضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَى الْقَصَائِدِ - عَلَى غَيْرِهَا مِنْ
مُكَمَّلَاتِ الْجُمْلَةِ.

النوع الثاني: تقديم تنصدر فيه شبه الجملة التركيب:

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا التَّقْدِيمُ فِي سَبْعَائِيَّةٍ وَأَرْبَعِينَ (٧٤٠) مَوْضِعًا، وَتَنَوَّعَ إِلَى ثَوَاعِينَ، هُمَا:

١ - فِي الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَةِ:

وَقَدْ وَرَدَ تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ بِحَيْثُ تَصَدَّرَتْ التَّرْكِيْبُ فِي خَمْسَائِيَّةٍ
وَتَسْعِينَ (٥٩٠) مَوْضِعًا مِنْ شَعْرِ الْمُرْتَضَى.

وَمِنْ هَذَا التَّقْدِيمِ قَوْلُ الْمُرْتَضَى فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ قَصِيرَةٍ فِي النَّسِيبِ^(١)

زُرْتُ هِنْدًا وَمِنْ ظِلَامٍ قَمِيصِي لَا بُوْعِدٍ، وَمِنْ نَجَادٍ رَدَائِي
واعتنقنا وبيننا جفنٌ ماضٍ فِي فَرَّاشِ الرُّءُوسِ أَيُّ مَنْضَاءٍ
وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ يَصِفُ زِيَارَةً مِنْهُ إِلَى حَبِيبَتِهِ هِنْدٍ، كَمَا يَصِفُ هَيْئَتَهُ

١ - الديوان : ٢٣ / ١ (من الخفيف).

حَالِ الزِّيَارَةِ، وما كَانَ مِنَ الْحَبِيبَيْنِ. فَالزِّيَارَةُ كَانَتْ فِي الظَّلَامِ الْحَالِكِ، كَمَا أَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ فِي الْحِسَابِ، وَالزَّائِرُ كَانَ مُدَجَّجًا بِالسَّلَاحِ، وَلَمْ يَقَعْ بَيْنَ الْحَبِيبَيْنِ مَا يَسُوءُ.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَمَّا يَقْتَضِيهِ النَّظَامُ النَّحْوِيُّ، فَحَرَكَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ: «مَنْ ظَلَامٍ» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِخَيْرٍ مَحْذُوفٍ إِلَى الْأَمَامِ لِيَتَقَدَّمَ عَلَى الْمَبْتَدَأِ «قَمِيصِي» وَيَتَصَدَّرَا التَّرَكِيبَ، فَقَالَ: «وَمَنْ ظَلَامٍ قَمِيصِي»؛ وَذَلِكَ لِيُوكِّدَ أَنَّهُ قَدْ زَارَ هُنَا فِي غَسَقِ اللَّيْلِ حَتَّى لَكَأَنَّ قَمِيصَهُ الَّذِي يَلْبَسُهُ قَدْ قُذِّدَ مِنْ ظَلَامٍ، وَهَذَا مِمَّا يُوْحِي بِأَنَّ زِيَارَتَهُ لِحُبُوبِيَّتِهِ قَدْ كَانَتْ حُلْمًا وَلَمْ تَكُنْ وَاقِعًا.

ثُمَّ هُوَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ نَفْسِهِ قَدْ اِنْحَرَفَ عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ «مِنْ نِجَادٍ» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِخَيْرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى الْمَبْتَدَأِ «رِدَائِي»، فَقَالَ: «وَمِنْ نِجَادٍ رِدَائِي»؛ لِيُقَرَّرَ وَيُوكَّدَ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي أَنَّهُ كَانَ - حِينَ الزِّيَارَةِ - مُكْتَمِلَ السَّلَاحِ، وَكَأَنَّ رِدَاءَهُ مَصْنُوعٌ مِنْ حَمَائِلِ السُّيُوفِ، وَهَذَا يُوْحِي لِمُتَلَقِّيهِ بِأَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مُهَيَّأً تَهَيُّؤًا كَامِلًا لِحَوْضِ حَرْبٍ مِنْ أَجْلِ حَبِيبَتِهِ هُنَا.

كَمَا أَنَّ فِي تَأْخِيرِ الْمَبْتَدَأِ «رِدَائِي» عَنْ مُتَعَلِّقِ الْخَيْرِ الْمَحْذُوفِ - بِالإِضَافَةِ إِلَى الدَّلَالَةِ السَّابِقَةِ - مَا مَكَّنَ الْمُرْتَضَى مِنْ أَنْ يَحَافِظَ عَلَى إِيقَاعِ الْبَيْتِ وَيَجْعَلَ قَافِيَتَهُ تَنْسَجِمُ مَعَ قَافِيَةِ الْمَقْطُوعَةِ الَّتِي مِنْهَا.

وَهُوَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي قَدْ اِنْحَرَفَ الْاِنْحِرَافَ ذَاتَهُ، فَقَدَّمَ الظَّرْفَ «بَيْنَ» الْمُتَعَلِّقَ بِخَيْرٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ «مَوْجُودٌ» عَلَى الْمَبْتَدَأِ، فَقَالَ: «وَبَيْنَنَا جَفْنٌ مَاضٍ»؛ لِيُقَرَّرَ وَيُوكَّدَ أَنَّ السِّيفَ الرَّقِيقَ الْحَادَّ كَانَ - بِلَا شَكٍّ - يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُرْتَضَى وَحَبِيبَتِهِ وَكَأَنَّ حَبِيبَتَهُ هُنَا لَا تُزَارُ وَلَا تُنَالُ إِلَّا بِالسِّيفِ. فَهَذَا التَّرَكِيبُ يُشِيرُ كَسَابِقَةٍ إِلَى اسْتِعْدَادِ الْمُرْتَضَى لِلْحَرْبِ مِنْ أَجْلِ حَبِيبَتِهِ.

وَيَبْدُو لِي أَنَّ هُنَا - هَاهُنَا - مَا هِيَ إِلَّا رَمْزٌ لِلْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَسْلُوبَةِ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ بِالسِّيفِ، وَالَّتِي لَنْ تُنَالُ إِلَّا بِالسِّيفِ.

وَفِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ
 نَصَرْتُكُمْ قَوْلًا عَلَى أَنْسَى لَا مِثْلَ بِالسَّيْفِ أَنْ أَنْصُرَا
 وَبَيْنَ أَضْلَاعِي سِرٌّ لَكُمْ حُوشِي أَنْ يُبْذَوْ وَأَنْ يَظْهَرَا
 أَنْظِرْ وَقْتًا قِيلَ لِي بُخٍ بِهِ وَحُشٌّ لِلْمَوْعُودِ أَنْ يَنْظُرَا

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ الظَّرْفَ «بَيْنَ» الْمُتَعَلِّقَ
 بِخَيْرِ مُحَذِّفٍ عَلَى الْمَبْتَدَأِ «سِرٌّ»، فَقَالَ: «وَبَيْنَ أَضْلَاعِي سِرٌّ لَكُمْ». وَلَكِنِّي أَقِفَ عَلَى
 مَا يَرْمِي إِلَيْهِ الشَّاعِرُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا التَّقْدِيمِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَتَبَيَّنَ مَعْنَى الْآيَاتِ لِأَعْرِفَ
 السِّرَّ الَّذِي يَحْتَفِظُ بِهِ الْمُرْتَضَى وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَوِّحَ بِهِ، وَعَلَى مَنْ نَصَرَهُمْ قَوْلًا؟
 وَعَلَى مَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ بِالسَّيْفِ؟ وَمَا الْوَقْتُ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ الْمُرْتَضَى، وَالَّذِي فِيهِ
 يُمَكِّنُ أَنْ يُبَوِّحَ بِسِرِّهِ؟

وَلَكِنِّي أَتَبَيَّنَ مَعْنَى الْآيَاتِ فَلَا مَفَرَّ مِنْ رَبْطِهَا بِسِيَاقِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا.
 فَالْقَصِيدَةُ - كَمَا قُلْتُ قَبْلُ - فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهِيَ تَبْدَأُ بِالْبُكَاءِ
 عَلَى أَطْلَالِ دِيَارِ آلِ الْبَيْتِ، وَذَلِكَ فِي خَمْسَةِ آيَاتٍ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى نَذْبِ الْحُسَيْنِ وَآهْلِهِ
 نَذْبًا كُلُّهُ لَوْعَةٍ وَحَسْرَةٍ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنْ قَتْلِ وَتَشْرِيدٍ فِي سَبْعَةِ آيَاتٍ أُخْرَى،
 وَبَعْدَهَا يَنْتَقِلُ الْمُرْتَضَى فِي قَصِيدَتِهِ إِلَى بَنِي حَرْبٍ «بَنِي أُمَيَّةَ» ذَامًّا لَهُمْ، وَاصِفًا إِيَّاهُمْ
 بِأَنَّهُمْ قَدْ تَاهُوا عَنْ الْحَقِّ، وَضَلُّوا الطَّرِيقَ إِلَى الْإِسْلَامِ، . . . ، وَأَنَّهُمْ قَدْ انْتَزَعُوا
 الْخِلَافَةَ مِنْ «نِي عَلِيٍّ» غَضَبًا. وَالْحَقُّ يَوْمًا لَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَيُقْبَلَ الْأَمْرُ
 الَّذِي أَدْبَرَ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُرْتَضَى: ^(٢)

وَنَلْتُمُوها بَيْعَةً فَلْتَمَّة حَتَّى تَسْرى الْعَيْنُ الَّذِي قُدِّرَا

1- الديوان: ٤٣/٢، ٤٤ (من السريع).

2- الديوان: ٤٣/٢.

فيرجع الحق إلى أهليه ويقبل الأمر الذي أدبراً

وبعد هذا الحديث الممتد في عشرين بيتاً إلى «بنى أمية» ينتقل - أخيراً - إلى مخاطبة «بنى علي» (العلويين) وهو السياق الذي ورد به التقديم - مادحاً إياهم، قائلاً لهم :

لَقَدْ نَصَرْتَكُمْ قَوْلًا عَلَى الْأُمَوِيِّينَ، وَأَمَلُ أَنْ أَنْصُرَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ،
لَأَنْكُمْ أَحَقُّ مِنْهُمْ - أَيْضًا - بِالْخِلَافَةِ، وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبُوحَ بِهَذَا وَأَكْتُمُهُ سِرًّا
بَيْنَ ضُلُوعِي خَشْيَةَ بَطْشِهِمْ وَأَنْتَظِرُ يَوْمَ ظَهْوِرِ الْمَهْدِيِّ لِأَفْصَحَ عَنْهُ.

فالشاعر في البيت الأول من أبيات الشاهد قد إنحرف وحذف شبهتي جملة ومفعولاً به. أما شبه الجملة الأولى فهي «على الأمويين» التي تتعلّق بالفعل «نصر» من قوله «نصرتكم» وقد حذفها تحقيراً لهم. وأما شبه الجملة الأخرى فهي «على العباسيين» التي تتعلّق بالفعل «أنصر» وقد حذفها خوفاً من بطشهم. . وأما المفعول به فهو الضمير «كم» المحذوف من الفعل «أنصراً» لضيق صدر المرتضى عن إطالة الكلام. وفي البيت الثاني قدّم شبه الجملة على المبتدأ، فقال: «وبين أضلاعي سرّ لكم»؛ وذلك ليقرّر ويؤكد في أذهان سامعيه أن سرّ آل البيت من أبناء الإمام علي عليه السلام - وهو أنهم أحق بالخلافة من العباسيين ومن غيرهم - دفين بين ضلوعه مضمرّ اتقاء لشرّ الحكام. فلأت حين ظهوره.

وَإِذَنْ يَتَّضِحُ أَنَّ لِلشَّعْرِ دَوْرًا خَاصًّا بِالشَّاعِرِ، فَهُوَ عَالِمُهُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَتَنَفَسُ فِيهِ وَيَشْكُو وَيُبُوحُ^(١)

1- أحمد يوسف علي : مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين - مرجع سابق - ص ٣٩.

ويقول المرتضى^(١)

بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي فِي الْحُبِّ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ
أَنَا خَارِجِي فِي الْهَوَى لَا حُكْمَ إِلَّا لِلْمَلَأِ

وهذه نتفة يخبر فيها المرتضى عن استعدادِهِ لحربِ عواذِلِهِ في الحُبِّ، كما يُخبرُ بأنَّ له مذهباً في الهوى كمذهب الخوارج في الدين، وأنَّ مذهبَهُ طاعةُ الملاح لا غيرهم. ويبدو لي أنَّ الحُبَّ الذي يقصده المرتضى هو حُبُّ الحكم والخلافة لا حُبُّ المرأة، بدليل أنه قد اختار في التتفة مفردات وتراكيب تُوحي لنا بهذا. فـ «أطرافُ الرِّمَاحِ» مركبٌ إضافيٌّ يوحي بالحرب والدمار، و«أنا خارجي» مركبٌ إسناديٌّ يشير إلى الخوارج، أولئك الذين خرجوا على عليِّ بن أبي طالب حينَ قبولِهِ التحكيمَ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في موقعة صفين (٣٧ هـ - ٦٥٨ م)؛ لأنهم «رَأَوْا أَنَّ الْفَصْلَ فِي مَوْضِعِ خِلَافَةِ النَّبِيِّ لَا يَصِحُّ أَنْ يُوَكَّلَ إِلَى الْبَشَرِ، وَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»^(٢)، كما يشير إلى أنَّ للشاعر مذهباً كمذهب الخوارج، وكلمة «حكم» تشيُّ بالحكم والخلافة.

كما يبدو لي أنَّ المرتضى قد رَمَزَ بقوله: «عواذلي» إلى أعدائِهِ / الخلفاء العباسيين، وأنه لم يقصد بكلمة «الملاح» النساء الحسنات، بل يرمزُ بها إلى أئمة الشيعة الاثني عشرية. ومن ثمَّ فهو قد قَدَّمَ في البيت الأول من التتفة شبهة الجُمْلَةِ «بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي» و«في الحُبِّ» المتعلقتين بخبرٍ محذوفٍ على المبتدأ «أطرافُ الرِّمَاحِ»؛ لأنَّ في تقديمِهِ لِشِبْهِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى تَحْدِيدًا وَحَضْرًا لِمَنْ سَتَقَعُ بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ، كما أنَّ في تقديمِهِ لِشِبْهِ الْجُمْلَةِ الْأُخْرَى «فِي الْحُبِّ» إِشَارَةً إِلَى السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سَتَقُومُ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَوَازِلِهِ. فالشاعر بهذا التقديم - إذن - يُقرِّرُ في أذهان سامعِيهِ أَنَّ هُنَاكَ حَرْبًا صَرُوسًا سَتَقَعُ لَا مُحَالََةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَوَازِلِهِ / أعدائِهِ، بِسَبَبِ الْحُبِّ / الْحُكْمِ.

1- الديوان: ٢١١/١ (من مجزوء الكامل).

2- تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب - مرجع سابق - ص ١٥.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ فِي إِشَارَةِ الْمُرْتَضَى لِفِرْقَةِ الْخَوَارِجِ مَا يُوجِي بِثِقَافَةِ الْمُرْتَضَى الدِّينِيَّةِ
وَلَا غَرَوْ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ إِمَامَ الطَّالِبِينَ فِي عَصْرِهِ وَفَقِيهِهُمْ، وَهُوَ لَيْسَ شَاعِرًا
فَحَسَبُ بَلِّ شَاعِرًا وَعَالِمًا. «وَالْعِلْمُ وَالشُّعْرُ مَظْهَرَانِ لِعَقْلِ مُنْظَمٍ مُبْدِعٍ مُتَأَمِّلٍ، يَعْتَمِدُ
عَلَى الْمَقَدِّمَاتِ الصَّحِيحَةِ لِلْوُصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ الصَّحِيحَةِ»^(١)

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ يَقُولُ^(٢)

مِنَّا النَّبِيُّ وَالْوَصِيُّ صِنُوءُهُ ثُمَّ الْبَتُولُ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ^(٣)

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ اِفْتِخَارِ الْمُرْتَضَى بِقَوْمِهِ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ قَدَّمَ الْجَارَّ
وَالْمَجْرُورَ «مِنَّا» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِخَيْرِ مَحْذُوفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ «النَّبِيُّ»؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ قَوْمَهُ قَوْمُ
مُصْطَفَوْنَ، إِذْ قَدْ اضْطَفَّاهُمُ اللَّهُ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى بَقِيَّةِ خَلْقِهِ بِأَنْ اخْتَارَ مِنْهُمْ النَّبِيَّ (مُحَمَّدًا)،
وَالْوَصِيَّ (عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ) الَّذِي أَوْصَى لَهُ الرَّسُولُ - عَلَى حَدِّ زَعْمِ الشَّيْعَةِ -
بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ، كَمَا اخْتَارَ مِنْهُمْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَوَلَدَيْهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

وَالْتَقْدِيمُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يَفِيدُ - أَيْضًا - مَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ فَهُوَ قَدْ قَدَّمَ شَبَهَ
الْجُمْلَةِ «مِنَّا»، لِأَنَّهَا ضَمِيرًا يَعُودُ عَلَى قَوْمِهِ، وَأَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَخُصَّهُمْ بِأَنْ مِنْهُمْ لَا
مِنْ غَيْرِهِمُ النَّبِيُّ وَالْوَصِيُّ وَالْبَتُولُ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ.

وَفِي الْاِفْتِخَارِ، يَقُولُ^(٤)

وَفِي بَيْتِي النَّبِيُّ مَا عَدْتَنِي وَقَانُونُ الْإِمَامَةِ فِي نِصَابِي

١- أحمد يوسف علي : دوائر النقد الأدبي - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة -
٢٠٠٤م - ص ٩٢.

٢- الديوان : ٣ / ٣٤٧ (من الرجز) .

٣- المقصود بالوصي هو الإمام علي بن أبي طالب ؛ لأن الرسول قد أوصى له - على حد زعم
الشيعية - بالإمامة من بعده ، والمقصود بالبتول : فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ

٤- الديوان ١ / ١٠٠ (من الوافر) .

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ افْتِخَارِ الْمُرْتَضَى عَلَى أَعْدَائِهِ. وَهُوَ - فِي هَذَا السِّيَاقِ -
 - لَنْ يَجِدَ مَعْنَى أَنْسَبَ مِنْ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ النَّبُوَّةَ كَانَتْ فِي بَيْتِهِ وَلَمْ تَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ،
 وَأَنَّ الْإِمَامَةَ مِنْ حَقِّ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ. «فَالشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي «عَلِيٍّ»
 بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ «ﷺ» وَمِنْ بَعْدِ «عَلِيٍّ» فِي أَوْلَادِهِ حَتَّى الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ الَّذِي هُوَ
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ الْمَلَقْبُ بِالْمَهْدِيِّ»^(١)

وَلِذَلِكَ فَقَدْ انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَمَّا يَقْتَضِيهِ النَّظَامُ النَّحْوِيُّ، وَقَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ
 «فِي بَيْتِي» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، فَقَالَ: «وَفِي بَيْتِي النَّبُوَّةُ مَا عَدَّتْنِي»؛
 لِيَحْدَدَ الْإِطَارَ الْمَكَانِيَّ لِلنَّبُوَّةِ، وَلِيَسْئِلَ بِأَتْنَهَا - لَا رَيْبَ - فِي بَيْتِهِ وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ إِلَى
 سِوَاهُ. فَالتَّحْدِيدُ - إِذَنْ - مُفِيدٌ مَعْنِيَّ الْأَخْتِصَاصِ وَالتَّوَكِيدِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى تَحْدِيدِهِ
 الْإِطَارَ الْمَكَانِيَّ لِلْحَدَثِ.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي تَهْنِئَةِ الْقَائِمِ بْنِ الْقَادِرِ بِتَوَلِيهِ الْخِلَافَةَ، يَقُولُ: ^(٢)

وَوَجَدِي بَغِيرٍ وَصَالِ الْغَوَائِي	غَرَامِي بَغِيرِ ذَوَاتِ الْخُدُودِ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا فَبِرَاغُ الْجَنَانِ	وَلِي شُغْلٌ عَنْ هَوَى الْغَانِيَاتِ
أَقَامَ الْعَزِيزُ بِدَارِ الْهَوَانِ	وَمِنْ أَجْلِ وَسْوَاسِ هَذَا الْغَرَامِ
يَقْنِصُ فِي حَوْمَةٍ لِلْجَبَانِ	وَلَوْ لَا الْهَوَى مَا رَأَيْتَ الشُّجَاعَ
مَشْرِقَةً عَنْ وَجْهِ الْحَسَانِ	وَلِي عِنَوضٌ بِوَجْهِ الصَّوَابِ
وَأَغْنَى مِنَ السُّمْرِ سُمْرُ الطَّعَانِ	فَأَغْنَى مِنَ الْبَيْضِ بَيْضُ الضَّرَابِ

وَفِي الْأَبْيَاتِ يَتَوَجَّهُ الشَّاعِرُ بِخَطَابِهِ الشَّعْرِيِّ إِلَى لَاثِمِيهِ عَاتِبًا عَلَيْهِمَا، وَمُؤَبِّخًا
 إِيَّاهُمَا عَلَى عَذْلِهِمَا لَهُ فِي الْحُبِّ ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَجِيبَ لِعَذْلِهِمَا. فَهُوَ لَمْ يَعِشْ أَمْرًا كَسَائِرِ

1 - الشَّيْعَةُ وَالتَّصْحِيحُ - مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ص ٩ .

2 - الْدِيْوَانُ ٣ / ٣٣٨ (مِنْ الْمُتَقَارِبِ) .

الخلق وإنما هو يعشق شيئاً آخر غيرها. إنه يعشق السيوف والرماح.

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ الثَّانِي مِنَ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ فِي سِيَاقٍ حَدِيثِهِ عَنْ عَشِيقِهِ لَغَيْرِ
الْجَمِيلَاتِ ؛ وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِرُ الْجَّارَّ وَالْمَجْرُورَ «لِي» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِخَيْرِ مُحَذُوفٍ عَلَى
الْمَبْتَدِئِ «شُغْلٌ»، فَقَالَ : «وَلِي شُغْلٌ عَنْ هَوَى الْغَانِيَاتِ»؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّهُ - لَا شَكَّ -
مَشْغُولٌ عَنْ هَوَى الْفَاتِنَاتِ بِهَوَى آخَرَ، وَلَا مَكَانَ لَهْنٍ عِنْدَهُ، فَمَا الْحُبُّ - عَلَى حَدِّ
رَأْيِ الْمُرتَضَى - إِلَّا فَرَاغُ الْجَنَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى الْمُحْبُوبِ.

وَقَدَّمَ الشَّاعِرُ - أَيْضًا - فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ الْجَّارَّ وَالْمَجْرُورَ «لِي» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِخَيْرِ
مُحَذُوفٍ عَلَى الْمَبْتَدِئِ «عِوَضٌ»، فَقَالَ : «وَلِي عِوَضٌ بِوَجْهِ الصَّوَابِ»؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّهُ - لَا رَيْبَ
- لَدَيْهِ الْبَدِيلَ عَنْ حُبِّهِ لِلْحَسَنَاتِ بِحُبِّ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُنَّ، بِحُبِّ السَّيْفِ وَالرُّمَحِ.

وَفِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ، يَقُولُ :^(١)

عَتَابٌ لِدَهْرٍ لَا يَمَلُّ عِتَابِي	وَشَكْوَى إِلَى مَنْ لَا يَرُدُّ جَوَابِي
وَأَطْلَبُ مَا أَغْيَا الرِّجَالُ طَلَابُهُ	فَيَا لِلْحِجَا كَمْ ذَا يَكُونُ طَلَابِي
وَبِئْسَ مَا أَذُوذُ النَّاسَ عَنْ بَابِ عِلْمِهِ	وَكُلُّ أَسَاتِي جَاهِلُونَ بِمَا بِي
فَلِي كَبِدٌ تَصْلِي بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ	وَلِي جَسَدٌ يَبْلَى بِغَيْرِ كَعَابِ

وَالشَّاعِرُ فِي الْأَبْيَاتِ يَعْتَبُ عَلَى الدَّهْرِ عَتَبًا ضِيَاعَ أَمَلِهِ فِي تَحْقِيقِ مَطْلَبِهِ، وَيَشْكُو إِلَيْهِ

ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ دَهْرٌ أَصَمُّ أَعْجَمٌ لَا يَجِيبُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ يَخْبِرُ بَأَنَّ مَطْلَبَهُ فِي الْحَيَاةِ عَسِيرٌ...

وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ الشَّاعِرُ عَنِ النُّظَامِ النَّحْوِيِّ الَّذِي يَقْتَضِي تَقْدِيمَ الْمَبْتَدِئِ الْنَكْرَةِ

طَالَمَا وَصِفَ بِجُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ، فَقَالَ «فَلِي كَبِدٌ تَصْلِي بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ» وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ

«وَكَبِدٌ تَصْلِي بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ لِي»؛ وَذَلِكَ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ النَّارَ الَّتِي تَشْتَعِلُ فِي كَبِدِهِ، وَأَنَّ

جَسَدَهُ الَّذِي يَبْلَى سَبَبُهَا عَدَمُ تَحْقِيقِ مَطْلَبِهِ لَا التَّفَكِيرُ فِي الْمَرَاةِ.

١ - الديوان : ١ / ٧٩ (من الطويل).

ومن قصيدة في الرثاء يقول: ^(١)

لَهْنٌ بِبَوَغَاءِ الطُّفُوفِ أَعِزَّةٌ سُقُوا المَوْتَ صِرْفًا صَبِيَّةً وَكُهُولًا ^(٢)

والمُرْتَضَى في هذا البيت يؤكد - خلال تقديم الجار والمجرور «لَهْنٌ» المتعلقين بخبر محذوف على المبتدأ «أَعِزَّةٌ» - اختصاص العلويين بأنهم قد قُتِلُوا على أرض كربلاء. وهو قد عطف كلمة «كُهُولًا» على كلمة «صَبِيَّةً»؛ ليشير إلى أن الأعداء يوم كربلاء لم يفرقوا بين كبير وصغير في القتل؛ فالقتل قد شمل جميع العلويين.

٢- في الجملة الفعلية :

وَقَدْ وَرَدَ تقديم شبه الجملة في الجملة الفعلية بحيث تصدرت التركيب في مائة وخمسين (١٥٠) موضعًا.

يقول المُرْتَضَى في مطلع قصيدة في رثاء الشريف أبي عليٍّ عُمَرَ بن محمد بن عُمَرَ: ^(٣)
عَلَى مِثْلِهِ تُذَرَى العُيُونُ دِمَاءً فَلَا يَحْتَشِمُ بَالِكٍ عَلَيْهِ بُكَاءٌ

وقد خلق الشاعر في هذا البيت تركيبًا أسلوبيًا استطاع أن يعبر به عما يجيش في صدره من معانٍ ومشاعر نحو هذا الشريف، حيث نراه قد قَدَّمَ الجار والمجرور "عَلَى مِثْلِهِ" المتعلقين بالفعل "تُذَرَى" على الفعل والفاعل والمفعول "تُذَرَى العُيُونُ دِمَاءً"؛ ليبين المنزلة الكريمة التي يستحقها الشريف الفقيهُ، فجدير بالعين - إذن - التي تَذْرِفُ دَمْعًا - كما هي طبيعتها - أن تَذْرِفَ الدَّمَ بدلًا من الدَّمْعِ على رَحِيلِ ذَلِكَ الشَّرِيفِ وَرَحِيلِ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ، وَخَلِيقٍ بِالرَّجَالِ أَنْ يَبْكُوهُ دُونَ حَيَاءٍ أَوْ خَجَلٍ.

١- الديوان ٧٨ / ٣ (من الطويل).

٢- البوغاء : دقيق التراب . الطف والطفوف : مكان بأرض كربلاء .

٣- الديوان ١٥ / ١ (من الطويل).

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي الطَّيْفِ يَقُولُ : ^(١)

أَلَا لَيْتَ عَيْشًا مَاضِيًا عَنْكَ بِالْحَمَى - وَإِنْ لَمْ يَعُدْ مَاضٍ - عَلَيْكَ يَعُودُ
وَيَا زُورَنَا لَمَّا سَمَحْتَ بِزُورَةٍ - سَمَحْتَ بِهَا وَهْنَا وَنَحْنُ هُجُودُ
عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرَى بَاعِثًا لَنَا - بِلَا مَوْعِدٍ وَالزَّائِرُونَ هُمُودُ

وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ فِي سِيَاقِ التَّمْنَى، فَالْمُرْتَضَى يَتَمَنَّى أَنْ تَرْجَعَ أَيَّامُ
الْوَصَالِ وَاللِّقَاءِ - كَمَا كَانَتْ فِي الْمَاضِي - بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحَبَّتِهِ / الْخِلَافَةِ، وَلَكِنْ قَدْ عَزَّ
الْلِّقَاءُ، وَصَارَ طَيفًا يَأْتِيهِ نَائِمًا.

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ "عَلَى غَفْلَةٍ" الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْفِعْلِ "جَاءَ" عَلَى الْفِعْلِ
وَالْفَاعِلِ "جَاءَ الْكَرَى"، فَقَالَ: "عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرَى"؛ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ يَتَسَّ مِنْ
لِقَاءِ الْمَحْبُوبَةِ / الْخِلَافَةِ، وَلَمْ يَكُنْ - أَبَدًا - يَتَوَقَّعُ أَنْ تَأْتِيَهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ مَجِيئُهَا لَهُ
فِي الْحُلْمِ، فَقَدْ جَاءَتْ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْهُ، وَعَدِمَ تَوَقُّعَ أَوْ انْتِظَارِ، جَاءَتْ وَكَانَ
مَجِيئُهَا بَاعِثًا لِلْأَمَلِ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ الْحُلْمَ قَدْ يَصِيرُ حَقِيقَةً، وَالْأَمْنِيَّةُ قَدْ تَتَحَقَّقُ.

وَفِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي الشَّيْبِ يَقُولُ : ^(٢)

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى عَجِيبًا - جَرَّ عَلَى مَفْرِقِي الْمَشِيبَا

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ "فِي كُلِّ يَوْمٍ" الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْفِعْلِ "أَرَى" عَلَى
الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ "أَرَى عَجِيبًا"؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى كَثْرَةِ الْأَشْيَاءِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي تَمُرُّ
عَلَيْهِ، وَالَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي ابْيَاضِ شَعْرِهِ.

وَفِي الْقَصِيدَةِ نَفْسِهَا يَقُولُ : ^(٣)

وَمِنْ خُطُوبٍ يَزُرُّنَ قَلْبِي - شَبَبْتُ وَمَا أَنَّ أَشْيَاءًا

1- الديوان ١/ ٢٢٦ (من الطويل).

2- الديوان ١/ ٦٧ من مَخْلَعِ الْبَسِيطِ.

3- الديوان ١/ ٦٧.

والمُرْتَضَى فِي هَذَا الْبَيْتِ قَدْ خَلَقَ تَرْكِيبًا إبداعيًا مُنَحَرِفًا عَنِ النَّسَقِ المِيعَارِيِّ، فَقَالَ: "وَمِنْ خُطُوبٍ يَزُرْنَ قَلْبِي شَبْتُ" بِتَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ "مِنْ خُطُوبٍ" الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْفِعْلِ "شَابَ" عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ "شَبْتُ"؛ وَذَلِكَ لِيُوكِّدَ أَنَّ الْمَصَائِبَ الَّتِي تَوَالَتْ عَلَيْهِ هِيَ وَحْدَهَا السَّبَبُ فِي مَشْيِيهِ قَبْلَ أَوَّانِ مَشْيِيهِ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ التَزَمَ بِـ (النَّسَقِ المِيعَارِيِّ) فَقَالَ: "شَبْتُ مِنْ خُطُوبٍ يَزُرْنَ قَلْبِي" مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا وَحَى التَّرَكِيبُ المِيعَارِيُّ بِأَنَّ هُنَاكَ أَسْبَابًا مُتَعَدِّدَةً وَرَاءَ بُلُوغِهِ الشَّيْبِ، وَهُوَ مَعْنَى بَعِيدٌ عَنْ ذَهْنِ المُرْتَضَى.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ يَقُولُ^(١)

وَبَجَدْنَا وَبِصْنُوهِ دُحِيَّتْ عَنْ الـ بَيْتِ الْحَرَامِ وَزُعْزَعَتْ أَصْنَامُهُ

والمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يَفْتَخِرُ بِالرَّسُولِ ﷺ وَبِالْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)، إِذْ "الصَّنُوهُ هُوَ النَّظِيرُ وَالْمَثَلُ"^(٢) وَالْمَقْصُودُ بِهِ - هَاهُنَا - الْإِمَامُ عَلِيٌّ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِمَا "وَبَجَدْنَا وَبِصْنُوهِ" الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْفِعْلِ "دُحِيَّتْ" عَلَى الْفِعْلِ وَتَعَلَّقَهُ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ "دُحِيَّتْ عَنْ الْبَيْتِ وَزُعْزَعَتْ أَصْنَامُهُ"؛ لِيُوكِّدَ اخْتِصَاصَ الرَّسُولِ وَالْإِمَامِ عَلِيٍّ بِأَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ هَدَمَا أَصْنَامَ الْكُفَّةِ لَا غَيْرُهُمَا، كَمَا أَنَّ فِي تَقْدِيمِهِمَا عَلَى جَمِيعِ عُنَاصِرِ التَّرَكِيبِ مَا يُوجِي بِعِظَمِ مَنْزِلَتِهِمَا فِي نَفْسِ المُرْتَضَى، فَهُوَ قَدْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُصَدَّرَ بِهِمَا التَّرَكِيبَ وَيُقَدِّمَهُمَا عَلَى بَقِيَّةِ عُنَاصِرِهِ، كَمَا أَنَّهُمَا مُقَدَّمَانِ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ.

1- الديوان ١٦٢/٣ (من الكامل).

2- إبراهيم أنيس ورفاقه: المعجم الوسيط - أشرف على الطبع: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين - الطبعة الثانية - ١٩٧٢م - ص ٥٥٢.

ومن أمثلة ذلك في شعر المرتضى قوله في مطلع قصيدة في الغدير: ^(١)
عَلَى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ تُحْنَى الرَّوَاجِبُ وَتُطَوَّى بِفَضْلِ حِيزٍ فِيهِ الْحَقَائِبُ ^(٢)

وقد وردَ هذا البيتُ في سياقِ حديثِ المرتضى عن يومِ الغديرِ مبيِّناً فضله، وَمِنْ
ثُمَّ فَإِنَّ قَوْلَهُ: " تُحْنَى الرَّوَاجِبُ " كنايةٌ عن التقديرِ والاحترام، وَقَوْلُهُ: " تُطَوَّى...
الْحَقَائِبُ " كنايةٌ عن الاستعدادِ للاحتفالِ بهذا اليومِ.

وَإِذَنْ، فالمرتضى يؤكدُ - خلالَ تقديمِ شبه الجملةِ " على مثلِ هذا اليومِ " على
الفعلِ ونائبِ الفاعلِ " تُحْنَى الرَّوَاجِبُ " - أَنَّ يومَ الغديرِ وَمَا كَانَ عَلَى صِفَتِهِ مِنْ
الأيامِ جَدِيرٌ بِأَنْ تُحْنَى لَهُ الْأَصَابِعُ احترامًا وتقديرًا، وَجَدِيرٌ - أَيْضًا - بِأَنْ تُجَهَّزَ لَهُ
الْحَقَائِبُ بِالزَّادِ والمتاعِ استعدادًا للاحتفالِ به ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَضْلِهِ عَلَى الْعُلَوِيِّينَ.

ثانيًا: التقديم في التركيب الإسنادي :

١- تقديم المبتدأ على خبره الفعلي في شعر المرتضى :

وَقَدْ وَرَدَ تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى تِسْعِينَ وَثَلَاثَةً
(٣٩٠) مَرَّةً، وَقَدْ تَنَوَّعَ الْمَبْتَدَأُ الْمُقَدَّمُ فِي الدِّيوانِ، فَجَاءَ ضَمِيرًا كَمَا جَاءَ اسْمًا ظَاهِرًا،
وَجَاءَ مَنْفِيًّا كَمَا جَاءَ مُثَبَّتًا، وَجَاءَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ كَذَلِكَ بِلَفْظِي " مِثْلٌ وَغَيْرٌ ".

أ- تقديم المبتدأ المثبت على خبره الفعلي :

وَقَدْ وَرَدَ تَقْدِيمُ هَذِهِ السَّمَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ تِسْعًا وَسِتِينَ وَثَلَاثَةً (٣٦٩) مَرَّةً. وَمِنْهَا

قَوْلُ الْمُرْتَضَى فِي قَصِيدَةٍ يَرْتَثِي فِيهَا جَدَّهُ الْحُسَيْنَ (عليه السلام) : ^(٣)

أَلْ يَاسِيسِينَ وَمَنْ فَضُّ لُهُمْ أَغْيَا اللَّيْبِ
أَنْتُمْ أَمْنِي لَدَى الْحَشِّ رِ إِذَا كُنْتُ نَجِيًّا

1- الديوان: ١ / ٣٥ (من الطويل).

2- الرواجب: مفاصل الأصابع ، ومفردتها الراجبة.

3- الديوان ١ / ٧١ (من مجزوء الرمل).

أَنْتُمْ كَشَفْتُمْ لِي بِالْبَاشِ الْغُيُوبَا

والشعراء - كما هو معلوم - لا يَقْفُونَ في رثائهم عند وصف الأحران والآلام فَحَسَبُ، وإنما نجدُهم قد تجاوزوا ذلك إلى رَصدِ الصِّفَاتِ والمِيزَاتِ التي من شأنها أَنْ تُعْلَى من قَدْرِ مِيتِهِمْ. "فَهُمْ يَصِفُونَ المِيتَ بِجَمِيعِ الْفَضَائِلِ الَّتِي يُفَاخِرُونَ بِهَا بِأَسْلُوبٍ يَتَضَحُّ فِيهِ التَّفَجُّعُ والتَّكْهَفُ، وَيَنْعَوْنَ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَّصِفُ بِهَا، وَكَأَنَّهَا ذَهَبَتْ بِذَهَابِهِ، وَأَنْدَثَرَتْ بِمَوْتِهِ"^(١).

ولذا نجدُ المُرْتَضَى في هذا المقطع يتوجَّه إلى آل البيت بخطابه الشُّعْرِيّ، ليقول لهم : أنتم يا آل النبي لكم من الفضل والكرم ما يعجزُ الحَصِيفُ عَنْ عَدِّهِ وَحَضْرِهِ، وأنتم تعلمون الغيبَ وَحَدِّثُكُمْ دُونِ سِوَاكُمْ. . . والذي سَوَّغَ للمرتضى أَنْ يَبُوحَ بهذا المعنى هو انحرافُهُ في تَرْكِيبِهِ عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، حيثُ قَالَ : "أَنْتُمْ كَشَفْتُمْ الْغُيُوبَا" بتقديمِ المبتدأ "أَنْتُمْ" على خبره الْفِعْلِيِّ ؛ لِيُقَيِّدَ اخْتِصَاصَهُمْ بِكَشْفِ الْغَيْبِ، ولأنَّهُ لو التزمَ بِمَا هُوَ مَقْرَّرٌ في علم التراكيب، فَقَالَ "كَشَفْتُمْ الْغُيُوبَا" لأَوْحَى التَّرْكِيبُ الْمَعْيَارِيُّ بِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى أئمةِ الشَّيْعَةِ وَحَدَّهُمْ وإنما يُشَارِكُهُمْ في ذلك آخَرُونَ. وهذا المعنى لا يُرِيدُهُ المُرْتَضَى.

فالتَّرْكِيبُ الْإِبْدَاعِيُّ - إِذَنْ - يَكْشِفُ عَنْ عَقِيدَةِ لَدَى الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَهِيَ أَنَّ أئمتَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ إِمَامِهِمْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، أَنَّهُ قَالَ : "إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ"^(٢).

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدة في رثاء الحسين (عليه السلام) :^(٣)

1 - مصطفى عبد الشافي الشوري: شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية - الشركة المصرية

العالمية للنشر - لونغمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٥م - ص ٩٧.

2 - الكافي في الإمامة - مرجع سابق - ٢٥٨/١.

3 - الديوان ٢/ ٩٥ (من السريع).

مَتَّى أَرَى حَقَّكُمْ عَائِدًا إِلَيْكُمْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 حتَّى متى أُلَوِي بِمَوْعُودِكُمْ أُمَاطُ مَنْ عَامٍ إِلَى شَهْرِ
 لَوْ لَا هَنَاتٌ هُنَّ يَلْوِينَنِي لَبُخْتُ بِالْمَكْتُومِ مِنْ سِرِّي^(١)
 وَلَمْ أَكُنْ أَقْنَعُ فِي نَضْرِكُمْ بِنَظْمِ آيَاتٍ مِنَ الشُّعْرِ

ويستهلُّ المرتضى قصيدته بالبكاء على أطلال ديار آل البيت ثم ينتقل إلى نذب
 جدِّه الحسين ومَنْ قُتِلَ مَعَهُ فِي كَرْبَلَاءَ، ذَاكِرًا أَنَّ الْأُمُوِينَ قَدْ اسْتَوَلَوْا عَلَى إِرْثِ
 العلويين في الخلافة غَضَبًا وَلَمْ يَخْفَلُوا بِهَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، إِذْ يَقُولُ^(٢)
 وَاطْرَحُوا السَّهَجَ وَلَمْ يَخْفَلُوا بِمَا لَكُمْ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
 وَاسْتَلْبُوا إِرْثَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ يَدِ الْقَسْرِ

ثم تأتي الأبيات السابقة، وفيها يَتَمَنَّى المرتضى - خِلَالَ الاستفهام - أَنْ يَسْتَرِدَّ
 العلويون حَقَّهُمْ فِي الْخِلَافَةِ مِنَ الْعَبَاسِيِّينَ، وَيَسْتَبْطِئُ عَوْدَةَ هَذَا الْحَقِّ، ثُمَّ يَخْبِرُ بِأَنَّ
 هُنَاكَ هَنَاتًا هِيَ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنَ الْبُوحِ بِهَذَا الْحَقِّ (السَّرِّ)، وَلَوْلَا هَذَا لَمَا اكْتَفَى بِمَنَاصِرَةِ
 العلويين عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ شِعْرًا.

وَلِذَا فَقَدْ انْحَرَفَ الْمُرتَضَى فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ مِنَ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، وَقَدَّمَ الْمَبْتَدَأَ
 هُنَّ "عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِ" يَلْوِينَنِي "فَقَالَ" لَوْلَا هَنَاتٌ هُنَّ يَلْوِينَنِي "وَلَمْ يَقُلْ" لَوْلَا
 هَنَاتٌ يَلْوِينَنِي؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ خَوْفَهُ مِنَ الْعَبَاسِيِّينَ يَقِفُ - لَا مَحَالَةَ - سَدًّا مَنِيعًا بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ الْبُوحِ بِسِرِّهِ هَذَا.

وَقَدْ صَوَّرَ الْمُرتَضَى بَطْشَ الْحُكَّامِ الْعَبَاسِيِّينَ بِأَنَّهَا هَنَاتٌ - أَيْ أُمُورٌ بَسِيطَةٌ -
 لِلْإِسْتِخْفَافِ بِهِمْ، وَبِقُوَّتِهِمْ. ثُمَّ أَكَّدَ أَنَّ هَذِهِ الْهَنَاتُ هِيَ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنَ الْإِفْصَاحِ عَنْ حَقِّ

١- الْهَنَاتُ : جَمْعُ (الْهَنَةِ) وَهِيَ الشَّيْءُ الصَّغِيرُ.

٢- الدِّيَّان : ٩٣ / ٢ .

العلويين في الخلافة، وَتَجَعَلُهُ سِرًّا لَا يُمْكِنُ الْبُوحُ بِهِ ؛ لِيُشِيرَ بِذَلِكَ إِلَى تَفَرُّقِ الشُّيْعَةِ وَضَعْفِهِمْ، وَلِيُعْطِيَهُمْ - فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - الْأَمَلُ فِي اسْتِرْدَادِ هَذَا الْحَقِّ إِنْ هُمْ اتَّخَذُوا.

فَمِهْمَةُ الشُّعْرِ - إِذَنْ - وَوُظِيفَتْهُ عِنْدَ الْمُرْتَضَى هِيَ الدَّفَاعُ عَنْ آلِ الْبَيْتِ وَمُنَاصَرَتُهُمْ ؛ أَيْ إِنَّ الشُّعْرَ يَرْتَبِطُ عِنْدَهُ "بِمَوْقِفِ عَقَائِدِي" هُوَ الْفِكْرُ الشُّيْعِيُّ الْمَتَعَلِّقُ بِالْمَاضِي الْأَمَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ الْمَاضِي حَيْثُ الْأَوَائِلُ مِنَ الرُّوَادِ الَّذِينَ عَانُوا الْكَثِيرَ مِنْ أَجْلِ حَقِّهِمُ السِّيَاسِيِّ وَلَمْ يَجْنُوا إِلَّا الْقَلِيلَ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِاعْتِبَارِهِ فُسْحَةٌ الْأَمَلِ فِي تَحْقِيقِ الْحُلْمِ وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الْمَاضِي بِمَآسِيهِ وَتَأْسِيسِ مَاضٍ جَدِيدٍ فِي ضَوْءِ حَاضِرٍ أَفْضَلَ^(١) يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ يُعَزِّي فِيهَا الْقَاضِي أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيَّ فِي وَلَدٍ لَهُ غَرِقَ :^(٢)

لَا تَشْكُنَ بِالَّذِي قَسَمَ الْأَعْمَارَ مَآرَ فَالَهِ قَسَمَ الْأَعْمَارَ

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ. فَالْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ حِينَ غَرِقَ ابْنُهُ انْكَرَرَ الْمَصِيبَةَ، وَلَمْ يَتَقَبَّلْهَا، فَاحْتَاجَ الْخَبْرُ إِلَى بَيَانِ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا غَيْرِهِ ؛ لِيُزَوِّلَ هَذَا الْإِنْكَارَ وَذَلِكَ الشُّكُّ.

وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الْمُبْتَدَأَ "اللَّهُ" عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ، فَقَالَ : "اللَّهُ قَسَمَ الْأَعْمَارَ" وَلَمْ يَقُلْ "قَسَمَ اللَّهُ الْأَعْمَارَ" لِيُفِيدَ اخْتِصَاصَ اللَّهِ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) بِتَقْسِيمِ الْأَعْمَارِ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّ هَذَا التَّقْدِيمَ لَا يَخْلُو مِنْ إِفَادَةِ التَّوَكُّيدِ وَالتَّبْقِيرِ، "لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّ الْإِخْتِصَاصَ مُتَضَمِّنٌ لِلتَّوَكُّيدِ"^(٣) وَهُوَ - أَيْضًا - يُوجِي بِتَعْظِيمِهِ (سُبْحَانَهُ). وَفِي هَذَا كُلِّهِ مَا يَدْعُو الْقَاضِي إِلَى التَّعَزِّي وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَصِيبَةِ الَّتِي لَحَقَتْ بِهِ.

1- أحمد يوسف علي : مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين - مرجع سابق - ص ٦٥ .

2- الديوان : ٤٨ / ٢ (من الخفيف) .

3- محمد أبو موسى : خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الخامسة - ٢٠٠٠م - ص ٢٢٨ .

ب - تقديم المسند إليه، لفظ (مِثْلُ أو غَيْرُ) عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ :
وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ السُّمَّةُ التَّرَكِيبِيَّةُ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعَ.

يقول المُرْتَضَى ^(١)

صَبَرْتُ وَمِثْلُكَ لَا يَجْزَعُ وَنَاءً بِهَا صَدْرُكَ الْأَوْسَعُ

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المُرْتَضَى أحد الهاشميين وَيُعَزِّيهِ فِي فَقِيدَةٍ لَهُ.
فَسِيَاقُ الْقَصِيدَةِ - إِذَنْ - سِيَاقُ مَدْحٍ وَذِكْرٍ لِمَنَاقِبِ أَحَدِ آلِ الْبَيْتِ. " وَمَعَانِي الْمَدِيحِ
تَحْتَاجُ إِلَى تَقْرِيرٍ وَتَقْوِيَةٍ لِتَأْنَسَ بِهَا النَّفْسُ، وَلِتَكُونَ فِي الصِّيَاغَةِ الْمَطْبُوعَةِ دَلِيلَ صِدْقِ
الشَّاعِرِ فِي إِحْسَاسِهِ " ^(٢) ؛ وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ لَفْظَ " مِثْلُ " عَلَى خَبَرِهِ
الْفِعْلِيِّ، فَقَالَ " وَمِثْلُكَ لَا يَجْزَعُ " ؛ لِإِفَادَةِ التَّوَكُّيدِ.

ويقول عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ : " وَمِمَّا يُرَى تَقْدِيمُ الْأَسْمِ فِيهِ كَاللَّازِمِ : " مِثْلُ " وَ

غَيْرُ " ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ السَّدْمَ عَنْ غُرْبِهِ

وَقَوْلِ النَّاسِ : " مِثْلُكَ رَعَى الْحَقَّ وَالْحُرْمَةَ " ، . . . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُقْصَدُ فِيهِ
بـ " مِثْلُ " إِلَى إِنْسَانٍ سِوَى الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْنُونَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي
الْحَالِ وَالصِّفَةِ، كَانَ مِنْ مُقْتَضَى الْقِيَاسِ وَمُوجِبِ الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ أَوْ
أَنْ لَا يَفْعَلَ " ^(٣)

فَالشَّاعِرُ - إِذَنْ - قَدْ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ " مِثْلُ " كِنَايَةً عَنِ الشَّخْصِ الْهَاشِمِيِّ الَّذِي
يُخَاطَبُهُ، وَلَمْ يَقْصِدْ أَبَدًا أَنْ يُعَرِّضَ بِشَخْصٍ آخَرَ عَلَى صِفَتِهِ فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ فَقَوْلُهُ :
" مِثْلُكَ لَا يَجْزَعُ " مَعْنَاهُ " أَنْتَ لَا تَجْزَعُ " ، لِأَنَّ لَفْظَ " مِثْلُ " مُرَادُّ بِهِ الضَّمِيرُ الَّذِي

1 - الديوان : ١٩٣ / ٢ (من المتقارب) .

2 - خصائص التراكيب : مرجع سابق - ص ٢٢٢ .

3 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - مرجع سابق - ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

أُضِيفَ إِلَيْهِ.

فَالْمُرْتَضَى يَخَاطَبُ ذَلِكَ الْهَاشِمِيَّ، وَيَقُولُ لَهُ : لَقَدْ صَبَرْتَ أَنْتَ عَلَى مَصِيبَتِكَ،
وَلَا مُحَالَةَ أَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ، وَمَنْ كَانَ يُبَالِغُكَ فِي صِفَاتِكَ كَانَ هَذَا شَأْنَهُ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ
قَلْبُكَ أَنْ يَنْهَضَ بِهَذِهِ الْمَصِيبَةِ.

وَفِي قَصِيدَةِ يَهْنَى فِيهَا الْقَائِمَ بْنِ الْقَادِرِ بِالْخِلَافَةِ يَقُولُ الْمُرْتَضَى ^(١)
وَعَايِرُكَ يَنْدَمُ فِي فَائِتٍ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ عَضِّ الْبَنَانِ

وَالْمُرْتَضَى لَمْ يُرِدْ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَنْ يُعَرِّضَ بِشَخْصٍ آخَرَ غَيْرِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بْنِ
الْقَادِرِ، لِيَصِفَهُ بِالنَّدَمِ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفِي عَنِ الْقَائِمِ عَيْنَهُ صِفَةَ النَّدَمِ عَلَى
مَا فَاتَهُ، فَكُنِيَ عَنْهُ بِكَلِمَةِ "غَيْرُكَ"، فَقَالَ : "وَعَايِرُكَ يَنْدَمُ فِي فَائِتٍ" وَهُوَ يَقْصِدُ أَنْ
يَقُولَ : "وَأَنْتَ - أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ - لَا تَنْدَمُ فِي فَائِتٍ" وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ التَّهْنِئَةِ
وَالْمَدِيحِ، وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الْمَبْتَدَأَ عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ، فَقَالَ : "وَعَايِرُكَ يَنْدَمُ" ؛
لِيَقْوَى الْمَعْنَى وَيُؤَكِّدَهُ، وَكَأَنَّهُ بِهَذَا التَّقْدِيمِ يَقُولُ : أَنْتَ - أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ - لَا
تَنْدَمُ - لَا مُحَالَةَ - عَلَى مَا فَاتَكَ، حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

ج - تقديم المسند إليه المنفي على خبره الفعلي :

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ السَّمَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ. وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ يَهْنَى

فِيهَا جَلَالُ الدَّوْلَةِ بَعِيدُ الْفَطْرِ : ^(٢)

وَلَمْ يُرْضِكُمْ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَطْوَعُ	يُعَنِّفُنِي قَوْمِي بِأَنِّي أَطِيعُكُمْ
وَالْأَمْرُ فِي الْغَيْبِ مُوَلَّعُ	وَلَمْ يَلْحَنِي فِي نُصْحِكُمْ غَيْرُ كَاشِحِ
لِقَلْبِي لَا يُلَوِّى وَلَا هُوَ يَنْزَعُ	وَلَوْ أَنْصَفُوا لَمْ يَعْدِلُونِي فِي هَوَى

وَالنَّاضِرُ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَجِدُ أَنَّ سِيَاقَهَا سِيَاقُ تَحْقِيرٍ، فَالْمُرْتَضَى يَخَاطَبُ فِيهَا

1 - الديوان : ٣ / ٣٣٩ (من المتقارب).

2 - الديوان : ٢ / ١٨٩ (من الطويل).

الملك وَيَتَمَرَّد ؛ ومن ثَمَّ فَقَدْ نَكَّرَ المسندَ إليه " قوم " للتقليلِ مِنْ شَأْنِهِمْ. ثُمَّ هُوَ يَخْبِرُ بِأَنَّ أَوْلَئِكَ العاذِلِينَ اللَّائِمِينَ عَلَى حُبِّ الْمَلِكِ وَطَاعَتِهِ مَا هُمْ إِلَّا قَوْمٌ حَاقِدُونَ يَضْمُرُونَ الْعَدَاوَةَ لَهُ - أَيِ لِلْمَلِكِ -، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَؤُوا حِينَ لَأَمُوهُ عَلَى حُبِّهِ لَجَلَالِ الدَّوْلَةِ ؛ لِأَنَّ حُبَّ الْمَلِكِ ثَابِتٌ فِي قَلْبِهِ لَا يَزُولُ، وَمَا عَدَاهُ زَائِلٌ.

وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَقَدَّمَ الْمُسْنَدَ إِلَيْهِ الْمُنْفَى، فَقَالَ: " وَلَا هُوَ يَنْزَعُ "؛ لِيَنْفَى عَنْ قَلْبِهِ الْكَفَّ وَالانْتِهَاءَ عَنْ حُبِّ جَلَالِ الدَّوْلَةِ، وَيُثَبِّتَ لَهُ الْكَفَّ عَنْ حُبِّ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ.

د - تقديم المستند إليه لفظ " ما كل " عَلَى خَيْرِهِ الْفِعْلِي :

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ السَّمَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ شَعْرِ الْمُرْتَضَى.

وَمِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ قَوْلُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَهَا إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ يَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ زِيَارَتِهِ لَهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الدِّيَارِ: ^(١)
وَلَوْ لَا هَنَاءُ كُنْتُ أَقْرَبَ مَنْزِلًا وَمَا كُلُّ سِرٍّ فِي جَوَانِحِنَا نُبْدَى.

وَالْمُرْتَضَى فِي هَذَا الْبَيْتِ يَخَاطِبُ الْوَزِيرَ أَبَا سَعْدٍ ذَاكِرًا السَّبَبَ فِي عَدَمِ زِيَارَتِهِ (الْمُرْتَضَى) لَهُ، مُحْذِرًا بِأَنَّ هُنَاكَ هَنَاءًا هِيَ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنَ الزِّيَارَةِ.

وَيَبْدُو لِي أَنَّ هَذِهِ الْهَنَاتَ هِيَ - كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلُ - بَطْشُ الْحُكَّامِ الْعَبَّاسِيِّينَ، وَأَنَّ هَذَا السِّرَّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْمُرْتَضَى أَنْ يُفْصِحَ عَنْهُ هُوَ أَحَقِّيَّةُ الْعَلَوِيِّينَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ الْمَبْتَدَأَ / لَفْظَ الْعُمُومِ الْمُنْفَى " مَا كُلُّ "؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ هَذَا السِّرَّ لَا يُمْكِنُ الْبُوحُ بِهِ، وَأَنَّ هُنَاكَ مِنَ الْأَسْرَارِ مَا يُمْكِنُ إِفْشَاؤُهَا وَعَدَمُ سَرِّهَا.

تمهيد :

و" المسند يُرادُ به في النَّحو خبرُ المبتدأ في الجملة الاسمية والفعل في الجملة الفعلية "١" والفعل مقدّم وجوباً على فاعله أمّا الخبر فيجوز تقديمه في مواضع بعينها على مبتدئه على أن الأصل تأخيرُهُ.

وإذن، فسوف أستبعدُ تقديم الفعل في الجملة الفعلية لأنّ تقديمه واجب، وتقديم شبه الجملة المتعلّقة بالخبر المحذوف في الجملة الاسمية لأنها رُصدت ودُرست في مبحث تقديم شبه الجملة. وستقتصر الدراسة على تقديم الخبر المفرد على المبتدأ المعرفة أو ما هو في حكم المعرفة.

تقديم الخبر وما أصله الخبر على المبتدأ في شعر المرتضى
وقد ورد تقديم الخبر وما أصله الخبر على المبتدأ في شعر المرتضى سبعة وسبعين
(٧٧) مرّة، توزّع على نوعين :

أ - تقديم الخبر على المبتدأ.

ب - تقديم خبر الناسخ على اسمه.

١ - تقديم الخبر على المبتدأ :

قدّم الخبر على المبتدأ اثنين وأربعين مرّة.

ومن هذا التقديم قول المرتضى من قصيدة في يوم الغدير^(٢)
ونحن الرؤوس والشّوى أنتم لنا ومن دُوننا أتباعنا والأصاحب

وقد ورد هذا البيت في سياق حديث المرتضى عمّا نزل بالبيت من بعد يوم
الطف من تشريد... فقد كانوا قبل هذا اليوم متّحدين مجتمعين ثم صاروا - بعده
- متمزقين متفرّقين. وهو في البيت السابق يتوجّه بخطابه الشعري إلى بنى أميّة

١ - معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية - مرجع سابق - ص ١٤٢

٢ - الديوان ١ / ٣٦ (من الطويل) .

مُقَارِنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آلِ الْبَيْتِ، مُصَوِّرًا أَنَّ آلَ الْبَيْتِ هُمْ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُمْ
مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ هُمْ الْأَطْرَافُ.

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى فِي هَذَا السِّيَاقِ الْخَبَرَ "الشَّوَى" عَلَى الْمُبْتَدِ "أنتم"، فَقَالَ :
"وَالشَّوَى أَنْتُمْ" ؛ وَذَلِكَ لِلتَّعْجِيلِ بِتَحْقِيرِ الْأُمَوِيِّينَ.

٢ - تقديم خبر الناسخ على اسمه :

وَقَدْ قَدَّمَ خَبْرُ النَّاسِخِ عَلَى اسْمِهِ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً.

وَمِنْ هَذَا التَّقْدِيمِ قَوْلُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ يُعَزِّي فِيهَا الْقَاضِي أَبَا الْقَاسِمِ

عَبْدَ الْعَزِيزِ ابْنَ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ فِي وَلَدٍ لَهُ غَرِقَ :^(١)

لَيْسَ عَارًا هَذَا الْمَصَابُ وَكَانَ الضُّعْفُ عَنْهُ بَيْنَ الْأَجَالِدِ عَارًا

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ أَنَّ الْمَوْتَ لَا يُبْقَى عَلَى أَحَدٍ
سَيِّدٍ وَمَسُودٍ. فَهُوَ مِنْ شُئْنِ الْحَيَاةِ. وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا طَائِرٌ سَكَنَ الْعُشَّ قَلِيلًا ثُمَّ طَارَ ؛
فَلَيْسَ عِيًّا أَوْ عَارًا - إِذَنْ - أَنَّ نَصَابَ بَوْفَاةٍ أَحَدٍ أَوْلَادِنَا، وَإِنَّمَا الْعَيْبُ وَالْعَارُ أَلَّا
نَصْبِرَ عَلَى مَصِيبَتِنَا وَنَحْنُ مِنْ أَوْلَى الصَّبْرِ، وَلِذَا، فَقَدْ انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنْ النِّظَامِ
النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ خَبَرَ لَيْسَ وَهُوَ "عَارًا" عَلَى اسْمِهَا (وَهُوَ اسْمُ الْإِشَارَةِ "هَذَا")
لِإِظْهَارِ أَلِيَّةِ النَّفْسِيِّ وَضَيْقِهِ الشَّدِيدِ مِنَ الْمَعَزِيِّ لِقَلَّةِ صَبْرِهِ عَلَى مَصِيبَتِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شِيَمَتِهِ.

ثالثًا: تقديم الفضلات والمكملات :

وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْفَضْلَاتُ عَلَى أَرْكَانِ الْجُمْلَةِ الْأَسَاسِيَةِ أَوْ تَقَدَّمَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ

فِي شَعْرِ الْمُرْتَضَى خَمْسًا وَتِسْعِينَ وَمِائَتِي (٢٩٥) مَرَّةً.

عَلَى أَنَّ ثَمَّةَ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَضْلَاتِ لَمْ يَرِدْ تَقْدِيمُهَا فِي شَعْرِ الْمُرْتَضَى إِلَّا نَادِرًا، مِثْلُ :

تقديم المفعول به على الفعل، وعلى المفعول المطلق، وتقديم المفعول المطلق على الفاعل،

١ - الديوان : ٤٨ / ٢ (من الخفيف).

وتقديم المفعول لأجله على الفعل، ولذا لم أقم بإحصائها ودراسيتها فيما أنا بصددِهِ.
وها هي ذى الأنواع المتكررة في تقديم الفضلات عند المرتضى مرتبة ترتيباً
تنازلياً حسب نسب ورودها في شعره.

١ - تقديم المفعول به الظاهر على الفاعل :

والأصل في الفاعل أن يتقدم على المفعول به ؛ لأنه عُمدة يُفتقر إليه في الكلام،
والمفعول فضلة يُستغنى عنه فيه، والعُمدة أحق بالتقديم ؛ ولأنه كالجزء من الفعل
فينبغي ألا يفصل بينهما بشيء^(١) هذا، وقد انحرف المرتضى عن هذا الأصل
المفترض، وقدم المفعول به الظاهر على الفاعل في سبعة وأربعين ومائتي (٢٤٧)
موضع لأسرار دلالية.

يقول المرتضى في مطلع قصيدة في رثاء أحد العلويين^(٢) :

صَبْرًا، فَفِي الصَّبْرِ الْجَمِيـ	لِ يَهْوُونَ فِينَا مَا يَهْوُونَ
لَا تَجْزَعَنَّ لَكَائِنِ	مَاضٍ وَخُذْ مَا لَا يَكُونُ
وَدَعِ الْحَيْنَ فَإِنَّهُ	مَا رَدَّ مُفْتَقِدًا حَيْنُ

والمُرتضى في هذه الأبيات يُعزى صاحبه، ويدعوه إلى الصبر والتجلد، مبيناً له أنَّ
الحينَ للفقيد لا يُرجعه، ولذا فقد قدم المفعول به "مُفْتَقِدًا" على الفاعل "حين" في
البيت الثالث، فقال : "مَا رَدَّ مُفْتَقِدًا حَيْنُ" ليفيد أنَّ ذلك الفقيد لن يعودَ عن طريق
الحين أو عن طريق غيره مما يُساعد المصاب على أن يصبر على مصيبته ؛ لأنه لا
جُدوى من البكاء.

ومنه - أيضاً - قول المرتضى^(٣) :

١ - ينظر : سعد الدين التفتازاني : المطول - مطبعة : أحمد كامل - ١٣٣٠هـ - ص ٢٠١ .

٢ - الديوان / ٢٩٢ (من مجزوء الكامل).

٣ - الديوان : ٣ / ٣٦٥ (من الطويل).

وَزَارَتْ وَسَادِي فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً أَرَاهَا الْكَرَى عَيْنِي وَلَسْتُ أَرَاهَا
وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ طَيْفِ زَارَةٍ ؛ وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ
الْمُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ بِهِ الظَّاهِرَ " وَسَادِي " عَلَى الْفَاعِلِ "
خَرِيدَةً"، فَقَالَ : " وَزَارَتْ وَسَادِي فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً " ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ الزِّيَارَةَ كَانَتْ
حُلْمًا وَأَنَّ الْمَرَأَةَ لَيْسَتْ امْرَأَةً حَقِيقَةً، وَلِتَأْكِيدَ هَذَا الْمَعْنَى أَتَى بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ " فِي الظَّلَامِ
" مُقَدِّمَةً هِيَ الْآخَرَى عَلَى الْفَاعِلِ .

٢- تقديم الحال عَلَى صَاحِبِهَا :

وَالْأَصْلُ فِي الْحَالِ أَنْ يُذَكَّرَ عُقَيْبُ ذِي الْحَالِ^(١) وَلَكِنَّ الْمُرْتَضَى اِنْحَرَفَ عَنْ هَذَا
الْأَصْلِ الْمُفْتَرَضِ وَقَدَّمَ الْحَالَ عَلَى صَاحِبِهَا فِي سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا .
يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ يُعَزِّي فِيهَا عَمِيدَ الرُّؤَسَاءِ أَبَا طَالِبٍ بَنَ أَيُوبَ فِي وَلَدٍ
سَقَطَ عَلَيْهِ السَّقْفُ فَمَاتَ، وَسَلِمَ أَخُوهُ :^(٢)

وَنَجَا سَالِمًا مِنَ الْهُوْلِ مِنْ دَا وَى نَجَاءً مِنْهُ الْفَوَادُ الْوَجِيعَا

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى إِلَى ابْنِ أَيُوبَ حَاطًا لَهُ عَلَى الصَّبْرِ،
مُذَكِّرًا إِيَّاهُ أَنَّ اللَّهَ - وَإِنْ أَخَذَ أَحَدَ بَنِيهِ - فَقَدْ تَرَكَ لَهُ الْبَاقِينَ جَمِيعَهُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ
وَيَهْوَى، وَتَرَكَهُ هُوَ أَيْضًا فَعَلَيْهِ - إِذَنْ - أَنْ يَتَرَكَ الْحُزْنَ إِلَى السَّرُورِ، وَلَا يَذْرِفَ
الدَّمْعَ عَلَى مَنْ مَضَى .

وَلِذَا، فَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ الْحَالَ " سَالِمًا " عَلَى
صَاحِبِهَا " مَنْ دَاوَى الْفَوَادُ الْوَجِيعَا " لِلتَّعْجِيلِ بِالْمُسْرَةِ، حَيْثُ عَجَّلَ الشَّاعِرُ ذِكْرَ مَا
يَفْرَحُ وَيَسُرُّ، وَهُوَ قَوْلُهُ : " سَالِمًا " ؛ لِيَحُثَّهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّخَلُّى عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ حُزْنٍ .

١- ينظر المطول - مرجع سابق - ص ٢٠٢ .

٢- الديوان ٢٠٧/٢ (من الخفيف) .

وَمِنْ تَقْدِيمِ الْحَالِ عَلَى صَاحِبِهَا، قَوْلُهُ : ^(١)
وَكَمْ لَيَالٍ مَضَتْ لِي فِي خَنَاصِرَةٍ يَنَامُ فِيهَا قَرِيرًا مَنْ يُؤَرِّقُنِي

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ الْمَقْدَمَةِ الْغَزَلِيَّةِ لِقَصِيدَةٍ فِي مَدِيحِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ
وَالْمُرْتَضَى يُصَوِّرُ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ الْغَزَلِيَّةِ عِشْقًا سَكَنَ قَلْبَهُ فَأَشْقَاهُ. فَهُوَ قَدْ أَحَبَّ ظَالِمًا
لَا يَنْصِفُ، وَقَاسِيًا لَا يَرْحَمُ، إِنَّهُ يَعِدُ وَمَا الْوَفَاءُ مِنْ طَبْعِهِ، وَيُسِيءُ إِلَى مَنْ مُلِكَ أَمْرُهُ.
وَلِذَا، فَقَدْ انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ الْحَالِ "قَرِيرًا" عَلَى
صَاحِبِهَا "مَنْ يُؤَرِّقُنِي" فَقَالَ "يَنَامُ فِيهَا قَرِيرًا مَنْ يُؤَرِّقُنِي" ؛ لِيُنَاسِبَ سِيَاقَ الْأَبْيَاتِ
الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا، وَلِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ مَحَبَّةَهُ / الْخِلَافَةَ تَنَامُ قَرِيرَةً الْعَيْنِ خَالِيَةً الْبَالِ. فَالشَّاعِرُ
مَهْمُومٌ - أَبَدًا - بِخَلِيٍّ بَاتَ يَشْغَلُهُ.

٣- تَقْدِيمُ النَّعْتِ الْجُمْلَةِ عَلَى النَّعْتِ الْمَفْرَدِ:

وَيَقْتَضِي النَّظَامُ النَّحْوِيُّ فِي النَّعْتِ أَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا لَا جُمْلَةً كَخَيْرِ الْمَبْتَدِئِ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَأْتِيَ جُمْلَةً وَإِذَا نُعِتَ بِمَفْرَدٍ وَجُمْلَةٍ فَالْأُولَى أَنْ يَتَقَدَّمَ الْمَفْرَدُ ؛ لِأَنَّهُ يُوَافِقُ الْقَاعِدَةَ
الْمُعْيَارِيَّةَ، وَلَكِنَّ الْمُبْدَعَ قَدْ يَنْحَرِفُ عَنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ، وَيُقَدَّمُ النَّعْتُ الْجُمْلَةُ عَلَى
النَّعْتِ الْمَفْرَدِ لِهَدَفٍ ذَلَالٍ.

وَقَدْ وَرَدَ تَقْدِيمُ النَّعْتِ الْجُمْلَةِ عَلَى النَّعْتِ الْمَفْرَدِ فِي شَعْرِ الْمُرْتَضَى فِي اثْنَيْنِ
وَعِشْرِينَ (٢٢) مَوْضِعًا.

وَمِنْ هَذَا التَّقْدِيمِ قَوْلُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ : ^(٢)
قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ حُطُّوا مِنْ عِمَائِمِهِمْ تَحَقَّقَا بِمُصَابِ السَّادَةِ الصَّيِّدِ
نُوحُوا عَلَيْهِ ؛ فَهَذَا يَوْمٌ مَضَرَعِهِ وَعَبِّدُوا إِنَّهَا أَيَّامُ تَعْدِيدِ

١ - الديوان ٣ / ٣٣٤ (من البسيط) .

٢ - الديوان ١ / ٢٩٣ (من البسيط) .

فَلِي دُمُوعُ تَبَارَى الْقَطَرِ وَاكِفَةٌ جَادَتْ وَإِنْ لَمْ أَقُلْ : يَا أَدْمَعِي جُودِي

والأبيات تفيضُ أَسَى ولوعةً لمقتلِ الحسينِ في كَرْبَلَاءَ. فالْمُرْتَضَى في الأبيات -
يخاطبُ قَوْمَهُ حاثًا لَهُمْ عَلَى الْبَكَاءِ عَلَى فَقْدِ الْحُسَيْنِ، طَالِبًا مِنْهُمْ أَنْ يُعَدِّدُوا مَنَاقِبَهُ فِي
هَذَا الْيَوْمِ.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ مِنَ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ،
وَقَدَّمَ النَّعْتَ الْجُمْلَةَ "تُبَارَى الْقَطَرُ" عَلَى النَّعْتِ الْمَفْرَدِ "وَاكِفَةٌ" فَقَالَ : "فَلِي دُمُوعُ
تُبَارَى الْقَطَرِ وَاكِفَةٌ" ؛ ليشيرَ إلى كثرةِ دموعِهِ، وكأنه أرادَ أَنْ يَقُولَ لِقَوْمِهِ : إِنْ كُنْتُ
أَدْعُوكُمْ إِلَى بَكَاءِ الْحُسَيْنِ، فَأَنَا قَدْ وَثَّقْتُكُمْ فِي ذَلِكَ، وَدُمُوعِي تَنَافَسُ الْمَطَرَ كَثْرَةً، وَهِيَ
تَسِيلُ وَتَجُودُ بِهَا عِنْدَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْهَا ذَلِكَ ؛ وَذَلِكَ لِيَحُثَّ قَوْمَهُ عَلَى بَكَاءِ
الْحُسَيْنِ وَلِيَنَاسِبَ التَّرْكِيْبُ سِيَاقَ الْمَعْنَى فِي النَّصِّ الشُّعْرِيِّ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْغَزْلِ : (١)

أَحِبُّكُمْ، وَيَيْتِ اللَّهُ، حَتَّى يُقَالَ : بِهِ - وَمَا صَدَقُوا - جُنُونُ
وَكَمْ أَنْكَرْتُ حُبِّكُمْ فَنَبَادَى بِهِ دَمْعٌ يَبُوحُ بِهِ هَتُونُ

الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتَيْنِ يَصُورُ مَبْلَغَ عَشْقِهِ لِامْرَأَةٍ / خِلَافَةً فَارَقَتْهُ. وَهُوَ فِيهَا يَتَوَجَّهُ
بِخَطَابِهِ الشُّعْرِيِّ إِلَى مَحْبُوبَتِهِ / الْخِلَافَةَ مُقَسِّمًا لَهَا بِالْكَعْبَةِ أَنََّّهُ يُحِبُّهَا حُبًّا لَيْسَ مِثْلَهُ
حُبًّا. فَهُوَ حُبٌّ مَلَكَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ حَتَّى يَقَالَ : إِنَّ الْجُنُونَ قَدْ مَسَّهُ، وَخَبَرًا إِيَّاهَا
أَنَّهُ كَثِيرًا مَا أَخْفَى حُبَّهُ وَقَدْ فَضَحَهُ دَمْعُهُ.

فَسِيَاقُ الْبَيْتِ الثَّانِي - إِذَنْ - هُوَ سِيَاقُ الْحَدِيثِ عَنْ انْكَارِهِ الْحُبِّ، وَإِخْفَائِهِ لَهُ ؛
وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ النَّعْتَ الْجُمْلَةَ "يَبُوحُ بِهِ" عَلَى
النَّعْتِ الْمَفْرَدِ "هَتُونُ" ؛ لِأَنَّ وَصْفَ الدَّمْعِ فِي هَذَا السِّيَاقِ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَضَحَ حُبًّا

الشاعر للمرأة أَوْلَى مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ دَمَعٌ غَزِيرٌ. فالشاعرُ قَدَّمَ فِي التَّرْكِيبِ وَآخَرَ
لِيُنَاسِبَ التَّرْكِيبُ سِيَاقَ الْمَعْنَى، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ بِهَذَا التَّقْدِيمِ أَنْ يُبَرِّرَ لِمَحَبَّتِهِ
الْخِلَافَةَ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ لَهُ فِي إِفْشَاءِ حُبِّهِ وَإِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى دَمْعِهِ.

الإنشاء الطلبي

تمهيد :

لَقَدْ قَسَمَ الْبَلَاغِيُّونَ الْكَلَامَ إِلَى قِسْمَيْنِ : خَيْرٌ وَإِنْشَاءٌ . وَالْخَيْرُ - عِنْدَهُمْ - هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَكُونُ لَهُ مَضْمُونٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي الْوَاقِعِ أَوْ لَا يَتَحَقَّقَ، فَإِنْ تَحَقَّقَ هَذَا الْمَضْمُونُ وَاقِعًا كَانَ الْكَلَامُ صِدْقًا وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ كَانَ الْكَلَامُ كَذِبًا، فَعِنْدَمَا نَقُولُ : " كَتَبَ التَّلْمِيزُ الدَّرْسَ " تَكُونُ الْجُمْلَةُ قَدْ تَضَمَّنَتْ حُكْمًا - هُوَ الْكِتَابَةُ - مَنُوبًا إِلَى التَّلْمِيزِ . . وَهَذَا الْحُكْمُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا إِذَا صَدَّقَهُ الْوَاقِعُ أَوْ يَكُونَ كَاذِبًا إِذَا كَذَّبَهُ الْوَاقِعُ .

أَمَّا الْإِنْشَاءُ فَلَيْسَ لَهُ مَضْمُونٌ يُمَكِّنُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِنَا لِلتَّلْمِيزِ : " اكْتُبِ الدَّرْسَ "، فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لَا تَتَضَمَّنُ شَيْئًا يُمَكِّنُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هِيَ مُجَرَّدُ إِنْشَاءٍ كَلَامٍ أَيْ إِنَّ الْإِنْشَاءَ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِالصِّدْقِ أَوْ الْكَذِبِ . وَيَنْقَسِمُ الْإِنْشَاءُ إِلَى قِسْمَيْنِ : إِنْشَاءٍ طَلَبِيٍّ وَإِنْشَاءٍ غَيْرِ طَلَبِيٍّ، وَالْإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ هُوَ مَا "يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ" ^(١) وَلَهُ خَمْسُ صُورٍ هِيَ : التَّمَنِّيُّ، وَالْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْاسْتِفْهَامُ، وَالنِّدَاءُ. ^(٢)

أَمَّا الْإِنْشَاءُ غَيْرُ الطَّلَبِيِّ فَهُوَ مَا لَا يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا فِي الْأَصْلِ، وَيَشْمَلُ الْقَسَمَ بِأَدْوَاتِهِ وَالتَّعَجُّبَ وَأَفْعَالَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالتَّرَجُّيِّ وَصِيَغَ الْعُقُودِ.

1- الخطيب القزويني : الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، المسمي بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح - شرح وتعليق الشيخ : عبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م - ج٢ - ص٢٤ .

2- ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - (د.ت) - ص ٤٢ .

هَذَا، وَقَدْ اهْتَمَّ الْبَلَاغِيُّونَ بِدِرَاسَةِ الْإِنْشَاءِ الْطَّلَبِيِّ وَأَهْمَلُوا دِرَاسَةَ الْإِنْشَاءِ غَيْرِ
الْطَّلَبِيِّ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَسَالِيبَ الْإِنْشَاءِ الْطَّلَبِيِّ قَدْ تَرَدَّدَتْ فِي الْكَلَامِ مُفَرَّغَةً مِنْ مَعَانِيهَا
الْحَقِيقِيَّةِ وَمَمْلُوءَةً بِمَعَانٍ وَدَلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ^(١). أَمَّا أَسَالِيبُ الْإِنْشَاءِ غَيْرِ
الْطَّلَبِيِّ فَقَدْ أَهْمَلُواهَا لِسَبَبَيْنِ هُمَا^(٢):

١ - أَنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ أَخْبَارٌ نُقِلَتْ إِلَى مَعْنَى الْإِنْشَاءِ.

٢ - أَنَّهَا لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي مَعَانِيهَا الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا، فَالْقَسَمُ هُوَ الْقَسَمُ،
وَالْتَعْجُبُ كَذَلِكَ وَالْمَذْحُ وَالذَّمُّ وَبَقِيَّةُ الْبَابِ.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْإِنْشَاءَ غَيْرَ الْطَّلَبِيِّ لَوْ يَنْبَغُ عَنْ اهْتِمَامِ الْبَاحِثِ فِي عِلْمِ الْأُسْلُوبِ،
أَمَّا الْإِنْشَاءُ الْطَّلَبِيُّ فَهُوَ دَاخِلٌ فِيهِ
الْإِنْشَاءُ الْطَّلَبِيُّ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى :

وَقَدْ جَاءَتْ الْأَسَالِيبُ الْإِنْشَائِيَّةُ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى فِي مَائَتَيْنِ وَأَلْفَيْ (٢٢٠٠)
مَوْضِعٍ، وَكَانَ الْإِسْتِفْهَامُ أَكْثَرَهَا ظُهُورًا يَلِيهِ الْأَمْرُ فَالنداءُ فالنهيُّ ثم التمنيُّ.
وَسَأَتَنَاوَلُ فِيمَا يَلِي مِنْ صَفَحَاتٍ هَذِهِ الْأَسَالِيبَ مُلْقِيًا الضُّوءَ عَلَيْهَا، وَعَارِضًا
صُورَةً لَطِيعَةً مَجِيئَهَا فِي الدِّيَوَانِ مُدَعِّمَةً بِالْإِحْصَاءَاتِ، وَمَوْضِحًا بِالتَّفْصِيلِ أَوْجُهُ
التَّوْظِيفِ الدَّلَالِيِّ لَهَا.

وهذا - أولاً - جدولٌ يبين أنواع الأسلوب، وعدد وروده في الديوان.

١ - ينظر: المطول - مرجع سابق - ص ٢٢٤.

٢ - ينظر: محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، دراسة بلاغية - مكتبة وهبة - القاهرة -
الطبعة الثانية - ١٩٨٧م - ص ١٩٢، وعبد القادر حسين: فن البلاغة - مطبعة الأمانة -
القاهرة - ١٩٧٧م - ص ١١٦.

م	نوع الأسلوب	العدد
١	الاستفهام	٨٦٩
٢	الأمر	٦١٠
٣	النداء	٤٠٤
٤	النهي	٢٢٤
٥	التمنى	٩٣
المجموع		٢٢٠٠

أولاً الاستفهام :

والاستفهامُ بنيةٌ طلبيةٌ تتمثلُ إنتاجيتها الوضعيةُ في طلبِ العلمِ بشيءٍ لم يكنْ معلوماً من قبلُ بأدواتٍ مخصوصةٍ . وهذه الأدواتُ هي : (الهمزة - هل - من - ما - أي - كم - كيف - أين - أنى - متى - أيان) .

وقد يُخرَجُ الاستفهامُ في لغةِ الأدبِ عن دلالتهِ الوضعيةِ إلى دالاتٍ مجازيةٍ يُحدِّدُهَا السياقُ الذي يردُّ فيه، إذْ « تَوَسَّعَتْ العربُ فأخرجتْ الاستفهامَ عن حقيقتهِ لمعانٍ أو أَشْرَبَتْهُ تلكَ المعاني »^(١)

«والاستفهامُ المجازيُّ لا يخرجُ عن الاستفهامِ خروجاً تاماً حيثُ يظلُّ احتمالُ النقصِ أو الجوابِ قائماً»^(٢)

١- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٩٥١م - ج٢ - ص ٨٢ .

٢- د / حسنى عبدالجليل يوسف : أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة - طبعة ٢٠٠١م - ص ١٠ .

الاستفهام في ديوان الشَّريفِ المُرتَضَى :

ولقد كانَ أُسْلُوبُ الاسْتِفْهَامِ أَحَدَ السَّمَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ فِي شَعْرِ الْمُرتَضَى حَيْثُ وَرَدَ فِي شَعْرِهِ فِي ثَمَانِيَّةٍ وَتِسْعَةٍ وَسِتِينَ (٨٦٩) مَوْضِعًا فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، دَالًّا فِي هَذِهِ السِّيَاقَاتِ عَلَى أَسْرَارٍ وَلَطَائِفٍ.

وَأَدْوَاتُ الاسْتِفْهَامِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي دِيْوَانِ الْمُرتَضَى هِيَ : (مَنْ - كَيْفَ - مَا - الهمزة - أَيْنَ - هَلْ - أَيْ - كَمْ - مَتَى - أَنَّى).

وَفِيْمَا يَلِي جَدْوْلٌ إِحْصَائِيٌّ لِأَعْدَادِ وَرُودِ هَذِهِ الْأَدْوَاتِ فِي الدِّيْوَانِ، وَيَلِي هَذَا الْجَدْوَلُ عَرْضٌ وَتَفْصِيلٌ لِهَذِهِ الْأَدْوَاتِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :-

م	نوع الأداة	العدد
١	من	١٤٩
٢	كيف	١٤٢
٣	ما	١٣٢
٤	الهمزة	١١٤
٥	أين	١٠٤
٦	هل	٨٧
٧	أى	٥٩
٨	كم	٣٦
٩	متى	٢٩
١٠	أنى	١٧
المجموع		٨٦٩

١- الاستفهام بـ " مَنْ " :

والأداة " مَنْ " يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الْعَاقِلِ ^(١)، مَثَلُ قَوْلِهِ تَعَالَى " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً " ^(٢).

وَقَدْ فُرِّغَتْ هَذِهِ الْأَدَاةُ فِي شَعْرِ الْمُرْتَضَى مِنْ دَلَالَتِهَا الْوَضْعِيَّةِ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ إِلَى دَلَالَاتٍ بَدِيلَةٍ تَخَلَّقَتْ خِلَالَ السِّيَاقِ الَّذِي غُرِسَتْ فِيهِ.

وَالْأَتَمَّاطُ الَّتِي اسْتُخْدِمَ فِيهَا الْمُرْتَضَى " مَنْ " كَثِيرَةٌ، مِنْهَا :

أ- " مَنْ " مَعَ " اسْمٌ مُعَرَّفٌ بِأَلْ " :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي عَزَاءِ الْوَزِيرِ مُحَمَّدِ الدِّينِ فِي مَوْتِ أَبِيهِ: ^(٣)

مَنْ ذَا الْمَعِينُ عَلَى مُصَا بِ فَادِحِ هَجَمِ الْبُيُوتِ

وَالْاسْتِفْهَامُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يُصَوِّرُ مَبْلَغَ فِدَاخَةِ الْمَصَابِ الَّذِي أَلَمَّ بِالْوَزِيرِ مُحَمَّدِ الدِّينِ، إِذِ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَسْأَلُ مَلْتَمَسًا مُعِينًا عَلَى هَذَا الْمَصَابِ، مِمَّا يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِقَادِرٍ - وَخَدَهُ - عَلَى تَحْمِيلِهِ وَذَلِكَ مِمَّا يُوْحِي بِعِظَمِ الْمَصَابِ وَهَوْلِهِ.

ب- " مَنْ " مَعَ اسْمِ الْفَاعِلِ :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْفَخْرِ: ^(٤)

مَنْ مُنْصِفِي مَنْ حَكَمَ أَعْوَجَ جَائِرٍ أَغْيَتْ نَعْوَتْ خِصَالِهِ الْمُنْطِقَا ؟

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ مَسَاوِي الْحُكْمِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ - فِي الْبَيْتِ - فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ الَّذِي يَعْجَزُ الْبَلِيغُ عَنْ وَصْفِ

1- ينظر : محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة - تحقيق د. عبد القادر حسين - دار النهضة - مصر - (د.ت) ص ١٠٩، ١٠٨.

2- سورة فصلت : آية ١٥ .

3- الديوان : ١ / ١٣٠ (من مجزوء الكامل) .

4- الديوان ٢ / ٣٢٤ (من الكامل) .

مَسَاوِيهِ، وَإِحْسَاسِهِ بِالظُّلْمِ الْوَاقِعِ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَالْعَجْزِ أَمَامَهُ، يَسْأَلُ مُلْتَمِسًا أَحَدًا
يُنْصِفُهُ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْأَعْوَجِ الظَّالِمِ وَالْإِسْتِفْهَامِ يُوْحِي بِشِدَّةِ تَأَلُّمِ الشَّاعِرِ مِنْ ظُلْمِ
الْحُكْمِ تَأَلُّمًا جَعَلَهُ يَطْلُبُ الْمُنْصِفَ وَالْمُنْقِذَ مُتَمَنِّيًا وَجُودَهُ.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ فَخْرِ الْمَلِكِ يَقُولُ :^(١)

مَنْ مَبْلَغُ فَخْرِ الْمُلُوكِ رِسَالَةً أَغَيْتُ عَلَى يَقُولِهَا الْمَجْهُودُ ؟
أَتَرَى لِيَالِي اللِّوَاتِي طِبْنُ لِي فِي ظِلِّكَ الْوَافِي عَلَى تَعُودُ ؟
وَمَتَى أَزُورُ رِبْعَ أَرْضِكَ زُورَةً وَعَلَى مَنْ نَسِجَ الرِّبْعِ بِرُودُ ؟

وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ فِي سِيَاقِ تَبْلِيغِ فَخْرِ الْمُلُوكِ بِرِسَالَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ، وَمِنْ
ثُمَّ فَالِإِسْتِفْهَامِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَمَثُلُ طَلَبًا لِمَنْ يُبْلَغُ عَنِ الشَّاعِرِ رِسَالَتَهُ، وَهُوَ يَفِيدُ - فِي
الْوَقْتِ ذَاتِهِ - تَقْدِيرًا لِهَذَا الْمَبْلَغِ، وَالتَّمَاثُلَ مِنْهُ أَنَّ يُبْلَغَ مَا كُفِّفَ بِتَبْلِيغِهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ.

أَمَّا الْإِسْتِفْهَامَانِ فِي الْبَيْتَيْنِ التَّالِيَيْنِ " أَتَرَى لِيَالِي تَعُودُ "، " وَمَتَى أَزُورُ " فَيَكْشِفَانِ عَنْ
أَنَّ الشَّاعِرَ يَتَمَنَّى مُسْتَبْعَدًا أَنْ تَعُودَ أَيَّامُ الْوَصَالِ الَّتِي نَعِمَ فِيهَا بِظِلِّ تَمْدُوحِهِ، وَبِزِيَارَةِ
أَرْضِهِ. وَقَدْ أُسْتُشِفَ مَعْنَى الْإِسْتِبْعَادِ لِمُضْمُونِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ نَعْتِهِ لَهَا فِي الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ بِجُمْلَتَيْ " أَغَيْتُ عَلَى "، وَ " يَقُولُهَا الْمَجْهُودُ "، إِذْ إِنَّ النِّعْتَ يَشِيرُ إِلَى عِلَّةِ
إِسْتِفْهَامِهِ وَطَلَبِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُبْلَغَ رِسَالَتَهُ إِلَى تَمْدُوحِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَشْعُرُ
بِصُعُوبَةٍ تَحَقُّقَ مَا فِيهَا.

ج - " مِنْ " مَعَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْإِفْتِخَارِ وَذَمِّ الْأَعْدَاءِ :^(٢)

فَقُلْ لِمَعَاشِرِ رَجُمُوا حِمَامِي أَرُونِي مَنْ يَنْوِبُ بِكُمْ مَنَابِي ؟
وَمَنْ يَشْفِيكُمْ كُلِّمَا وَكَلِمَا لَدَى غَمَرَاتِ خَطْبٍ أَوْ خَطَابِ ؟

١ - الديوان ١ / ٢٢٢ (من الكامل).

٢ - الديوان : ١ / ١٠١ (من الوافر).

وقد وَرَدَ البيتان في سياقِ حديثِ المُرتَضَى عن أخطاءِ قومٍ يعيشُ بينهم، ومن ثم فهو في البيتينِ يخاطبُ كلَّ فردٍ من أفرادِ أُمَّتِهِ مُلْتَمِسًا منه أَنْ يُخْبِرَ أولئك الذينَ ظَنُّوا مَوْتَهُ وَتَمَنَّوْهُ، نافيًا لهم - عن طريقِ الاستفهام - أَنْ يجدوا أحدًا ينوبُ بينهم مَنَابَهُ، ويتحدثُ بلسانهم ساعةَ الخطابِ، ويدافعُ عنهم عند الخطبِ.

وقد عَبَّرَ المُرتَضَى بالاستفهامِ عن دلالةِ النفيِّ ؛ لِيَحُثَّ أولئك القومَ الذينَ تمنوا موته على التفكيرِ والتدبرِ حتى يتبينوا خطأَهُمْ فيقلعوا عنه.

٢ - الاستفهام بـ " كَيْفَ " :

وُضِعَتِ الأداةُ " كيف " للدَّلالةِ على الاستفهامِ، وقد تَخَرَّجُ عن هذه الدَّلالةِ إلى دَلالاتٍ بديلةٍ، فتأتى بمعنى التَّعَجُّبِ أو النفيِّ أو التَّوْبِيخِ.^(١)

وقد خرجَ الاستفهامُ بـ (كيف) في شعرِ المُرتَضَى عن دَلالَتِهِ الوضعيةِ إلى دَلالاتٍ بديلةٍ، وجاءَ على أنماطٍ كثيرةٍ، منها :

أ - كيف مع الفعل المضارع :

يقولُ المُرتَضَى من قصيدةٍ في رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ :^(٢)

وَكَيْفَ أَسْتَسْقِي لَكُمْ رَحْمَةً وَأَنْتُمْ الرِّحْمَةُ لِلْمَجْرَمِ

والمُرتَضَى في البيتِ السابقِ يتعجبُ -خلالِ الاستفهامِ - منكرًا أَنْ يَطْلُبَ الرَّحْمَةُ لآلِ الْبَيْتِ ؛ لأنهم هم الذين يشفعون للمجرمِ لِيُرْحَمَ.

1- ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب عن كتب الأعراب - تصحيح محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة محمد علي صبيح - القاهرة - (د . ت) - ص ٢٠٥ ، ابن فارس : الصحاح في فقه العربية - تحقيق : السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٧٧ م ص

وفكرة الشفاعة التي تضمنها البيت فكرة شيعية سبق وأن تحدثت عنها.^(١)

ب - "كيف" مع الفعل الماضي :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي تَذْكَرِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَرِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ، يَقُولُ: ^(٢)

وَكَيْفَ جَحَدْتُمْ لَهُمْ حَقُّوْكَا تَبَيَّنَ عَلَى رِقَابِكُمْ اخْتِطَاطَا ؟

وقد ورد البيت السابق في سياق حديث المرتضى إلى بني أمية ومن ثم فالاستفهام فيه يتضمن إنكاراً لفعل وقع، وتوبيخاً عليه لماذا وقع ؟ وما كان ينبغي أن يقع، فالمرتضى في البيت ينكر على بني أمية أن يحددوا حق آل البيت في الخلافة، وهو حق واضح جلي لا خفاء فيه.

٣ - الاستفهام بـ "مَا" :

وَيُسْتَفْهَمُ بِالْأَدَاةِ "مَا" عَمَّا لَا يَعْقِلُ وَعَنْ صِفَاتٍ مَنْ يَعْقِلُ. ^(٣)

وقد فرغت هذه الأداة من دلالتها الوضعية إلى دلالات بدلية في شعر المرتضى وفق ما يقتضيه السياق.

وقد جاءت هذه الأداة في شعر المرتضى على أنماط منها :

أ - "ما" مع الفعل المضارع :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ بَعْضِ أَهْلِهِ: ^(٤)

وَقَالُوا : قَدْ مَرَنْتَ عَلَى الرَّزَايَا فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا يُغْنِي مِرَائِي ؟

1- ينظر ص ١٨ ، ١٩ ، من هذا البحث.

2- الديوان ١٧٨ / ٢ (من الوافر).

3- ينظر : ابن مالك : عمدة الحافظ وعمدة الالفاظ - تحقيق : د / عبد المنعم أحمد هريدي - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧٥ م - ص ٢٧٩ ، المبرد : المقتضب - تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر - ١٣٩٩ هـ - ج ٤ - ص ٢١٧ / ٢١٨ .

4- الديوان ٣ / ٣٢١ ، ٣٢٢ (من الوافر).

وفي الأيام مُطْرِقَةً صَمُوتٌ تَقَمَّصُ بالشُّجَاعِ وبالْجَبَانِ

والمُرْتَضَى في البيتين يَقْصُ حَوَارًا دَارَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ صَحْبِهِ، فيقولُ : بأنَّ أَصْحَابَهُ قد أَخْبَرُوهُ بأنه قد غَدَا - من كثرةِ المصائبِ التي تَوَالَتْ عَلَيْهِ - ذَا خَبْرَةٍ، فيجيبهم نافيًا - حلالَ الاستفهام - أَنْ تَنْفَعَهُ خَبْرَتُهُ ؛ لأنَّ مصائبَ الأيامِ تتوالى على الإنسانِ سواءً كان شجاعًا أم جبانًا. فإ... - الثاني تعليلٌ للاستفهامِ المنفَى في البيتِ الأولِ. والاستفهامُ المنفَى يَتَضَمَّنُ - أيضًا - الألمَ والحسرةَ - إصابتهُ من مَصَائِبَ.

ب - " ماذا " مع اسم مُعرف بالألف واللام.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي عَزَاءِ جَلالِ الدَّوْلَةِ فِي وَذِي ابْنَتِهِ، يَقُولُ :^(١)

مَازَا الْبِكَاءُ عَلَى الَّذِي وَلَّى وَقَدْ جُعِلَتْ لَهُ جَنَاتٌ عَذْنٍ مَنْزِلًا ؟
وَعَلَى مَ نُسْقَى الصَّابَ فِيهِ ؟ وَإِنَّهُ يُسْقَى هُنَاكَ - كَمَا يَشَاءُ - السَّلْسَلَا

والمُرْتَضَى في البيتِ السابقِ يَعْجَبُ - عن طريقِ الاستفهام - من بكاءِ جلالِ الدَّوْلَةِ على ابْنَتِهِ منكرًا فِعْلُهُ، ويطلبُ منه الصبرَ على فراقِها، فَقَدْ جُعِلَتْ جَنَاتٌ عَذْنٍ مَثْوًى لَهَا.

ثُمَّ رِيسْتَفْهَمُ ثَانِيَةً مَنْكَرًا، فيقولُ " وَعَلَى مَ نُسْقَى الصَّابَ " أى : علامَ نُسْقَى المرءَ، والمعنى : نحنُ لا ينبغي أنْ نحزنَ ونُسْقَى المرءَ من حُزْنِنَا، وفقيدَتُنَا نُسْقَى في الجنانِ السَّلْسِيلِ.

ولا يَخْفَى تَأَثُّرُ المُرْتَضَى في البيتينِ بالقرآنِ الكريمِ في أَفكارِهِ وَلُغَتِهِ. يقولُ تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيةِ. جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا " ^(٢) والمركبُ الإِضَافِيُّ " جَنَّاتٌ عَذْنٍ " يَرِدُ كَثِيرًا في القرآنِ.

1 - الديوان : ٦٤ / ٣ (من الكامل).

2 - سورة البينة : آية ٨ / ٧ .

٤ - الاستفهام بـ "الهمزة" :

يقول الخطيب القزويني: " فالهمزة لطلب التصديق، كقولك "أقام زيد؟ وأزيد قائم" أو التصوّر كقولك: "أدبَسُ" (١) في الإناء أم عَسَلُ؟ " (٢)

وقد استخدم المرتضى همزة الاستفهام استخدامًا مجازيًا وفق ما يقتضيه السياق. كما جاءت الهمزة في شعره على أنماط كثيرة، منها:

أ - "الهمزة" مع "ليس" :

يقول المرتضى من قصيدة في الافتخار: (٣)

فَقُلْ لِمَنْ ضَلَّ مَغْرورًا يفاخرني وَمَالَهُ مِثْلُ عُجْمِي لَا وَلَا عَرَبِي
أَلَيْسَ بَيْنَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ خُتِمَتْ بِهِ النِّبْيُونَ أَوْ صِهْرٍ لَهُ نَسَبِي

وقد وردَ البيتان السابقان في سياق الافتخار، والشاعر يقصد بمن يفاخره العباسيين، ولم يصرح بهم تقيّة لهم، ومن ثمّ فهو في البيتين يخاطب كلّ فردٍ من أفراد أمته بفعل الأمر "قُلْ" طالبًا إليه أن يخبرهم بحقيقة نسبه مقررًا - خلال الاستفهام - أنه ينتسب إلى خاتم النبيين محمد ﷺ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وهذا التقرير يتطلّب ضمنا حدوث مقتضاه وجزائه، وهو الإقرار بأحقّيته - أي المرتضى باعتباره رمزًا العلويين - بالخلافة بمن يفاخره، والمعنى: أليس بين نبيٍّ مُرْسَلٍ خُتِمَتْ به النبيون أو صِهْرٍ له نسبي، فتكون لي الخلافة.

فالاستفهام التقريري يكشف عن فكر الشيعة الإمامية التي "تعتقد أن الخلافة في عليّ بعد رسول الله ﷺ ومن بعد عليّ في أولاده حتى الإمام الثاني عشر الذي هو

١ - الدّبسُ : عَسَلُ التَّمْرِ.

٢ - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٣٠.

٣ - الديوان ١١٩/١ (من البسيط).

محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي^(١)

ب - " الهمزة " مع " الفعل المضارع " :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رثاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يقول^(٢)

أُسْقَى نَمِيرَ الْمَاءِ ثُمَّ يَلْدُني وَدُورُكُمْ - آلَ الرِّسُولِ - خَلَاءُ ؟

ولقد استفهم الشاعر عن الفعل " أُسْقَى " وعطفَ عليه الفعل " يَلْدُ " ؛ ليكشفَ

عن فعلين لا ينبغي أن يقعَا، فهو ينفي - خلالَ الاستفهام - مُسْتَبْعِدًا أن يشربَ الماءَ

العذبَ ثم يطيبُ له طعمُهُ حالةَ كونِ آلِ الرِّسُولِ قد رحلوا عن ديارِهِم فصارتْ خَلَاءً.

فالنفيُّ مرتبطٌ بجملةِ الحالِ : " ودورُكُمْ - آلَ الرِّسُولِ - خَلَاءُ " أي إنَّ الشاعرَ

لن يهنئَ بشربٍ أو يسعدَ بعيشٍ طالما رَحَلَ آلُ البيتِ عن ديارِهِم، مما يوحي بأنَّ الشاعرَ

سيلدُّ له العيشُ في غيرِ هذه الحالِ، أي عندما يعودُ آلُ البيتِ إلى ديارِهِم / الخلافةِ.

ج - " الهمزة " مع " الظرف " :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رثاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يقول^(٣) :

أَنحُوا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ فِيكُمْ تَقُودُونَ الْمُسَوِّمَةَ السَّلَاطَا

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المُرتَضَى إلى الأمويين؛ ولذا فقد تضمنَ

الاستفهامُ في البيتِ إنكارًا وتعنيفًا، فهو ينكرُ عليهم - خلالَ الاستفهام - أنْ

يقودوا الخيلَ الشديدةَ لقتالِ أبناءِ الرِّسُولِ عليه السلام، ويتصلُ هذا الإنكارُ بالمركبِ الظرفيِّ

" نحو بني رسول الله " الواقع جالًا من المفعولِ بهِ " المُسَوِّمَةَ السَّلَاطَا "، فالفعلُ " يقودُ "

يمكنُ أن يكونَ في غيرِ هذه الحالِ.

1 - الشيعة والتصحيح - مرجع سابق - ص ٩ .

2 - الديوان : ١٣ / ١ (الطويل) .

3 - الديوان : ١٧٧ / ٢ . (من الوافر) .

4 - المُسَوِّمَةُ : الَّتِي عَلَيْهَا عَلَامَةٌ . السَّلَاطُ : الشَّدَادُ ..

د - "الهمزة" مع "المصدر" :

وفي مطلع قصيدة في الشيب، يقول :^(١)

أَشْيَبًا وَلَمَّا تَمْضِ خَمْسُونَ حِجَّةً وَلَا قَارَبْتَنِي ؟ إِنَّ هَذَا مِنَ الظُّلَمِ

والاسم الواقع بعد "همزة الاستفهام" مفعول مطلق لفعل محذوف، والتقدير "أشيب شيبًا"، والمفعول المطلق يؤكد فعل الشيب، ويوحى بكثرته؛ ولذا فالاستفهام عن هذا المفعول المطلق في هذا السياق يكشف عن إنكار الشاعر لكثرة شيبه إنكارًا مقرونًا بالتعجب، وجملته "ولما تمض خمسون حجة" جملة استئنافية تبين سبب هذا التعجب، وعلة ذلك الإنكار، فهو قد شاب ولما يبلغ الخمسين من عمره بعد، أما جملة "إن هذا من الظلم" فقد جاءت لتأكيد هذا الإنكار

هـ - "الهمزة" مع "الجار والمجرور" :

وفي مطلع مقطوعة في الشيب، يقول :^(٢)

أَمِنْ شَعْرٍ فِي الرَّأْسِ بُدِّلَ لَوْنُهُ تَبَدَّلَتْ يَا أَسْمَاءُ عَنِّي وَعَنْ وُدِّي ؟
فَإِنْ يَكُ هَذَا الْهَجْرُ مِنْكَ أَوْ الْقَلَى فَلَيْسَ بِيَاضُ الرَّأْسِ - يَا أَسْمُ - مِنْ عِنْدِي
تَصُدِّيقَ عَمْدًا وَالْهُوَى أَنْتِ كُلُّهُ وَمَا كَانَ شَيْبَى - لَوْ تَأَمَّلْتِ - مِنْ عَمْدِي

والمُرْتَضَى في البيت الأول يعتب على أسماء - خلال الاستفهام - منكرًا تبدلها عن وصاله بسبب ابيضاض شعره.

وعتاب المُرْتَضَى وإنكاره صادرا من اقتناعه - كما اتضح من البيتين التاليين للبيت الأول - بأن أسماء تصد عَمْدًا، وأن الشيب قد أتاه عفوا.

هـ - الاستفهام بـ "أين" :

يقول ابن مالك : أين يُستفهم بها عن مكان نحو : أين كنت، أفي الدار أم في

1 - الديوان : ٢٢٩ / ٣ (من الطويل).

2 - الديوان ٢٩٨ / ١ (من الطويل).

يقول المرتضى من قصيدة في الموعظة والاعتبار :^(٢)

أَيْنَ الْأَلَى كَانُوا بِأَيِّ دِينَا حَصُولًا ثُمَّ مَمَاتُوا
مِنْ كُلِّ مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَمَرَاتُ دِجْلَةٍ وَالْفَرَاتُ
مَا قِيلَ : نَالُوا فَوْقَ مَا يَهْوُونَ حَتَّى قِيلَ : فَاتُوا

والمُرتضى في الأبيات السابقة يسأل عن أولئك الذين كانوا يعيشون بينهم مُتَعَمِّينَ بالطَّيِّبَاتِ، ويأكلونَ من كُلِّ الثمراتِ، وقد بَلَغُوا أَقْصَى الأُمْنِيَّاتِ . . يسأل :
أَيْنَ ذَهَبُوا ؟ لقد ماتوا ففاتوا ما كانوا بِهِ يَتَنَعَّمُونَ .

فالاستفهام يفيد نوعاً من العظة والتذكير بأنَّ الكلَّ إلى ذهابٍ، ولا شيء يبقى،
والموت حتميٌّ، والفناء سُنة الحياة، وهذا مما يدعو إلى الزُّهْدِ في متاع الدُّنْيَا،
والانصرافِ عن ملذاتها.

٦ - الاستفهام بـ "هل" :

والأداة "هل" حرفٌ "لا يُطْلَبُ بِهِ إِلَّا التَّصْدِيقُ"^(٣)، والتَّصْدِيقُ هو طلبُ تعيينِ
الثبوتِ أو الانتفاءِ في سياقِ الشَّكِّ والترددِ ؛ ولذا فالسؤالُ : هَلْ عِنْدَكَ عَمْرٌ أَمْ
بَشَرٌ ؟ لا يجوزُ :^(٤)

وقد فُرِغَتْ هذه الأداة من دلالتها الوضعية إلى دلالاتٍ بَدِيلَةٍ في شِعْرِ المُرْتَضَى وَفَقًّا
للسِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، والأنماطُ التي اسْتُخْدِمَ فِيهَا المُرْتَضَى هذه الأداة كثيرةٌ منها .
أ - "هَلْ" مَعَ جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ خَبَرُهَا مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ (جَارٌ وَجَرُورٌ) مُقَدَّمٌ :

1 - ينظر : عمدة الحافظ وعدة اللافظ - مرجع سابق - ص ٢٨١ .

2 - الديوان : ١ / ١٢٥ (من مجزوء الكامل) .

3 - السكاكي : مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣٠٨ .

4 - ينظر : المرجع نفسه - ص ٣٠٨ .

يقول المرتضى من قصيدة في رثاء جدّه الحسين عليه السلام : ^(١)
كَمْ أَدَارِي الْعِدَا فَهَلْ فِي غِيُوبِ الْـ سَلِهْ يَوْمٌ أَخْشَى بِهِ وَأَدَارِي؟

وقول المرتضى : " يَوْمٌ أَخْشَى بِهِ وَأَدَارِي " كناية عن يوم حصول المرتضى على الخلافة باعتباره رمزاً للعلويين، إذ قد ورد البيت السابق في سياق حديث المرتضى عما يُقاسيه من ظلم الأعداء / الخلفاء العباسيين، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَخْبِرُ بِكَثْرَةِ مَدَارَاتِهِمْ تَقِيَةً لَهُمْ، ثُمَّ هُوَ يَثْبُتُ خِلَالَ الاسْتِفْهَامِ بـ " هل " - مقررًا أن يوم الخلاص آتٍ لا محالة
ب - " هل " مع جملة اسمية خبرها محذوف يدل عليه (جارٌّ ومجرور) مُقَدَّمٌ ومبتدؤها مسبوقة بمن الزائدة :

ومن قصيدة في مديح فخر الملك، يقول : ^(٢)
فِي الْقَلْبِ مِنْكُمْ حَزَازَاتٌ لَوْ أَنْكَشَفْتُ لِعَاذِلِي فَيْكُمْ مَا بَاتَ يَعْذُلُنِي
هَلْ فِي الْهَوَى مِنْ غَرِيمٍ لَا يِمَاطِلُنِي أَوْ مِنْ خَلِيلٍ عَلَيْهِ لَا يُعْتَفُّنِي؟
والمُرتضى في البيتين يخبر مؤكدًا أن أحبته برحيلهم عنه قد سبّوا له آلامًا، لو أَحَسَّ بها اللائم، لانصرف عن لومه، ثم ينفي في البيت الثاني - خِلَالَ الاسْتِفْهَامِ -
أَنْ يَجِدَ فِي الْهَوَى خَصَمًا لَا يِمَاطِلُهُ أَوْ خَلِيلًا لَا يُعَاتِبُهُ.

٧ - الاسْتِفْهَامِ بـ " أَى " :

يقول السكاكي : وأما (أَى) فللسؤال عما يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعْمُهُمَا، يقول القائل : "عندي ثيابٌ" فتقول : " أَى الثياب هي ؟ " فتطلب منه وصفًا يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية، وفي التنزيل " أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا " ^(٣) أَى أَنَحْنُ أَوْ

1 - الديوان : ٥٧ / ٢ (من الخفيف) .

2 - الديوان : ٣٢٦ / ٣ (من البسيط)

3 - سورة مريم : آية ٧٣ .

أصحاب محمد عليه السلام^(١)

وقد تابع الخطيب القزويني في هذا التفسير السكاكي^(٢)

وقد تعددت الدلالات لأداة الاستفهام (أى) في شعر المرتضى وفقاً للسياقات التي وردت فيها، كما تنوعت أنماط ورودها، مثل:

(أ) "أى": مبتدأ مضاف إلى اسم نكرة والخبر محذوف:

يقول المرتضى في مطلع قصيدة في رثاء الأمير عنبر الملكى الخادم^(٣)

أَيْ فَتَّسَى وَرَّى فِي السَّرْبِ قَضَى وَلَمْ أَقْضِ بِهِ نَحْبِسَى؟
زَوْدَنَسَى بَعْدَ فِرَاقِى لَهُ مَا شَاءَتْ الْأَحْزَانُ مِنْ كَرْبِ

وأى: مبتدأ مضاف إلى اسم نكرة، والخبر محذوف، والتقدير: "أى فتى ورى في الترب هو". . . والاستفهام يتضمن تفخيماً وتعظيماً لشأن الفقيد، ويصور مبلغ حزنه عليه؛ إذ إنه يتمنى أن لو أدركه الموت حين مات صاحبه.

ومن أمثلة ذلك في شعر المرتضى قوله: ^(٤)

أَيْ شَيْءٍ نَفْعًا وَضُرًّا عَلَى مَا عَوْدَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ أَطْوَارًا؟

وقد ورد البيت السابق في سياق حديث المرتضى إلى أولئك الذين اغتصبوا الخلافة من العلويين نافياً أن يبقى بأيديهم ما اغتصبوه، ومن ثم فهو فيه يقرر - خلال الاستفهام - أن الدهر دؤل، فهو لا يبقى على حال، إذ يتبدل في نفعه وفي ضرره.

وقد عطف المرتضى كلمة "ضرًا" على كلمة "نفعًا"؛ ليشير إلى أن تقلب الدهر يشمل جميع أحواله سواء أكانت نافعة أو ضارة، وذلك مما يؤكد لمغتصبي الخلافة

1- ينظر: مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣١٠.

2- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٣٦.

3- الديوان: ٩٧/١ (من السريع).

4- الديوان ٥٤/٢ (من الخفيف).

أَنهَا لَنْ تَبْقَى لَهُمْ ؛ فَالذَّهْرُ دَوْلٌ .

ب - الأداة " أَى " مسبوقَةٌ بحرفِ جَرٍّ :

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ بهاءِ الدولة، يقولُ :^(١)

بأى نوعٍ من المكروهِ تخرِجُنى هَذِي النوائِبُ عن أهلى وعن مالى؟

والاستفهامُ فى البيتِ السابقِ يَتَضَمَّنُ تهويلًا من أمرِ هذه المصائبِ، وتعظيمًا
لشأنِها، فَقَدْ جَرَّدَتْهُ من أهلهِ ومالهِ كما يكشفُ الاستفهامُ عن مدى حُزْنِ الشَّاعِرِ
وَأَسَفِهِ على ما أَصَابَهُ من نَوَائِبَ .

٨ - الاستفهام بـ " كَمْ " :

يقولُ السَّكَاكِيُّ " وأما كَمْ فللسؤالِ عن العددِ "^(٢)

وقد تَابَعَهُ الخطيبُ القزوينيُّ فى هذا التفسيرِ، فقال : " وأما " كم " فللسؤالِ عن
العددِ، فإذا قلتَ " كم درهمًا لك ؟ وكم رجلًا رأيت ؟ " فكأنك قلتَ " أعشرون أم
ثلاثون أم كذا كذا ؟ " ^(٣)

وقد تعددت الدَّلَالَاتُ لأداةِ الاستفهامِ " كم " فى شِعْرِ الْمُرتَضَى وَفَقًا لِلسِّيَاقَاتِ

التي وردت فيها يقولُ الْمُرتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ عليه السلام :^(٤)

إلى كَمْ أَدَارِي من أَدَارِي من الْعِدَا وَأَهْدُنُ قَوْمًا بِالْجَمِيلِ وَالْطُّفُ؟

والمُرتَضَى فى البيتِ السابقِ يستطيلُ - خلالَ الاستفهامِ - مُدَّةَ مُدَارَاتِهِ لِلْأَعْدَاءِ /

الخلفاءِ العباسيينَ، وملاطفتهِ إِيَّاهُمْ، وَيَسْتَبْطِئُ - وهو على يَقِينٍ من الخلاصِ - ظهورَ المهديِّ .

ويكشفُ الاستفهامُ - أيضًا - فى هذا السياقِ عن شِدَّةِ معاناةِ الْمُرتَضَى من طولِ

1 - الديوان ٩٧ / ٣ (من البسيط) .

2 - مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣١٢ .

3 - الخطيب القزويني - الإيضاح فى علوم البلاغة - مرجع سابق ص ٣٦ .

4 - الديوان : ٢٥٩ / ٣ (من الطويل) .

الانتظار. كما يجذب انتباه السامع ويدعوه إلى المشاركة والنظر فيما حلّ بالشاعر ونزل.

٩- الاستفهام بـ "متى" :

يقول السكاكي : " وأما متى وأيان فهما للسؤال عن الزمان، إذا قيل : متى جئت، وأيان جئت ؟ قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا " (١)
وقد فرغت هذه الأداة من دلالتها الوضعية إلى دلالات بديلة في شعر المرتضى
وفقاً للسياق الذي رددت فيه والأنماط التي استخدم فيها المرتضى هذه الأداة
كثيرة، منها :

أ - متى : مسبوقة بحرف الجر "حتى" ويلينها جملة اسمية:

يقول المرتضى من قصيدة في الافتخار : (٢)

أنا ملجئ بالحزم عن قولي الذي لو قلته لأشبت كُلاً ولئد
حتى متى أنا في ثياب إضامة أقرى المناجى زفرة المجهود ؟
ألوى عن الأوطان لا ترقى لها كفأى لي الأرقم المطرود

والمرتضى في الأبيات السابقة يخبر بأنه مكموم الفم عن كلام لو صرح به لشاب
الولدان، ثم هو يستفهم مستطيلاً مدة إضامته وإقامته على الدل والهوان، وحرمانه
من الأوطان / الخلافة.

والاستفهام يكشف في هذا السياق - أيضاً - عن حزن المرتضى وتحسره على ما
أصابه واستعجاله في أن تزول هذه الغمة عنه.

ب - "متى" مع جملة فعلية :

ومن قصيدة في رثاء الحسين، يقول (٣)

1- السكاكي : مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣١٣ .

2- الديوان : ١ / ٢٨٢ ، ٢٨٣ (من الكامل).

3- الديوان ٢ / ٩٥ (من السريع).

متى أرى حَقَّكُمْ عَائِدًا إِلَيْكُمْ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ؟

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المرتضى إلى آل البيت، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِ
يَتَمَنَّى - خِلَالَ الاستفهام - أَنْ يَرَى العلويينَ مُسْتَرْدِينَ حَقَّهُمْ فِي الْخِلَافَةِ سِرًّا وَجَهْرًا.
والاستفهامُ فِي هَذَا السِّيَاقِ - أَيُّ فِي سِيَاقِ التَّمَنِّي - يَشِيرُ إِلَى تَيَقُّنِ المرتضى مِنْ
استِرادِ العلويينَ حَقَّهُمْ، كَمَا يَكْشِفُ عَنْ تَعْجَلِهِ وَتَلَهْفِهِ لِاسْتِرْدَادِهِ.

جـ - "متى" مع مركب اسمى صورى :

ومن قصيدة في يوم الغدير، يقول :^(١)

مَتَى كُنْتُمْ أَمْثَالَنَا؟ وَمَتَى اسْتَوَتْ بَيْنَا وَبَكُمْ فِي يَوْمٍ فَخْرٍ مَرَاتِبُ؟

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المرتضى إلى الأمويينَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِي
البيتِ يَنْفَى - خِلَالَ الاستفهام - أَيَّ مَكْرُمَةٍ، وَأَيَّ تَمَيُّزٍ لَهُمْ فَالْأُمَوِيُّونَ بَعِيدُونَ عَنْ
أَيِّ فَضْلٍ يَقْرُبُهُمْ مِنَ الْفَخَارِ، فَهُمْ لَيْسُوا كَالْعُلَوِيِّينَ فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ، وَلَنْ تَرْتَفَعَ
- أَبَدًا - مَنْزِلَتُهُمْ إِلَى مَنْزِلَةِ الْعُلَوِيِّينَ حِينَ التَّفَاخُرِ.

١٠ - الاستفهام بـ "أنى" :

يقول ابنُ فارسٍ : أَنَّى بِمَعْنَى "كَيْفَ" كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ "أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا"
(سورة البقرة ٢٥٩) وَيَكُونُ بِمَعْنَى مِنْ أَيْنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى "أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ" (سورة
الانعام ١٠١) أَيْ : مِنْ أَيْنَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَالْأَجُودُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا أَيْضًا : كَيْفَ.^(٢)
وَذَكَرَ ابْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قَدْ يُسْتَفْهَمُ بـ "أَنَّى" عَنِ الْمَكَانِ وَعَنِ الزَّمَانِ، فَيُقَالُ : "أَنَّى
كُنْتُ" وَ"أَنَّى سِرْتُ" بِمَعْنَى "أَيْنَ كُنْتُ" وَ"مَتَى سِرْتُ".^(٣)

١ - الديوان ١ / ٣٥ (من الطويل).

٢ - ينظر : الصاحبى - مرجع سابق - ص ٢٠٠.

٣ - ينظر : عمدة الحفاظ - مرجع سابق - ص ٢٨٢.

وقد فرغت هذه الأداة من دلالتها الوضعية على الاستفهام إلى دلالات بديلة يتطلبها السياق.

يقول المرتضى في مطلع قصيدة في الغزل: ^(١)

قال لي عاذلي: تناء عن الحب ب، وأنى من سكرة الحب صحو؟

والمترضى في البيت السابق يحكى حواراً دار بينه وبين عاذله، فالعاذل يطلب إلى الشاعر أن ينصرف عن حبه، فيجيبه الشاعر بأنه قد وقع في أسرِه، ولا يستطيع الفكّ من قيده.

فالاستفهام يتضمّن نفياً لأن يكون للشاعر القدرة على أن يصحو من سكرة حبه، فقد ملك الحب على الشاعر لُبّه.

ثانياً: الأمر:

والأمر هو أحد أنواع الإنشاء الطلبى الذى تتمثل إنتاجيته في طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، والصيغة الموضوعية له هي: فعل الأمر، والمضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

يقول السكاكى: "والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعنى استعمال نحو: لينزل وأنزل ونزال وصنه على سبيل الاستعلاء" ^(٢)

ويرى العلوى أن الأمر هو "صيغة تستدعى الفعل أو قولاً ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء" ^(٣)

١- الديوان ٣/ ٣٥٣ (من الخفيف).

٢- السكاكى: مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣١٨.

٣- العلوى: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - دار الكتب العلمية -

بيروت - لبنان - ١٩٨٢م - ج ٣ / ٢٨١، ٢٨٢

ويرى السيوطي أنه " طلبُ فعلٍ غيرُ كَفٍّ، وصيغتهُ افعَلُ وليفعل ^(١)"
وقد تَخْرُجُ صِيغَةُ الأَمْرِ مِنْ دَلَالَتِهَا الوَضْعِيَّةِ إِلَى دَلَالَاتٍ بَدِيلَةٍ وَفَقًا لِحَرَكَةِ المعْنَى
فِي ذِهْنِ المتكَلِّمِ، وَلِلسياقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ وَمِنْ ثَمَّ فـ " لا بُدَّ مِنْ تَأَمُّلِ السياقِ لِأنَّه
هُوَ الَّذِي تَسْتَمِدُّ مِنْهُ الصِّيغَةُ دَلَالَتَهَا، فَقَدْ تَرَى التَّرْكِيبَ يَجْرِي فِي سياقينِ وَيُفِيضُ
بمعنيينِ متباينين ^(٢)"

الأمر في ديوان المرتضى :

والأمرُ سِمَةٌ أسلوبيَّةٌ فِي شعرِ المُرْتَضَى إِذْ قَدْ وَرَدَ فِي ديوانِهِ فِي سِتْمائَةٍ وَعَشْرَةٍ
(٦١٠) مَوَاضِعَ فِي سياقاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَفَرَزَ معانٍ وَدَلالاتٍ تَناسَبُ هَذِهِ السياقاتِ.
وفيما يلي جدولٌ إحصائيٌ لِصِيغِ الأَمْرِ، وَأَعْدَادِ وِروْدِها فِي الدِّيوانِ ثُمَّ يلي هَذَا
الجدولُ عَرَضٌ لِهَذِهِ الصِّيغِ وَمَا تَفَرَّزُهُ مِنْ دَلالاتٍ.

م	صيغة الأمر	العدد
١	فعل الأمر	٥٨١
٢	اسم فعل الأمر	١٨
٣	المضارع المقترن بلام الأمر	١١
المجموع	اسم فعل الأمر	٦١٠

"الأمرُ" بـ "فِعْلُ الأَمْرِ" :
يقولُ المُرْتَضَى فِي رِثَاءِ وَالِدِهِ: ^(٣)

1- السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن - تحقيق / علي محمد البجاوي - دار الفكر
العربي - ١٩٧٣م - ٤٤١ / ١ .

2- د . محمد أبو موسى : دلالات التراكيب - مرجع سابق - ص ٢٤٨ .

3- الديوان : ٢٠١ / ١ (من الوافر).

فَقُلْ لِمَعَاشِرِ رَهْبُوسَا شَبَاتِي وَمَا تَجْنِي رِمَاحِي أَوْ صِفَاحِي^(١)
 رِدُّوَا مِنْ حَيْثُمَا شِئْتُمْ جِمَامِي فَإِنِّي الْيَوْمَ لِلْأَعْدَاءِ ضَاحٍ
 وَرُومُونِي وَلَا تَخْشَوْا قِرَاعِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ مُسْتَلَبَ السِّلَاحِ
 وَقُودُونِي فَمَا أَنَا فِي يَدَيْكُمْ عَلَى مَا تَعْهَدُونَ مِنَ الْجَمَاحِ
 وَلَا تَنْتَظَرُوا مِنِّي ارْتِيَا حَا فَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ مُوسَى بَارْتِيَا حَا

وقد وردت الأبيات السابقة في سياق ندب المرتضى والدّه، ومن ثمّ فهو فيها يخاطبُ بفعل الأمر "قُلْ" كلّ فردٍ من أفرادِ أمته ملتصقاً منه أن يُبلغَ أعداءه الذين خافوا يوماً حدّ سيفه رسالته الشّعريّة، وهي إنّ على الأعداء أن يهاجموه من حيثما شاءوا، ولا يخشوا منازلته فقد أصبح بلا سلاح، وعليهم أن يأخذوه أسيراً فليس بقوته التي كانوا يعهدونها إذ قد ذهب ابنُ موسى بقوته وراحته.

فَفَعَلُ الْأَمْرِ "قُلْ" يُوحِي - هاهنا - بأنّ ضعفه بادٍ عليه لا يخفى على أحدٍ أما الأفعال "رِدُّوَا روموني - قودوني" فهي توحى في هذا السياق باليأس والعجز، فقد غدا المرتضى - بموت أبيه - فاقدًا لقوته، عاجزاً عن منازلة أعدائه.

ومن قصيدة في أبي سعد بن عبد الرحيم، يقول المرتضى^(٢):

وَلَمَّا أَجْمَلْتُ تَفْصِيحِي طَوِيلٌ شَرُوحِي
 فَخُذِ التَّغْرِيطَ حَتَّى يَأْتِيَ الْقَوْلُ الصَّرِيحُ

وقد وردَ البيتان في سياق حديث المرتضى إلى أبي سعدٍ مقرّأ له بأنّ الفرج سيأتيه - لا محالة - والفتح. وهو في البيت الأول يخبرُ بأنه يُجملُ القول ولا يُفصّل، وفي البيت الثاني يخاطبُ أبا سعدٍ، قائلاً: لقد عرّضتُ لك بالقول ولم أصرخ؛ إذ لا

1 - شَبَاةُ السَّيْفِ : حَدُّ طَرَفِهِ .

2 - الديوان : ١ / ١٨٣ (من مجزوء الرمل) .

حينَ تصرّيح.

والأمر "خُذْ" يشيرُ - في هذا السياق - إلى مبدأ التقيّة، إذ المُرتضى يتقى حينَ تعريضه بالقول لأبى سعدٍ شرّ الحُكامِ حتى يأتى الوقتُ الذى يستطيعُ أن يُصرّح فيه بمكنونِ صدره.

ويقولُ المُرتضى من قصيدةٍ فى الحكمة: ^(١)

وَأُخْبِرْ وَلَا تُصْحَبْ مِنْ الـ ————— إِنْ خَوَانِ إِلَّا مِنْ خَبَرْتَنَا

والمُرتضى فى البيتِ السابقِ يخاطبُ صاحبه ناصحاً - خلالَ الأمرِ "اُخْبِرْ" - فيقولُ : عليك أن تختبرَ الناسَ، ولا تُصاحبَ منهم إلا مَنْ قَدْ جَرَّبْتَهُ، وَتَيَقَّنْتَ مِنْهُ.

ويقولُ المُرتضى من قصيدةٍ يُعزّي فيها القاضى أبا القاسمِ عبد العزيز بن محمد العسكرى فى وَلَدٍ غَرِقَ: ^(٢)

واعتبرْ بالذِينَ حَلُّوا مِنَ الْعَلِيَا ءِ وَالْكَبِيرِيَاءِ دَارًا فـ————— ادا
ملكوا الأرضَ كُلَّهَا ثُمَّ مَنَ كَا نَ عَلَى الْأَرْضِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَا
فَتَرَى دُورَهُمْ - وَكُنَّ مِلَاءً بِالْمَسَرَّاتِ - بَعْدَهُنَّ قَفَارَا

وقد وردت الأبياتُ السابقةُ فى سياقِ التّعزية، وَمِنْ ثَمَّ فقد تحركت صيغةُ الأمرِ "اعتبرْ" فى البيتِ الأولِ إلى دلالةِ التّعزية والتسلى، فالمُرتضى فى الأبياتِ يخاطبُ القاضى مواسياً، فيقولُ : تعزى أيها القاضى عن مصابك بمن حَلُّوا العُلَا وَبَنَوْا الدُّورَ، وملكوا الأرضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ثُمَّ ذَهَبُوا، وأصبحت دُورُهُمْ - وَقَدْ كَانَتْ مَلِيَّةً بالحياةِ والمسراتِ - خَرَابًا.

ويقولُ المُرتضى من قصيدةٍ فى رثاء جده الحسين (عليه السلام): ^(٣)

1- الديوان ١/ ١٣٣ (مجزوء الكامل).

2- الديوان ٢/ ٤٦ (من الخفيف).

3- الديوان : ١/ ٢٩٣ (من البسيط).

قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ: حُطُّوا مِنْ عَمَائِهِمْ تحقُّقًا بمصائب السادة الصِّيدِ
نُوحُوا عَلَيْهِ، فَهَذَا يَوْمٌ مَصْرَعِهِ وَعَدُّدُوا إِنَّهَا أَيَّامٌ تَعْدِيدِ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتَانِ السَّابِقَانِ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى إِلَى قَوْمِهِ / الْعَلَوِيِّينَ، وَنَدْبِهِ
الْحُسَيْنَ عليه السلام، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَحَرَّكَ صَيْغُ الْأَمْرِ "حُطُّوا، نُوحُوا، عَدُّدُوا"؛ لِتَفِيدَ
الْإِثَارَةَ وَالْإِلْهَابَ وَالتَّهْيِيجَ؛ إِذْ إِنَّ النَّوْحَ وَالتَّعْدِيدَ وَاقِعَانِ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ لَا مُحَالَهَ.
فَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتَيْنِ يَخَاطَبُ قَوْمَهُ حَائِثًا لَهُمْ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي الْبُكَاءِ وَالتَّعْدِيدِ،
وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يُنْزِلُوا عَمَائِهِمْ أَسَى عَلَى فَقْدِ السَّادَةِ أَصْحَابِ الْفَخَارِ، وَأَنْ يَبْكُوا
الْحُسَيْنَ، وَيَعْدِدُوا مَآثِرَهُ، إِذْ الْيَوْمُ يَوْمٌ مَصْرَعِهِ وَذَلِكَ مِمَّا يَجْعَلُ قَوْمَهُ يَسْتَمِرُّونَ فِي
بُكَائِهِمْ وَعَوِيلِهِمْ لَا يَنْقَطِعُونَ.

وَيَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدِيحِ بَهَاءِ الْمَلِكِ، وَتَهْنِئَتِهِ بِالْمَهْرِ جَانِ: ^(١)
أَعْنَى غَدَاةَ الْبَيْنِ مِنْكَ بِنْظَرَةً فَقَدْ عَشِشْتَ بِالْذَّمِّ مِنَّا النَّوَاطِرُ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ النِّسَبِ وَاسْتِعْطَافِ الْحَبِيبِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ
تَحَرَّكَ صَيْغَةُ الْأَمْرِ "أَعْنَى" إِلَى دَلَالَةِ الْإِسْتِعْطَافِ.

فَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَسْتَعْطِفُ - خِلَالَ الْأَمْرِ - مَحْبُوبَهُ / الْخُلَافَةَ فَيَقُولُ: انْقِذْنِي
أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ بِنْظَرَةً مِنْكَ يَوْمَ رَحِيلِكَ، فَقَدْ ضَعُفَ بَصَرِي مِنْ كَثَرَةِ بُكَائِي عَلَيْكَ.

وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي التَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ: ^(٢)
أَقْلِنِي رَبِّي بِالَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ وَقُلْتَ لَنَا: هُمْ خَيْرُ مَنْ أَنَا خَالِقُ

وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يَخَاطَبُ الْحَقَّ "جَلَّ وَعَلَا"، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَحَرَّكَ
صَيْغَةُ الْأَمْرِ "أَقْلِنِي" إِلَى دَلَالَةِ الدُّعَاءِ، إِذْ هُوَ فِي الْبَيْتِ يَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ مُتَضَرِّعًا إِلَيْهِ،
دَاعِيًا إِيَّاهُ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ هَفَوَاتِهِ مُتَّخِذًا مِنْ آلِ الْبَيْتِ خَيْرَ النَّاسِ شُفَعَاءَ لَهُ.

1- الديوان ١٣/٢ (من الطويل).

2- الديوان: ٣٠٨/٢ (من الطويل).

وقد عَبَّرَ الْمُرتَضَى بِأَسْلُوبِ الأَمْرِ فِي سِيَاقِ الدَّعَاءِ ؛ لِيُظْهَرَ كِهَالُ الخُضُوعِ لِلَّهِ
(عَزَّ وَجَلَّ) ؛ وَلِيُبَيِّنَ شِدَّةَ رَغْبَتِهِ فِي تَحْقِيقِ العَفْوِ عَنْ هَفَوَاتِهِ، وَلِيُؤَكِّدَ - أَيْضًا -
فِكْرَةَ شَفَاعَةِ آلِ البَيْتِ لِلْمُسْلِمِينَ، إِذْ قَدْ تَحَدَّثَ عَنْهَا فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ إِلَى اللَّهِ (تَعَالَى).

يَقُولُ الْمُرتَضَى فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ^(١)

قِفْ بِالدِّيَارِ المَقْفَرَاتِ	لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي الشُّتَاتِ
فَكَأَنَّهُنَّ هَشَائِمٌ	بِمُرُورِ هُجُوجِ العَاصِفَاتِ
فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَيْسَ تَسْ	أَلْ غَيْرَ صُمٌّ صَامِتَاتِ
خُرْسٍ يُخْلِنَ مِنَ السَّكْوِ	تِ بِهِنَّ هَامُ المُضْغِيَاتِ
عُجْ بِالمَطَايَا النَاحِلَا	تِ عَلَى الرُسُومِ المَاحِلَاتِ
الدَّارِسَاتِ الفَانِيَا	تِ شَبِيهَةً بِالبَاقِيَاتِ
وَاسْأَلْ عَنِ القَتْلِ الأَلَى	طُرِحُوا عَلَى شَطِّ الفُرَاتِ

والمُرتَضَى فِي الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَبْكِي دِيَارَ آلِ البَيْتِ الَّتِي صَارَتْ قِفَارًا، وَمِنْ ثَمَّ
فَقَدْ تَحَرَّكَتْ أَفْعَالُ الأَمْرِ : " قِفْ، عُجْ، اسْأَلْ " إِلَى دَلَالَةِ التَّحَسُّرِ وَالتَّخْزُّنِ ؛ وَلِذَا
فَالْمُرتَضَى فِي الأَبْيَاتِ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ - إِذْ هُوَ مُقَسِّمُ النَّفْسِ - بِطَرِيقِ التَّجْرِيدِ مُتَحَسِّرًا
مَحْزُونًا، فَيَقُولُ تَوَقَّفْ عِنْدَ الدِّيَارِ القَفْرِ الخَالِيَةِ، وَقَدْ عَبَّثَتْ بِهَا الفُرْقَةُ . . وَأَنْزِلْ
مَطَايَاكَ بِهَا . . وَاسْأَلْ عَمَّنْ قُتِلُوا عَلَى شَوَاطِي نَهْرِ الفِرَاتِ.

وَيَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ^(٢)

قَدْ رَأَيْتُمْ قَارُونًا مِثْلَكُمْ فَزِدًا نَجِييًا

وَقَدْ وَرَدَ البَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ افْتِخَارِ الْمُرتَضَى بِوَصْفِهِ عَلَويًّا عَلَى الأَمَوِيِّينَ،

1- الديوان: ١ / ١٤٥ (من مجزوء الكامل).

2- الديوان ١ / ٧٠ (من مجزوء الرمل).

وتعجيزه لهم، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَحَرَّكَتْ صَيْغَةُ الْأَمْرِ "أَرُونَا" إِلَى دَلَالَةِ التَّعْجِيزِ، فَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَخَاطَبُ الْأُمُويِّينَ مُتَحَدِّيًا أَنْ يَقْفُوهُ عَلَى فَرْدٍ مِنْهُمْ نَجِيبٍ، فَيَقُولُ : لَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنَّا النُّجَبَاءَ فَأَرُونَا مِنْكُمْ نَجِيبًا وَاحِدًا.

والأمر - في هذا السياق - يشعر بمدى دُونِيَّةِ الْأُمُويِّينَ وَعَجْزِهِمْ مِمَّا يُوْدِي إِلَى الانصرافِ عَنْهُمْ وَالتنفيرِ مِنْهُمْ، وَالانضمامِ إِلَى صَفُوفِ النُّجَبَاءِ آلِ الْبَيْتِ.

يقول المرتضى من قصيدة في الافتخار :^(١)

أَجِلْ عَيْنَيْكَ فِي مَجْدِي تَجِدْنِي وَجُتْ إِلَى الْعُلَامِ مِنْ كُلِّ بَابِ

وقد وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ افْتِخَارِ الْمُرْتَضَى بِنَفْسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَحَرَّكَتْ صَيْغَةُ الْأَمْرِ "أَجِلْ" إِلَى دَلَالَةِ الْافتِخَارِ ؛ إِذُ الْمُرْتَضَى يَخَاطَبُ صَاحِبَهُ مُفْتَخِرًا، فَيَقُولُ : انْظُرْ بِعَيْنَيْكَ وَتَأَمَّلْ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَجْدٍ فَسَتَجِدُ أَنَّنِي بَلَغْتُ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ.

ويقول من قصيدة في الشَّيْبِ :^(٢)

وَعُدِّي بِيَاضَ الرَّأْسِ بَعْدَ سَوَادِهِ صَبَاحًا أَتَى لَمْ أَجْنِهِ وَمَسَاءً

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ شَيْبِهِ، وَإِقْرَارِهِ بِوُقُوعِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ سَبِيًّا فِي انصرافِ الْمَحْبُوبَةِ عَنْهُ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَحَرَّكَتْ صَيْغَةُ الْأَمْرِ "عُدِّي" إِلَى دَلَالَةِ التَّمْنَى، إِذْ إِنَّ نَفْوَْرَ الْمَحْبُوبَةِ مِنَ الْمُرْتَضَى بِسَبَبِ شَيْبِهِ، سَبَّبَ لَهُ أَلَمًا وَضِيقًا جَعَلَهُ يَتَمَنَّى مِنْهَا - تَخَلُّصًا مِنْ أَلَمِهِ - أَنْ تَعُدَّ بِيَاضَ رَأْسِهِ بَعْدَ سَوَادِهِ كَأَنَّهُ صَبَاحٌ جِيءَ بِهِ بَعْدَ مَسَاءٍ وَلَا دَخَلَ لَهُ فِيهِ.

ويقول المرتضى من قصيدة في رثاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :^(٣)

قُلْ لِقَوْمٍ بَنَوْا بَغِيرَ أُسَاسٍ فِي دِيَارٍ مَا يَمْلِكُونَ مَنَارًا

1- الديوان ١/ ١٠١ (من الوافر).

2- الديوان : ١/ ١٨ (من الطويل).

3- الديوان : ٢/ ٤٥ (من الخفيف).

واستعاروا من الزمان ومازا لست لياليه تُسشِرُ المَعَارَا
ليسَ أَمْرٌ غَصِبْتُموهُ لِزَامَا لا ولا منزلٌ سَكَّتُم قَرَارَا

وقد وردت الأبيات السابقة في سياق إخبار الأمويين بأن الخلافة التي اغتصبوها لن تدوم لهم، ولذا فقد عبّر المرتضى بصيغة الأمر "قُلْ" التي لا يُرادُ بها مأمورٌ معينٌ وإنما يُرادُ بها كلٌّ من يتأتى منه الخطاب، حتى لكأن كل فردٍ من أفراد الأمة مُهدَّدٌ للأمويين ومُنذَرٌ بزوال ملكهم، وفي هذا إهانةٌ لهم وتشهيرٌ بهم، وإشارةٌ إلى أن جواب الأمر حقٌّ لا مرأى فيه.

٢ - "الأمر" بـ "اسم فعل الأمر" :

يقول المرتضى من قصيدة كتبها إلى أخيه الرضى يُعَاتِبُهُ عِتَابًا أَوْرَثَ الرضا: ^(١)
هَلُمَّ نَعِدْ صَفْوَ الْوَدَادِ كَمَا بَدَا إِعَادَةً مَنْ لَمْ يَلْفِ عَنْ ذَاكَ مِنْ بُدَا

وقد ورد البيت السابق في سياق معاتبة المرتضى لأخيه الرضى، ومن ثم فقد تحركت صيغة الأمر "هَلُمَّ" إلى دلالة التمني، فالمرتضى يخاطب أخاه مُتَمَنِّيًا أَنْ يَعُودَ الْوَدَادُ - كَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا - صَافِيًا، إِذْ لَا مَفَرَّ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا أَخَوَانِ.

ويقول من قصيدة في بعض الأعداء: ^(٢)

فَدُونَكَ - يَا شَقِيقَ اللَّؤْمِ - قَوْلَا يَسُوؤُكَ ثُمَّ يُوسِعُنَا ابْتِهَاجَا

وقد ورد البيت السابق في سياق حديث المرتضى إلى أحد أعدائه، ومن ثم فقد تحركت صيغة الأمر "فَدُونَكَ" إلى دلالة التحقير، إِذْ إِنَّ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَخَاطَبُ عَدُوَّهُ مُحَقَّرًا، فيقول خُذْ أَيُّهَا اللَّئِيمُ كَلَامًا يُزْعِجُكَ وَيَسُوؤُكَ، وهو في الوقت ذاته يُسَعِدُنَا وَيَسُرُّنَا. وقد أكد بجملة النداء المعترضة "يا شقيق اللؤم" دلالة التحقير.

١ - الديوان : ٢٠٦ / ١ (من الطويل).

٢ - الديوان : ١٧٠ / ١ (من الوافر).

٣ - الأُمْرُب " المضارع المَقْرُونُ بلامِ الأمرِ " :

يقول المُرْتَضَى من قصيدة في الافتخار :^(١)

مَا فِيكَ يَا شَمِيطَ الْعِذَارِ لِوَامِقٍ عَبِقِ الْجَوَانِحِ بِأَلْهَوَى مِنْ شَاعِفِ
فَلْيُخَلِّ قَلْبُكَ مِنْ أَحَادِيثِ الْهَوَى وَلْيُخَلِّ غَمُضُكَ مِنْ مَطِيفِ الطَّائِفِ

وقد وَرَدَ البيتانِ السابقانِ في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن ذهابِ الشبابِ عنه،
وَمِنْ ثَمَّ تَحَرَّكَتْ صِيغَتِي الأَمْرِ : " فَلْيُخَلِّ " ، " وَلْيُخَلِّ " للدَّلالَةِ على التَّيَسُّسِ، إذُ
المُرْتَضَى فِيهَا يَخَاطَبُ نَفْسَهُ - بِطَرِيقِ التَّجْرِيدِ - مَيَّسًا، فيقولُ : لَمْ يَعُدْ فِيكَ أَيُّهَا
الْأَشْيَبُ مَطْمَعٌ فِي النِّسَاءِ، فعَلَيْكَ - إِذَنْ - أَنْ تَصْرِفَ نَفْسَكَ عَنِ الْحَدِيثِ عَنْهُنَّ بَلْ
عَنْ مَجَرَّدِ التَّفَكِيرِ فِيهِنَّ، وَأَنْ يَتَطَوَّفَ بِكَ طَائِفٌ مِنْهُنَّ.

ثالثًا: النِّدَاءُ :

والنِّدَاءُ هُوَ بَنِيَّةٌ طَلَبِيَّةٌ، تَتِمَثَّلُ إِنْتَاجِيَّتُهَا الْوَضْعِيَّةُ فِي " طَلَبِ الْإِقْبَالِ حِسًّا أَوْ مَعْنَى
بِحَرْفٍ مُوَلَّدٍ مِنَ الْفِعْلِ " أَدْعُو، سَوَاءً أَكَانَ الْحَرْفُ مَلْفُوظًا عَلَى مَسْتَوَى السَّطْحِ،
مِثْلُ : " يَا مُحَمَّدُ "، أَوْ مُضْمَرًّا عَلَى مَسْتَوَى الْعُمُقِ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى " يُوسُفُ أَعْرِضْ
عَنْ هَذَا " (٢) وَأَدْوَاتُ النِّدَاءِ هِيَ (الهمزة، وأى، ويا، ووا، وأيا، وهيا)، وَالنِّظَامُ
اللُّغَوِيُّ يَقْتَضِي اسْتِعْمَالَ (الهمزة وأى) لِنِدَاءِ الْقَرِيبِ، وَبَقِيَّةَ الْأَدْوَاتِ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ.

النِّدَاءُ فِي دِيْوَانِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى :

وَالنِّدَاءُ مِنَ السَّمَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ فِي شِعْرِ المُرْتَضَى، إِذْ قَدْ وَرَدَ فِي دِيْوَانِهِ فِي أَرْبَعَاءِ
وَأَرْبَعَةِ (٤٠٤) مَوَاضِعَ، وَاسْتُعْمِلَتْ صِيغَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ، حَيْثُ وَظَّفَهَا المُرْتَضَى
تَوْظِيفًا فَنِّيًّا أَتَاخَ لَهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي يَرِيدُهُ مُتَجَاوِزًا بِهِ الدَّلَالََةَ الْوَضْعِيَّةَ إِلَى
دَلَالَاتٍ بَدِيلَةٍ.

١ - الديوان : ٢ / ٢٧٠ (من الكامل).

٢ - محمد عبدالمطلب : البلاغة العربية ، قراءة أخرى - مرجع سابق - ص ٢٩٩ / ٣٠٠

وقد استخدم المرتضى في نداءاته : الياء وأيا والهمزة، وسيتم دراسة هذه النداءات وما تُشعُّه من دلالات تبعاً لنسب ورودها في الديوان.

وهذا - أولاً - جدول إحصائي لأعداد ورود هذه الأدوات في الديوان، وبلى هذا الجدول عرض وتفصيل لهذه الأدوات وذلك على النحو التالي :-

م	نوع الأداة	العدد
١	الياء	٣٧٢
٢	أيا	٢٣
٣	الهمزة	٩
المجموع		٤٠٤

١ - " النداء " بـ " الياء " :

يقول المرتضى من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام :^(١)

يَا حُجَّاجَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَمَنْ بِهِمْ أَبْصَرَ مَنْ أَبْصَرَ
أَنْتُمْ عَلَى اللَّهِ نَزُولٌ وَإِنْ خَالَ أَنْاسٌ أَنْكُمْ فِي الشَّرَى

وقد وردَ البيتان السابقان في سياق حديث المرتضى لآل البيت بعد حديثه لآل حرب، وذمهم بسبب انتزاعهم الخلافة من العلويين، ومن ثمَّ فهو فيهما يخاطب آل البيت مُعْظِماً، إذ هم حُجَّةُ اللَّهِ على خَلْقِهِ ومن أَبْصَرَهم فقد أَبْصَرَ الحقَّ واليقين، ثم هم لَمْ يُدْفَنُوا - على حدِّ زعم الشيعة - وَإِنَّمَا قد نَزَلُوا عند رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وقد استخدم المرتضى لنداء آل البيت " يا " الموضوع لنداء البعيد لينبئ ببعيد

1 - الديوان : ٤٣ / ٢ (من السريع).

مكانتهم وسمو منزلتهم، وذلك مما يشير إلى أنهم أحق بالخلافة من آل حرب.

ويقول المرتضى من قصيدة في رثاء جدّه الحسين عليه السلام ^(١)

فَيَا حَاسِدِيهِمْ فَضْلَهُمْ وَهُوَ بَاهِرٌ وَكَمْ حَسَدَ الْأَقْوَامِ فَضْلًا وَأَسْرَفُوا
دَعُّوا حَلَبَاتِ السَّبْقِ تَمْرُحُ خَيْلَهَا وَتَغْدُوا عَلَى مَضَارِهَا تَتَغَطَّرُ
وَلَا تَزْحَفُوا زَحْفَ الْكَسِيرِ إِلَى الْعُلَا فَلَنْ تُلْحَقُوا وَلِلصَّلَالِ التَّزَحُّفُ

والمُرتضى في الأبيات السابقة يتوجه بخطابه الشعري إلى أولئك الذين ينكرون فضل آل البيت، ومن ثم فقد استخدمَ لندائهم أداة النداء "يا" الموضوعية لنداء البعيد ليشعر بأن المنادى وضيعُ المنزل مُنحطُ المكانة، وليشير إلى أنه بعيدٌ عن قلبه، إذ قد أنزل البعد النفسى منزلة البعد المكانى.

وقد كشفَ النداء بـ "يا" أيضًا في هذا السياق عن توبيخ المرتضى لمنكرى فضل آل البيت، إذ إنَّ فضلهم واضحٌ جليٌّ، فالجملة الحالية "وهو باهرٌ" تؤكد دلائلى التوبيخ والتحقير يقول المرتضى من قصيدة في الفخر: ^(٢)

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ لَا أَبْصَرْتُكَ إِلَّا عَيْنٌ مِنْ بَعْدِ أَنْ حَلَلْتُ رُسُومًا

والمقصود بالمركب الإضافى "ديارَ الأحباب" - في هذا البيت - ديارُ الحسين عليه السلام

وآله، بدليل ورودِهِ بهذا المعنى في مطلع قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام، إذ يقول ^(٣)

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ كَيْفَ تَحُولُ - بَتٍ قَفَارًا وَلَمْ تَكْسُونِي قَفَارًا؟
وَتَحْتَ مِنْكَ حَادِثَاتُ اللَّيَالِي - رَغَمَ أَنْفَى - الشَّمُوسَ وَالْأَقْمَارَ؟

وقد كشفَ النداء بـ "يا" في قوله "يا ديارَ الأحباب" في الأبيات السابقة عن تحسر المرتضى وتحزّنه، إذ هو يبكى ويتحسر على ديار آل البيت التى تحولت إلى

1- الديوان : ٢٥٦ / ٢ (من الطويل).

2- الديوان : ٢٠٧ / ٣ (من الخفيف).

3- الديوان : ٥٣ / ٢ (من الخفيف).

رسوم. كما أوحى نداء الديار بشدة ألم المرتضى وعظيم حزنه وكأنه لفرط ما هو فيه من الوجد والأسى توهم أن تلك الديار تحس وتشعر فناداها لعلها تقاسمه الألم.

ومن قصيدة في التشويق إلى الوزير أبي سعد بن عبدالرحيم يقول: ^(١)

يا صاحبي على الزمان تأملا ما جرّهُ هذا الزمان الأقبح
في كل يوم لي خليط ينتهي عنى ودار بالمرّة تنزح

والمرتضى في البيت يخاطب صاحبيه مذكّرا بحقيقة الزمن الجائر الذي يُبعد عنه أحبابه، ويذهب بكل ما يسره.

فالنداء في البيت الأول يشعر بغفلة الصاحبين عن حقيقة الزمن غفلة اقتضت تنبيههما وإيقاظهما؛ لعلهما يواسيانه ويشاركانه أحزانه.

ويقول المرتضى من قصيدة في عزاء الوزير أبي علي في ابنة له تُوفيت: ^(٢)

يا موت كم لكرم فيك من ترة أغيا بها الرمح والصمصامة الخدم (3)
وكم ولجت - وما شاورت قصرأ على بابيه الحراس والخدم
وكم عظيم أناس قد سطوت به لم يغن عنه فتيل ذلك العظم

والنداء في الأبيات السابقة يكشف عن مدى حزن المرتضى بسبب وفاة ابنة الوزير وتوجهه توجعا أذهله فصار ينادى مالا يُنادى، إذ أقبل على الموت يُنادى وينوح.

٢ - النداء ب (أيا):

يقول المرتضى من قصيدة يعاتب فيها الرئيس أبا الحسين البّنى على الإخلال

بزيارته: ^(٤)

1- الديوان ١ / ١٨٤ (من الكامل).

2- الديوان: ٣ / ١٦٧ (من البسيط).

3- الترة: الثأر، والصمصامة الخدم: السيف القاطع.

4- الديوان ٢ / ٢٦٧ (من الوافر).

أَيَا مَنْ بَعَثَهُ وَصَلِي جُزَافَا فَقَالَ بَلَنِي بِهِ جُرَانِ جُزَافِ

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ في سياقِ معاتبةِ المرتضى الرئيسِ البتّي، ومن ثمَّ فقد تحركَ النداءُ بـ "أَيَا" إلى دلالةِ العتابِ، إذ قد أَحَبَّ المرتضى البتّي حُبًّا جَمًّا، وكان يتوقعُ منه أن يبادلهُ الحبَّ، وإذ به يُفْرِطُ في صَدِّهِ، ويتهادى في هَجْرِهِ.

٣- النداءُ بالهمزة:

يقول المرتضى من قصيدة في رثاء عميد الجيوش أبي علي هُرْمِزٍ: ^(١)
أَبَا عَلِيٍّ دَعْوَةٌ مَرْدُودَةٌ هَيْهَاتَ يُسْمِعُكَ الْأَنْيَسُ كَلَامًا

والنداءُ بالهمزة على الميِّتِ أبي عليٍّ في هذا السياقِ يشعرُ بِمَدَى تَحَسُّرِ المرتضى وَتَحْزُنِهِ وضيقِ صدرِهِ عن إطالةِ الكلامِ بسببِ وفاةِ صاحبهِ بدليلِ حَذْفِهِ للفعلِ "أَدْعُو" من قَوْلِهِ "دَعْوَةٌ مَرْدُودَةٌ" إذ التقديرُ "أَدْعُو دَعْوَةً مَرْدُودَةً" واستدراكه بِهَذِهِ الجملةِ المحذوفةِ الفعلِ، التي تقررُ عَدَمَ جَدْوَى مُنَادَاتِهِ، وبمركبِ الخَالِفَةِ: "هَيْهَاتَ يُسْمِعُكَ الْأَنْيَسُ كَلَامًا" الذي يعللُ ويؤكدُ ذَلِكَ، فأبو عليٍّ لَنْ يسمعَ مؤانسةً مَنْ يُؤَانِسُهُ، فلماذا النداءُ إِذَنْ؟ إنه التَّحَسُّرُ والتَّحْزُنُ.

رابعًا: النَّهْيُ:

والنَّهْيُ هو أحدُ الأبنيةِ الطلبيةِ الذي تتمثلُ إنتاجيَّتهُ في "طلبِ كَفٍّ عن فعلٍ على جهةِ الاستعلاء" ^(٢)، وصيغتهُ الوَضْعِيَّةُ "لا تفعل" بلا الجازمة.

وقد تتحركُ صيغةُ النَّهْيِ في مَوْضِعِهَا لِتَدُلَّ على مَعَانٍ بَدِيلَةٍ يَتَطَلَّبُهَا السياقُ الذي تَرِدُ فِيهِ النَّهْيُ في ديوانِ الشريفِ المرتضى:

ولقد كَانَ النَّهْيُ من أَهَمِّ السَّمَاتِ التركيبيةِ في شعرِ المرتضى؛ إذ قد وَرَدَ في ديوانِهِ

١- الديوان: ٣/ ٢٠٤ (من الكامل) ..

٢- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح؛ ضمن شروح التلخيص - القاهرة - عيسى الحلبي -

١٩٣٧م - ج ٢ - ص ٣٢٦.

في مائتين وأربعة وثلاثين (٢٣٤) موضعًا في سياقات مختلفة دالًا على معانٍ بديلة يقتضيها السياق.

يقول المرتضى من قصيدة في يوم الغدير: ^(١)
وَقِيلَ لَنَا: لِلْحَقِّ وَقْتُ مَعِينٍ يَفُوزُ بِهِ بِاِغٍ وَيَنْجَحُ طَالِبُ
فَلَا تَطْلُبُوا مَا لَمْ يَحْنِ بَعْدُ حِينُهُ فَطَالِبُ مَا لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ خَائِبُ

وقد وردَ البيتان السابقان في سياق حديث المرتضى إلى العلويين وهو يقصد بكلمة "الحق" - في هذا السياق - استعادة العلويين للخلافة التي اغتصبت منهم، وهي حقهم. وهذا دليل قوله في سياق حديثه - أيضًا - إلى العلويين من قصيدة في رثاء جدّه الحسين عليه السلام ^(٢)

مَتَى أَرَى حَقَّكُمْ عَائِدًا إِلَيْكُمْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ؟

فالحق الذي يتطلع العلويون ساعة استعادته واسترداده هو الخلافة. كما يقصد بالمركب الاسمى الوصفى: "وقت معين" وقت ظهور المهدي على حدّ زعم الشيعة.

وقد تحركت صيغة النهي "فَلَا تَطْلُبُوا" لتدلّ على التّصبير، إذ المرتضى يخاطب في البيتين العلويين مخبرًا بأن الحق / الخلافة لها وقت معلوم، وهو وقت ظهور المهدي؛ فعليهم - إذن - أن يصبروا إلى أن يأتي هذا الوقت، ويقضى به الله حتّى لا يخيبوا. فالجُملة الاستثنائية "فَطَالِبُ مَا لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ خَائِبُ" بيانٌ لعلّة هذا التّصبير.

والتّركيب "فَلَا تَطْلُبُوا مَا لَمْ يَحْنِ بَعْدُ حِينُهُ" يُشير إلى الإمام المهدي، وفكرة الرّجعة و "تعني الرّجعة في المذهب الشيعي أنّ أئمة الشيعة ابتداءً بالإمام عليّ وانتهاءً بالحسن العسكريّ الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية

1- الديوان ١/ ٣٦ (من الطويل).

2- الديوان: ٢/ ٩٥ (من السريع).

سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أُرْسِيَ قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الأئمة ويملا الأرض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم وإنَّ كُلَّ واحدٍ من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن ثمَّ يُتَوَفَّى مَرَّةً أُخْرَى لِيُخْلَفَهُ ابْنُهُ في الحكم حتى ينتهي إلى الحسن العسكري وسيكون بعد ذلك يوم القيامة، كلُّ هذا تعويضاً لهم عن حَقِّهِم الشَّرْعِي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا مُمارستها في حياتهم قَبْلَ الرَّجْعَةِ" (١).

وهذه الإشارة تُؤدِّي إلى نَشْرِ المذهب الشَّيعي بين أفراد الأُمَّة الإسلامية لتوحيد صُفُوفِهِم، وتصبيرهم حتى يظهر المهدي.

يقول المُرْتَضَى في مطلع مقطوعة في الشَّيْب: (٢)
صَدَّتْ أَسِيَاءُ عَنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَنْفِرِي فَيَاضُ الشَّيْبِ مَعَهُودُ

والمُرْتَضَى في البيت السابق يخبر بأنَّ أسَاءَ قد نَفَرَتْ منه بسببِ شَيْبِهِ، وأنَّه قد نَهَاها عن ذَلِكَ ؛ إِذْ إِنَّ بِيَاضَ الشَّيْبِ معروفٌ.

وقد كَشَفَ النَّهْيُ " لَا تَنْفِرِي " عن تعجبِ المُرْتَضَى من صِدُودِ المحبوبة عنه، وجاءت الجملة الاستثنائية : " فَيَاضُ الشَّيْبِ مَعَهُودُ " ؛ لبيانِ عِلَّةِ هذا التعجبِ.

يقول المُرْتَضَى في الحكمة: (٣)

لا تَطْلُبِ الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا بِمَنْقَصَةٍ	فَالرِّزْقُ بِالذُّلِّ خَيْرٌ مِنْهُ حَرَمَانُ
الْمَالُ يَمْضِي وَتَبْقَى بَعْدَهُ أَبَدًا	عَلَى الْفَتَى مِنْهُ أَوْسَاحٌ وَأَذْرَانُ
مَا لِلْفَتَى فِي الْغِنَى مِنْ ذِلَّةٍ عِوَضُ	وَلَيْسَ فِي الْمَالِ لِلْأَعْرَاضِ أَثْمَانُ

1- الشيعة والتصحيح : مرجع سابق - ص ١٤١ ، ١٤٢ .

2- الديوان : ١ / ٢٣٣ (من البسيط) .

3- الديوان : ٣ / ٢٨٩ (من البسيط) .

والمُرْتَضَى في الأبيات السابقة ينصح - خلال النهي " لا تطلب " - مخاطبه ويرشده إلى ألاَّ يسعى إلى رزقه وهو ذليل، إذ الحرمان من الرزق خيرٌ منه بمذلة؛ لأنَّ المال يزول وتظلُّ أدرأه بالمرء عالقَةً، ولأنَّ المرءَ لَنْ يستعِضَّ عن هذه المذلةِ بالمال، كما أنَّ المالَ لا يُعوِّضُ المرءَ ما يخسره من عرضه.

ويكشفُ النهيُّ في هذا السياق - أيضًا - عن رغبة المُرْتَضَى وحرصه الشديد على أن يمثَّلَ المخاطبُ ويستجيبَ لنصحه وإرشاده.

ويقول المُرْتَضَى من قصيدة: ^(١)

لا تُخَدِّشْنِي خَدًّا عَليَّ فَمَا رَدَّ الْفَتَى أَنْ يُخَدِّشَ الْخُدُّ

وقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى صاحبه هنيئًا مؤكدًا لها أنَّ الموتَ حَتْمٌ، ولا سبيلَ إلى منعه بجدٍ أو هزلٍ، وَمِنْ ثَمَّ فقد انحرفت صيغةُ النهي " لا تُخَدِّشِي " وتحرَّكت في موضعها للدلالة على الحثِّ على التصير.

فالمُرْتَضَى في البيتِ يحثُّ صاحبه على التصير والتجلد عند موته؛ لأنَّ البكاءَ لن يعيدَ المرءَ من قبره.

يقول المُرْتَضَى في مطلع قصيدة في الافتخار: ^(٢)

لا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مَا تَجْنِي عَشِيرَتُهُ عَلَيْهِ مَا بَيْنَ ضَرَاءٍ وَإِضْرَارٍ
وربما كَانَ مِنْ قَوْمِي - وَمَا شَعَرُوا - ذَنْبٌ تَضِيقُ بِهِ سَاحَاتُ أَغْدَارِي
مَا زَالَ أَهْلُ الْحِجَا وَالْحَلَمِ كُلُّهُمْ مَطَالِبِينَ عَنِ الْأَعْمَارِ بِالثَّارِ

والمُرْتَضَى في الأبيات السابقة يتحدث عن تهاون الشيعة في الأخذِ بِشَأْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وأنَّ القصاصَ من قاتليه إنما هو فرضٌ على العقلاء منهم.

وَيُصَوِّرُ المُرْتَضَى - خلال النهي " لا تسأل " - فَطَاعَةَ مَا جَنَّتْهُ عَشِيرَتُهُ وَهَوْلَهُ، إِذْ

1- الديوان ٢٢٨/١ (من الكامل).

2- الديوان: ١٠١/٢، ١٠٢ (من البسيط).

قَدْ تَهَاوَنْتَ فِي الْأَخْذِ بِثَارِ الْحُسَيْنِ وَآلِهِ، تَهَاوَنَّا عَجَزَ الْمُرْتَضَى عَنْ وَصْفِهِ لخروجه عن مقتضى عقله.

كما يبرزُ النهيُّ - أيضًا - أَنَّ الْمُرْتَضَى برئٌ مما ارتكبه قَوْمُهُ.

ويقولُ الْمُرْتَضَى من قصيدةٍ في رثاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام : ^(١)

قُلْ لِّلْأَلَى حَادُوا وَقَدْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ عَنِ الْهَدَاةِ

لَا تَأْمَنُوا غَضَّ النَّوَا
ظِرِّمِنْ قُلُوبِ مُرْصِدَاتِ
إِنَّ السِّبْوَفَ الْمُعْرِىَا
بِ مِّنَ السِّبْوَفِ الْمُغْمِدَاتِ

والنَّهْيُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : " لَا تَأْمَنُوا " يَكْشِفُ عَنِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، إِذِ الْمُرْتَضَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ يَتَحَدَّثُ - بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ - إِلَى الْعَبَّاسِيِّينَ، مَهْدَدًا وَمُتَوَعِّدًا، وَيَطْلُبُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولَ لَهُمْ : إِيَّاكُمْ أَنْ تَطْمَئِنُّوا إِلَى غَفْلَتِنَا، فَلَسْنَا عَنْكُمْ بِغَافِلِينَ، فَالسِّبْوَفُ الْمَشْهُورَةُ فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ كَانَتْ يَوْمًا فِي أَغْمَادِهَا ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يَثِيرُ الشَّيْعَةَ ضِدَّ أَعْدَائِهِمْ.

يقولُ الْمُرْتَضَى فِي مَطَّلَعِ مَقْطُوعَةٍ فِي النَّسِيبِ : ^(٢)

لَا تَلْمَنِى فَإِنِّى لَهْوَى النَّفْسِ
سِ مُطِيعٌ فِي حُبِّ مَنْ لَا يُحِبُّ
قَدْ جَرَتْ عَادَتِي بِأَنْ أَغْشَقَ الْبِيَا
بُضْ، وَتَبْدِيلُ مَا تُعَوِّدُ صَعْبُ

وَقَدْ تَحَرَّكَتْ صِغَةُ النَّهْيِ : " لَا تَلْمَنِى " فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ فِي مَوْضِعِهَا إِلَى دَلَالَةِ التَّيْسِ، إِذِ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتَيْنِ يَخَاطَبُ لَائِمَةً مُيَسَّسًا، فَيُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ اللَّوْمُ، وَلَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَنْصَرِفَ عَنْ حُبِّهِ، وَإِنْ كَانَ الْمَحْبُوبُ لَا

1- الديوان : ١ / ١٤٧ (من مجزوء الكامل)

2- الديوان : ١ / ٢٨ ، ٢٩ . (من الخفيف)

يُحِبُّهُ ؛ إِذْ إِنَّهُ قَدْ اعْتَادَ أَنْ يَعِشَ الْحَسَنَاتِ ، وَمَنْ الصَّعْبُ أَنْ يُغَيَّرَ مَا اعْتَادَ عَلَيْهِ . وَفِي هَذَا التَّيْسِ مَا يَجْعَلُ اللَّائِمَ يَنْصَرِفُ عَنْ لَوْمِهِ .

يقول المرتضى من قصيدة في الفخر :^(١)

فَلَا تَكْسِفُوا أَنْوَارَنَا بِظِلَامِكُمْ وَلَا تَعْدِلُوا أَصْقَارَنَا بِالْأَبَاغِثِ^(٢)

وقد ورد البيت السابق في سياق افتخار المرتضى بقومه العلويين على بنى عمه العباسيين ، ومن ثم فقد رمز بالنور إلى الحكماء العلويين وطهرهم ، وبالظلام إلى الحكماء العباسيين وظلمهم ، بدليل قوله في سياق حديثه عن التقيّة وتطليعه ساعة الخلاص ، وذلك من قصيدة في الوزير أبي سعد :^(٣)

وَإِنِّي رَاقِبٌ زَمَنًا وَشَيْئًا يَبِينُ بِهِ الصَّبَاحُ مِنَ الظُّلَامِ

إذ قد رمز المرتضى في هذا البيت بالصبح لحكم العلويين ، وبالظلام لحكم العباسيين . وقد كشف النّهى في بيت الشاهد " لَا تَكْسِفُوا - لَا تَعْدِلُوا " عن دلالة الإهانة والتحقير للعباسيين الذين أظلموا الأرض بظلمهم .

خامسًا : التمني :

والتمني بنية طلبية تتمثل إنتاجيتها في طلب المستحيل أو البعيد الحصول ، وله أدوات التي بها يُحقّق هذا الأثر الدلالي ، وهذه الأداة هي " لَيْتَ " كما أنه قد يُتمنى بـ (هل - لعل - لو) .

وقد تتحرك هذه البنية في موضعها إلى دلالات بديلة وفقًا للسياق الذي وردت فيه .
التمنى في ديوان الشريف المرتضى :

1- الديوان ١/ ١٥٧ (من الطويل) .

2- الأباغث : جمع (الأبعث) وهو من طير الماء .

3- الديوان ٣/ ٢٤٩ (من الوافر) .

4- ينظر : الخطيب القزويني : الإيضاح - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٨ .

وقد وَرَدَ التمني في شعرِ الْمُرتَضَى في ثلاثة وتسعين (٩٣) موضعًا، في سياقات مختلفة دالًا على معانٍ بديلةٍ وَفَقًا لهذه السياقات. وقد شاركت الأدوات (لعل - هل - لو) الأداة "لَيْتَ" في دلالة التمني. وقد سبق الحديث عن التمني بـ "هل" في الاستفهام أما "لو" فقد سبق الحديث عن التَّمَنَّى بها في فصل التركيب الشرطي. وفيما يلي جدول إحصائي لأدوات التمني في الديوان وأعداد ورودها فيه ثم يليه عرضٌ وتفصيلٌ.

م	الأداة المتمنى بها	العدد
١	ليت	٨٦
٢	لعل	٧
المجموع		٩٣

يقولُ في مطلع قصيدة كتَبَهَا إلى الرَّئيسِ أَبِي الحُسَيْنِ البَيْتَى جوابًا عن قصيدة أنشدها إِيَّاهُ: ^(١)

لَعَلَّ زَمَانَنَا بِالثَّوِيَّةِ رَاجِعٌ مَضَى وهو في قلبي مَدَى الدهرِ رَابِعٌ
والمُرتَضَى في البيتِ السابقِ يتمنى أن يعودَ الزمنُ المنقضى بالثَّوِيَّةِ، ولكن هيهات أن يعودَ.

وقد كَانَ من مقتضى السياقِ أن يتمنى المُرتَضَى بـ "ليت"؛ لأنَّ عودةَ الزمنِ الماضي من الأمور المستحيلة، ولكنه انحرفَ عن ذلك، وآثرَ التمني بـ "لَعَلَّ" التي تفيدُ التَّرجُّى؛ لِيُؤَخِّرَ بِتَمَكُّنٍ هذا الزَّمنَ من شِغَافِ قَلْبِهِ تَمَكُّنًا جَعَلَهُ يَتَصَوَّرُ أَنَّ رُجُوعَهُ أَمْرٌ مُمْكِنٌ. والجملةُ الحاليةُ "وهو في قلبي مدى الدهرِ رَابِعٌ" تؤكدُ هذا الإيحاءَ

١- الديوان : ١٨١/٢ (من الطويل).

وتشير إليه، إذ الزمن الماضي يسكن قلبه، ويقيم به لا يبرحه.

ويقول المرتضى في مطلع مقطوعة في النسيب :^(١)

وَحَبْرُهَا يَوْمَ التَّقِينَا بِذِي النَّقَا تَعَجَّبُ مِنْ وَجْدِي وَمَا عَرَفْتُ وَجْدًا
وَتَحْسَبُ أَنِّي مُدَّعٍ عِنْدَهَا الْهُوَى وَتُعْرِضُ عَنْ دَمْعِهَا أَتْرَعَ الْخُدَا
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أَكْسَ مِنْهَا صَبَابَةً - كَمَا هِيَ ظَنَنْتُ - لَا وَلَمْ أَعْرِفْ الْجُهْدَا

والمُرتَضَى في الأبيات السابقة يخبر بأنه قد التقى ومحبوبته بذي النقا، وقد تعجبت من حبه، وادّعت عدم صدقه فيه، إذ هي لم تبادله هذا الحب، ومن ثم فهو قد تمنى ألا يكون قد وقع في هواها - كما ظنت - وعرف المشقة والتعب.

وقد أوحى التمني بـ "ليت" في هذا السياق بشدة تألم المرتضى بسبب هذا الحب تألماً جعله يتمنى أن لم يكن قد أحبها، والجملة الاستثنائية المثفية "ولم أعرف الجهدا" تؤكد هذا المعنى.

يقول المرتضى من قصيدة في العتاب :^(٢)

لَيْتَ قَلْبِي - وَقَدْ صَبَا سَفَا مِنْهُ - هُ إِلَى مَا دَعَاؤُهُ كَانَ حُرُونَا

وقد ورد هذا البيت في سياق حديث الشاعر عن قوم أحبهم وأخلص في حبهم وقد أساءوا إليه، ومن ثم فقد تحركت صيغة "ليت" إلى دلالة الترجي؛ لأن البعد عن أولئك القوم متحقق لا محالة، بدليل إقرار الشاعر - خلال الاعتراض : "وقد صبا سفها منه" - بسفاهة قلبه الذي قد أحبهم، وذلك مما يؤدي إلى انصرافه عنهم إذ تذكر قبائح القوم يدعو إلى النفور منهم.

وقد كشف التمني بـ "ليت" في هذا السياق - وخلال المركب الفعلي الإسنادي المعترض به - أيضاً - عن تحسر المرتضى وتحزنيه على الزمن المنقضي في حب هؤلاء القوم.

1 - الديوان : ٢٥٢ / ١ (من الطويل).

2 - الديوان ٣ / ٣١٤ (من الخفيف).

يقول المرتضى من قصيدة في رثاء بعض أهليه :^(١)
 فحُطًّا - صَاحِبِيَّ - بِهِمْ رَحَالِي قُبِيلَ نُزُولِ أَمْرِ تَرْقُبَانِ
 أَقِيمْ فِي ظِلِّهِمْ مَا دُمْتُ حَيًّا وَيُدْرِكْنِي بِعَقْوَتِهِمْ أَوَانِي
 لَعَلِّي أَنْ أَجَاوِرَهُمْ صَرِيْعًا فَأَخْذُ مَنْ شَفَاعَتِهِمْ أَمَانِي
 فَقَدْ قَضَيْتُ بِالْهَفَوَاتِ عُمْرِي وَنَلِيتُ مِنَ الْخَطَايَا مَا كَفَانِي

والمُرتضى في الأبيات السابقة يَطْلُبُ إِلَى صَاحِبِيهِ مُلْتَمِسًا - وَأَظْنُهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ
 نَفْسِهِ بِطَرِيقِ التَّجْرِيدِ - أَنْ يُنْزِلَاهُ عِنْدَ دِيَارِ آلِ الْبَيْتِ لِيُقِيمَ مَا دَامَ حَيًّا بَيْنَهُمْ، وَيُدْرِكَهُ
 الْمَوْتُ فِي دَارِهِمْ رَاجِيًا بِهَذَا أَنْ يُجَاوِرَهُمْ صَرِيْعًا فَيَنَالَ شَفَاعَتَهُمْ، إِذْ إِنَّهُ قَدْ قَضَى
 عُمْرَهُ بِالْهَفَوَاتِ وَنَالَ مَا كَفَاهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

وقد عَبَّرَ الْمُرتضى بـ "لَعَلَّ" عَنْ تَمَنِيهِ ؛ لِيُقْفِدَ الرَّجَاءَ، وَيُشِيرَ إِلَى أَنَّ أَمْرَ شَفَاعَةِ آلِ
 الْبَيْتِ لِلْمُسْلِمِينَ - عَلَى حَدِّ زَعْمِهِ - وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ وَيُنْبِئُ عَنْ رَغْبَتِهِ الشَّدِيدَةِ،
 وَتَشَوُّقِهِ إِلَى مُجَاوِرَةِ آلِ الْبَيْتِ وَالْقُرْبِ مِنْهُمْ.

1 - الديوان : ٣ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ (من الوافر).

الفصل الثالث

التركيب الشرطي

التمهيد:

يتكون التركيب الشرطي من جملتين وأداة: فأما الجملة الأولى فهي جملة الشرط، وأما الجملة الأخرى فهي جملة الجواب، وأما الأداة فتسمى أداة شرط، وهي التي تربط بين الجملتين وتجعلهما كالجملة الواحدة، نحو المبتدأ والخبر. فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر، كذلك جملة الشرط لا تستقل إلا بذكر جملة الجواب. فجملة جواب الشرط مرتبطة بجملة الشرط ارتباطاً بنوياً "نحوياً" وارتباطاً وظيفياً "دلالياً"، والارتباط البنوي يأتي من أداة الشرط الرابطة، والارتباط الوظيفي يأتي من أن تحقق الشرط مرهون بتحقيق الجواب^(١)؛ إذ الشرط "كل حكم معلوم يتعلّق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له".^(٢) وقد تنبّه ابن السراج إلى أن الشرط لا بدّ له من جواب ليتمّ الكلام به، فقال: "قولك إن تأتيني آتاك، وإن تقم أقم. فقولك إن تأتيني شرط وآتاك جوابه، ولا بدّ للشرط من جواب وإلا لم يتمّ الكلام، وهو نظير المبتدأ الذي لا بدّ له من خبر".^(٣)

1- ينظر: مازن الودع: جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب، في ضوء نظرية النحو العالمي لتشكوفسكي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩م - ص ١٥.

2- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن - تحقيق: محمد أحمد خلف الله - مكتبة القاهرة - القاهرة - ١٩٧٠م - ص ٣٧٩.

3- ابن السراج -: الأصول في النحو - تحقيق: عبد الحسين الفتلي - مطبعة النعمان - النجف - ١٩٧٣م - ١٦٤/٢.

وَيُؤَكِّدُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ أَنَّ أَدَاءَ الشَّرْطِ هِيَ الَّتِي تَقُومُ بِالرَّبْطِ بَيْنَ جُمْلَتَيْ الشَّرْطِ وَالْجُزْأَيْنِ، إِذْ يَقُولُ إِنَّ " الشَّرْطَ وَالْجُزْأَيْنِ جُمْلَتَانِ، وَلَكِنَّا نَقُولُ إِنَّ حُكْمَهُمَا حُكْمُ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ حَيْثُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ مَعْنَى يَرْبِطُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى حَتَّى صَارَتْ الْجُمْلَةُ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأَسْمِ الْمَفْرَدِ فِي امْتِنَاعِ أَنْ تَحْصَلَ الْفَائِدَةُ. فَلَوْ قُلْتَ "إِنْ تَأْتِي "وَسَكَتَ"، لَمْ تُفَيْدْ كَمَا لَا تُفَيْدُ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ "وَسَكَتَ"، فَلَمْ تَذْكُرْ اسْمًا آخَرَ وَلَا فِعْلًا، وَلَا كَانَ مَنْوِيًّا فِي النَّفْسِ مَعْلُومًا مِنْ دَلِيلِ الْحَالِ. " (١)

هَذَا، وَلَمْ يُعْطِ النُّحَاةُ الْقُدَمَاءُ التَّرْكِيبَ الشَّرْطِيَّ حَقَّهُ مِنَ الْاهْتِمَامِ، إِذْ لَمْ يُدْرَسْ فِي بَابِ مُسْتَقِلِّ بِرَأْسِهِ مُتَنَوِّعِ الْأَنْمَاطِ الْمُخْتَلِفِ الدَّلَالَاتِ (٢)، وَهَذَا أَمْرٌ لَا غَرَابَةَ فِيهِ فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ طَبِيعَةُ التَّأْلِيفِ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْمَبَكَّرَةِ.

أَمَّا الْبَلَاغِيُّونَ فَقَدْ اِهْتَمُّوا بِ (إِنْ، وَإِذَا، وَلَوْ) مِنْ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ ؛ وَذَلِكَ لِمَا يَكْمُنُ وَرَاءَ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ مِنْ مَعَانٍ وَدَلَالَاتٍ.

فَعَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَدْ أَدْخَلَ الْحُرُوفَ - وَمِنْ بَيْنِهَا (إِنْ، وَإِذَا) الشَّرْطِيَّتَانِ - فِي النَّظْمِ، وَجَعَلَهَا جُزْءًا مِنْهُ، وَأَكَّدَ أَنَّ مَعْرِفَتَهَا وَمَعْرِفَةَ مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ بَعْضُهَا مِنْ الْمَعَانِي، وَمَا يَخْتَلِفُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ النَّظَرُ إِلَيْهَا فِي حُسْنِ النَّظْمِ وَبَلَاغَتِهِ فَيَجِبُ عَلَى النَّاطِرِ أَنْ "يَنْظُرَ فِي الْحُرُوفِ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِي مَعْنَى، ثُمَّ يَنْفَرِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِخُصُوصِيَّةٍ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى، فَيَضَعُ كُلًّا مِنْ ذَلِكَ فِي خَاصِّ مَعْنَاهُ، نَحْوُ أَنْ يَجِيءَ بِ "مَا" فِي نَفْيِ الْحَالِ، وَبِ "لَا" إِذَا أَرَادَ نَفْيَ الْاسْتِقْبَالِ، وَبِ "إِنْ" فِيمَا يَتَرَجَّحُ بَيْنَ أَنْ

١ - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة - قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر - الناشر: مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ص ٢٢٠.

٢ - ينظر: محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة - الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨م - ص ١١٥ - ١١٦.

يَكُونُ وَأَنْ لَا يَكُونُ، وَبِـ "إِذَا" فِيمَا عَلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ^(١).

وَقَدْ تَابَعَ الْبَلَاغِيُّونَ عَبْدَ الْقَاهِرِ فَبَيَّنُّوا أَنَّ (إِذَا، وَإِنْ) "لِلشَّرْطِ فِي الْاسْتِقْبَالِ لَكِنَّهُمَا يَفْتَرِقَانِ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي (إِنْ) أَلَا يَكُونُ الشَّرْطُ بِهَا مَقْطُوعًا بِوُقُوعِهِ، كَمَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ : (إِنْ تُكْرِمْنِي أُكْرِمَكَ) وَأَنْتَ لَا تَقْطَعُ بِأَنَّهُ يُكْرِمُكَ. وَالْأَصْلُ فِي (إِذَا) أَنَّ يَكُونُ الشَّرْطُ فِيهَا مَقْطُوعًا بِوُقُوعِهِ، كَمَا تَقُولُ (إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ أَتَيْكَ)"^(٢)، كَمَا أَذْرَكُوا دِقَّةَ التَّعْبِيرِ بِهَاتَيْنِ الْأَدَاتَيْنِ فَفَصَّلُوا الْقَوْلَ فِيهِمَا، وَأَشَارُوا إِلَى مَا يَقَعُ فِيهِ بَعْضُ الْخَاصَّةِ مِنَ الْخَطِ الْجَهْلِي بِمَوَاقِعِهِمَا^(٣).

وَمِنْ هُنَا تَأْتِي أَهَمِّيَّةُ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ فِي الْكَشْفِ عَنِ الدَّلَالَةِ ؛ إِذْ كُلُّ أَدَاةٍ مِنْهَا قَدْ وُضِعَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى بَعِيْنِهِ، كَكَوْنِ (إِنْ، وَإِذَا) لِلشَّرْطِ - كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلُ - مَعَ الشَّكِّ فِي الْأَوَّلَى وَالْجُزْمِ فِي الثَّانِيَةِ، وَكَكَوْنِ (لَوْ) لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي، وَكَكَوْنِ (مَهْمَا، وَمَتَى) لِعُمُومِ الزَّمَانِ، وَ(أَيْنَ) لِعُمُومِ الْمَكَانِ، وَ(مَنْ) لِعُمُومِ مَنْ يَعْقِلُ، (مَا) لِعُمُومِ غَيْرِ الْعَاقِلِ، . . . ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ يَمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي النِّظَامِ النَّحْوِيِّ.

عَلَى أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يَنْحَرِفُ بِهَذِهِ الْأَدَوَاتِ عَنْ دَلَالَتِهَا الْوَضْعِيَّةِ إِلَى دَلَالَاتٍ بَدِيلَةٍ أَوْ يَسْتَخْدِمُ مِنْهَا أَدَاةً فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ يَقْتَضِي اسْتِخْدَامَ غَيْرِهَا ؛ وَذَلِكَ لِسِرِّ دَلَالِيٍّ ؛ وَلِذَا كَانَ التَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ مَبْحَثًا مِنْ مَبَاحِثِ عِلْمِ الْأُسْلُوبِ.

التَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ فِي دِيْوَانِ الشَّرِيفِ الْمُرتَضَى :

وَقَدْ وَرَدَ التَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ فِي شِعْرِ الْمُرتَضَى فِي سِتَّةٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ (١٧٨٦) مَوْضِعٍ، وَجَاءَ مُصَدَّرًا بِأَدَوَاتِ الشَّرْطِ : (إِنْ - إِذَا - لَوْ - لَمَّا - لَوْلَا - مَتَى - كَلَّمَا - مَنْ).

١- دلائل الإعجاز : - مرجع سابق - ص ٨٢ .

٢- الإيضاح لتلخيص المفتاح - مرجع سابق - ج ١ ص ١٤١ .

٣- ينظر : المرجع نفسه - ج - ص ١٤٢ - ١٤٣ .

ومن الجدير بالإشارة أننى قد استبعتُ من عملية الإحصاءِ والدِّراسةِ التركيبَ الشرطىَّ المصدَّر بالأدواتِ "أَيْتًا - مَهْمًا - أَيْ" ؛ لِقَلَّةِ ورودِها في الدِّيوانِ، إذ قد وردت "أَيْتًا" مرةً واحدةً فقط، كما وردت "مَهْمًا" مرَّتَيْنِ، و "أَيْ" ثلاثَ مرَّاتٍ، كما استبعتُ التركيبَ الشرطىَّ المحذوفَ الجوابَ جَوَازًا ؛ لَأَنَّهُ سَيُدرَسُ في الفصلِ الخاصِّ بالمُحذَفِ، والاعتراضُ بالشرطِ، وَذَلِكَ لِدِرَاسَتِهِ في فصلِ الاعتراضِ.

وَسَأَتناولُ - فيما يلى من صفحاتٍ - التركيبَ الشرطىَّ في شِعْرِ الشَّريفِ المُرْتَضَى كاشِفًا عن دلالَتِهِ في إطارِ سِيَاقِهِ الذى وَرَدَ فِيهِ.

وهذا - أوَّلًا - جَدْوَلٌ إحصائىٌّ بأنواعِ أدواتِ الشرطِ، وأعدادِ ورودِها في الدِّيوانِ.

العدد	أداة الشرط	
٥٩١	إن	
٥٧٥	إذا	
٢٥٧	لو	
١٨٣	لما	
٨٦	لولا	
٤٤	متى	
٣٠	كلما	
٢٠	من	
١٧٨٦		

١- التركيبُ الشرطىُّ المصدَّرُ بالأداةِ "إن" :

يقولُ في مَطْلَعِ مقطوعةٍ في الغَزَلِ :^(١)

١- الدِّيوان ١/ ١٥١. (من الخفيف).

أَنْكَرَتْ لَيْلَةً اغْتَنَّقْنَا حُسَامِي وهو مُلْقَى بَيْنِي وَبَيْنَ الْفَتَاةِ
إِنْ يَكُنْ عَائِقًا يَسِيرًا عَنِ الضَّمِّ مَ فَمَا زَالَ وَاقِيًا مِنْ عُدَاتِي

والمُرْتَضَى في البيت الأول يتحدث عَنْ فَتَاتِهِ مُتَعَجِّبًا، إِذْ هِيَ قَدْ أَنْكَرَتْ سَيْفَهُ
مُضْطَجِعًا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، ثُمَّ هُوَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يتحدث إِلَيْهَا ذَاكِرًا عِلَّةَ احْتِفَاطِهِ
بِالسَّيْفِ بَيْنَهُمَا، وَهِيَ أَنَّ السَّيْفَ حَامٍ لَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

وَوُجُودُ السَّيْفِ بَيْنَ الْمُرْتَضَى وَفَتَاتِهِ عَائِقٌ - لَا شَكَّ - عَنِ الضَّمِّ، كَمَا أَنَّهُ - لَا
مَحَالَةَ - سَيَقِيهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ ؛ وَلِذَا كَانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِي أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْمُرْتَضَى فِي
الْبَيْتِ الثَّانِي أَدَاةَ الشَّرْطِ " إِذَا " وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ وَاسْتَخْدَمَ الْأَدَاةَ " إِنْ " ؛ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ
عَمَلِيَّةَ الْإِعَاقَةِ هَذِهِ غَيْرُ مُحَقَّقَةِ الْوُقُوعِ، إِذْ نَادِرًا مَا تَحْدُثُ، وَلِذَا فَقَدْ نَعَتَهَا بِكَلِمَةِ
" يَسِيرًا "، فَقَالَ : " عَائِقًا يَسِيرًا "، فَلَا دَاعِيَ إِذْنِ لِفَتَاتِهِ / الْخِلَافَةِ أَنْ تَسْتَنْكَرَ السَّيْفَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، كَمَا انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى وَجَاءَ فِي جُمْلَةِ الْجَوَابِ بِلَفْظِ الْمَاضِي، فَقَالَ : " فَمَا زَالَ
وَاقِيًا مِنْ عُدَاتِهِ " وَكَانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ : " فَمَا يَزَالُ وَاقِيًا مِنْ عُدَاتِهِ "،
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِرَغْبَتِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ فِي أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْحِمَايَةُ وَتَتَحَقَّقَ.

فَالشَّرْطُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يؤكدُ أَنَّ وجودَ السيف بين المرتضى وفتاته / الخلافة
يحميه من أعدائه.

يقول من قصيدة في رثاء الحسين وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ : (١)

فَإِنْ أَغْبَبَ عَنْ نَضْرِكُمْ بُرْهَةً بِمُرْهَفَاتٍ لَمْ أَغْبِبْ بِـالْفَمِ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى إِلَى آلِ الْبَيْتِ، وَإِخْبَارِهِمْ أَنَّهُ لَمْ
يُنَاصِرْهُمْ بِالسَّيْفِ بَلْ بِاللِّسَانِ. وَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ مِنَ الْمُرْتَضَى لَا شَكَّ فِيهِ، وَحَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ
مُقَرَّرَةٌ ؛ وَلِذَا اقْتَضَى النِّظَامُ النَّحْوِيُّ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ " إِذَا غِبْتُ " وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ، وَقَالَ "

إِنْ أَغْبَ " ؛ وَذَلِكَ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ غِيَابَهُ عَنْ مُنَاصَرَةِ آلِ الْبَيْتِ بِالسَّيْفِ أَمْرٌ نَادِرٌ وَقُوْعُهُ،
لَنْ يَسْتَمِرَّ طَوِيلًا، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُهُ اعْتِرَاضُهُ بِظَرْفِ الزَّمَانِ " بُرْهَةً " .

فَالشَّرْطُ بِـ " إِنْ " يُعَلِّقُ عَدَمَ غِيَابِهِ عَنْ مُنَاصَرَتِهِمْ بِالْفَمِّ عَلَى غِيَابِهِ عَنْ مُنَاصَرَتِهِمْ
بِالسَّيْفِ، أَيْ إِنْ الْمُرْتَضَى لَمْ يَنْقَطِعْ عَنْ مُنَاصَرَتِهِمْ شِعْرًا ؛ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنْ مُنَاصَرَتِهِمْ
سَيْفًا وَهَذَا مَا يَتَّبَعُ بِأَنَّهُ جَدِيرٌ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ الَّتِي لَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهُمْ طَوِيلًا، فَضَرُّ آلِ
الْبَيْتِ عَلَى أَغْدَائِهِمْ بِالسَّيْفِ - لَا شَكَّ - جِدُّ قَرِيبٍ .

يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ بِآبَائِهِ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ " ، وَذَكَرَ مَنَاقِبَهُمْ : (١)
وَإِنِّي إِنْ فَخَرْتُ عَلَى الْبَرَايَا فَخَرْتُ بِمَنْ يُبْذُ الْفَاخِرِينَ
بِأَبَاءٍ وَأَجْدَادٍ كِرَامٍ كَمَا كَانُوا عَلَى كُلِّ الْبَيْنَا

وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ قَاطِبَةً بِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ
الْكَرَامِ الَّذِينَ أَوْرَثُوا فَخْرًا لِكُلِّ أَبْنَائِهِمْ يَفُوقُ فَخْرَ الْفَاخِرِينَ .

وَقَدْ كَانَ النَّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِي مِنَ الْمُرْتَضَى أَنْ يَقُولَ : " وَإِنِّي إِذَا فَخَرْتُ . . .
فَخَرْتُ " بِاسْتِخْدَامِ أَدَاةِ الشَّرْطِ " إِذَا " ؛ لِأَنَّ افْتِخَارَهُ عَلَى النَّاسِ بِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ أَمْرٌ
ثَابِتٌ مُقَرَّرٌ، وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ عَنْ هَذَا النَّظَامِ وَاسْتَحْدَمَ الْأَدَاةَ " إِنْ " ؛ لِيُشِيرَ إِلَى تَوَاضُعِهِ
وَأَنَّهُ نَادِرٌ مَا يَفْتَخِرُ عَلَى الْخَلْقِ، كَمَا انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ إِلَى الْمَاضِي
بَعْدَ أَدَاةِ الشَّرْطِ " إِنْ " ؛ لِيُشِيرَ إِلَى اعْتِزَالِهِ بِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَرَغْبَتِهِ الشَّدِيدَةِ فِي
الْاِفْتِخَارِ بِهِمْ وَذَلِكَ مِمَّا يُوجِي بِأَنَّهُ وَآلُهُ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ .

وَيَقُولُ مِنْ مَقْطُوعَةٍ فِي الْغَزَلِ : (٢)

فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْصُونَ أَمْرِي تَجِيبًا فَأَعْصِي لَأَمْرِي مِنْكُمْ أَبَدًا قَلْبِي

وَقَدْ كَانَ النَّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِي مِنَ الْمُرْتَضَى أَنْ يَسْتَحْدِمَ أَدَاةَ الشَّرْطِ " إِذَا " فَيَقُولَ

1 - الديوان ٣ / ٣٠٦ (من الوافر) .

2 - الديوان ١ / ١١٧ (من الطويل) .

: "وَإِذَا كُنْتُمْ تَعْصُونَ أَمْرِي تَجَنَّبًا" ؛ لَأَنَّ عِصْيَانَ أَحْبَابِ الْمُرْتَضَى لِأَمْرِهِ فِي الْحُبِّ أَمْرٌ - لا رَيْبَ - وَاقِعٌ، وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ عَنْ هَذَا النِّظَامِ، وَاسْتَخْدَمَ الْأَدَاةَ "إِنْ" لِقَصْدِ تَوْبِيخِهِمْ وَلِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ صُدُّوهُمْ عَنْهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ كَمَا يُفَرِّضُ وَيُقَدِّرُ الْمَحَالُ، وَذَلِكَ لَوْجُودِ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَحَقِّيَّتِهِ بِحُبِّهِمْ. وَقَدْ أَكَّدَ الْمُرْتَضَى هَذِهِ الدَّلَالََةَ بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ "تَجَنَّبًا" الَّذِي يُبَيِّنُ سَبَبَ انْصِرَافِ أَحْبَابِهِ عَنْهُ، وَهُوَ لِتَجَنَّبِهِمْ وَظُلْمِهِمْ.

كَمَا أَكَّدَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ - خِلَالَ أُسْلُوبِ الشَّرْطِ - الْمَفَارَقَةَ بَيْنَ عِصْيَانِ أَحْبَابِهِ لِأَمْرِهِ فِي الْحُبِّ، وَعِصْيَانِ قَلْبِهِ لِأَمْرِهِ فِي الْبَعْدِ، إِذْ عَقَلَ الْمُرْتَضَى بِخَاطِبِ قَلْبِهِ أَمْرًا إِيَّاهُ بِالْإِبْتِعَادِ عَنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَمْرَ هَوَاهُ، فَلَا يَسْتَجِيبُ الْقَلْبُ لِأَمْرِهِ. "وَمِثْلُ هَذَا الصَّرَاحِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ فِي الْحُبِّ هُوَ نَتِيجَةُ طَبِيعَةِ لِمَجْتَمَعِ الْحَضَارَةِ الَّتِي يَنْمُو فِيهِ الذَّهْنُ وَالْعَقْلُ عَلَى حَسَابِ الْعَوَاطِفِ وَتَطغى فِيهِ ضَرُورَاتُ الْإِنْتِاجِ وَتَدْبِيرِ الشُّؤْنِ الْعَمَلِيَّةِ"^(١) وَهَذَا مِمَّا يَشِيرُ إِلَى أَهْمِيَةِ الْعَمَلِ، وَأَنَّ الْحُبَّ وَخَدَهُ لَا يَكْفِي لِمُتَعَادَةِ الْحَبِيبِ / الْخِلَافَةِ، وَيُثِيرُ عَاطِفَةَ حُبِّ الْعَمَلِ وَالْجِهَادِ لَدَى الْعُلُوِّينَ وَالشَّيْعَةِ بِوَجْهِ عَامٍّ، مِمَّا يُوْدِي إِلَى اسْتِجَابَةِ الْحَبِيبِ لَهُمْ، وَاسْتِعَادَتِهِمْ لِحَقِّهِمْ.

وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي الطَّيْفِ:^(٢)

يَا قَاتِلِي إِنْ كُنْتَ تَرُ ضَى مِمَّنْ وَدَادِي بِالْمَحْـالِ

فَلَسَوْفَ أَقْنَعُ مَنْ لَقَا نِي بِطَيْفٍ مِمَّنْ خِيَالِ

وَقَدْ كَانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِي مِنَ الْمُرْتَضَى أَنْ يَسْتَخْدِمَ أَدَاةَ الشَّرْطِ "إِذَا"، فَيَقُولُ: "إِذَا كُنْتَ تَرْضَى" وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ وَاسْتَخْدَمَ الْأَدَاةَ "إِنْ" ؛ وَذَلِكَ لِاسْتِغْتَابِ الْمَحْبُوبِ وَاسْتِرْضَائِهِ وَإِظْهَارِ حُبِّهِ لَهُ، وَلِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ طَلَبَ الْمَحْبُوبِ ابْتِعَادَهُ عَنْهُ لَا يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ.

1- منيب عبدالرازق: الغزل في شعر الشريف المرتضى - مرجع سابق - ص ٩٨.

2- الديوان ٣/ ١٣٦ (من مجزوء الكامل).

فالمُرْتَضَى في البيتين السابقين يخاطبُ محبوبَهُ مُؤَكِّدًا - خلالَ أسلوبِ الشَّرْطِ -
 الترابطَ والتلازمَ بينَ رغبةِ المحبوبِ في عدمِ وصاليهِ واقتناعِ المُرْتَضَى بطيفِ من
 خياليهِ، وهذا عَمَّا يَدُلُّ على صدقِ المُرْتَضَى في حُبِّهِ إِذْ هُوَ قَدْ أَطَاعَ المحبوبَ / الخلافةَ
 في هَجْرِها، واكْتَفَى منها بِطِيفِها

ويقولُ من قصيدةٍ في رثاءِ جدِّهِ الحسينِ (عليه السلام) ^(١)

وَإِنْ نِلْتُمُو هَـذَا دَوْلَةً عَجْرَفِيَّةً فَقَدْ نَالَ مَا قَدْ نَالَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ ^(٢)

والبيتُ السابقُ يَأْتِي في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى بنى حربٍ وتهديدِهِم بأنَّ دمَ
 أبناءِ فاطمةَ لَنْ يذهبَ حَذَرًا ؛ وَلِذَا فَقَدْ انْحَرَفَ عَنِ النُّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَاسْتَخْدَمَ أَدَاةَ
 الشَّرْطِ " إِنْ " وَكَانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِي أَنْ يَسْتَخْدِمَ " إِذَا "، إِذْ اسْتِيْلَاءُ بَنِي حَرْبٍ عَلَى
 الْخِلَافَةِ قَدْ تَحَقَّقَ فِعْلًا ؛ وَذَلِكَ لِيُشِيرَ إِلَى اسْتِعْجَالِهِ زَوَالِ مُلْكِ بَنِي حَرْبٍ وَرَغْبَتِهِ فِي
 التَّخْلُصِ مِنْهُ، وَلِيُؤْخِى بِأَنَّ هَذَا الْمَلِكَ لَنْ يَدُومَ لَهُمْ.

فأسلوبُ الشَّرْطِ يؤكدُ الارتباطَ والتلازمَ بينَ امتلاكِ بنى حربٍ للدولةِ
 الإسلاميةِ وَقِيَامِهِم بِأُمُورِها، وامتلاكِ كِسْرَى وقيصَرَ للبلادِ وتصرفِهما فيها.
 وهذا التأكيدُ يشيرُ إلى تهديدِ المُرْتَضَى لبني حربٍ، إِذْ قَدْ مَلَكَوا البلادَ كما مَلَكَ
 كِسْرَى وقيصَرُ من قَبْلِهِم وستنتهي دَوْلَتُهُم كما انتهت دولةُ كِسْرَى وقيصَرَ، وتلكَ
 عُقْبَى الظُّلْمِ والاستبدادِ.

ويقولُ في مطلعِ قصيدةٍ في مدحِ جلالِ الدَّوْلَةِ : ^(٣)

يَا طَائِرَ الْأَيْكِ غَرَّدْ لِي عَلَى الْفَنَنِ وَدَاوِ مَا بَيْنِي مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ
 وَفِي الْفَسْوَادِ شُجُونٌ غَيْرُ زَائِلَةٍ إِنْ كَانَ قَلْبُكَ خَلُوعًا غَيْرَ ذِي شَجَنِ

1 - الديوان ٢٩ / ٢ (من الطويل).

2 - المقصود بقوله : " دولة عَجْرَفِيَّة " : دولة قَوِيَّة مُتَجَبِّرَةٌ.

3 - الديوان ٣٣٣ / ٣ (من البسيط).

مَالِي أَرَاكَ بِسَلَا شَوْقِي وَلَا كَلْفِي وَلَا حَيْبٍ تُرَجِّئِيهِ وَلَا سَكْنِ
إِنْ كُنْتَ تُنْصَفُ مِمَّنْ أَنْتَ تَعْشَقُهُ فَإِنِّي عَاشِقٌ مِمَّنْ لَيْسَ يُنْصَفُنِي

والمُرْتَضَى في الأبيات السابقة يتحدث إلى طائر الأيكة مقارنًا بين الطائر وبينه،
فالطائر قلبه خالٍ من الشَّجَنِ، إذ هو لا يعشق أو يعشَقُ مَنْ يَعْشَقُهُ أما فؤادُ المُرْتَضَى
فمملئٌ بالأشجانِ ؛ لأنه يعشق مَنْ لَيْسَ يَعْشَقُهُ، . . . ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ جَاءَ الشَّرْطُ فِي
البيتِ الأخيرِ ليؤكدَ المفارقةَ - وليسَ التلازمَ والارتباطَ كما هو معروفٌ عن أسلوبِ
الشَّرْطِ - بينَ عِشْقِ المُرْتَضَى لِمَنْ لَيْسَ يَنْصَفُهُ وعِشْقِ الطائرِ لِمَنْ يَنْصَفُهُ. وتأكيدُ
المفارقةِ - في هذا السياقِ - وسيلةٌ لبيانِ تَفَرُّدِ المُرْتَضَى بِعِنائِهِ وَعِشْقِهِ لِمَنْ لَا يَعْشَقُهُ (الخلافة)، وهذا مما يؤكدُ شَجَنَهُ وَحُزْنَهُ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في رثاءِ أحدِ رؤساءِ العربِ: ^(١)
وَحَلَفَنِي بَانْتِحَابِ عَلَيْهِ يَقْضُ عَلَى أَضْلَعِي مَرْقَدِي
فإِنْ عَادَ مَضْجَعِي الْعَائِدُونَ خَفِيتُ نَحْوًا عَلَى الْعُودِ

والمُرْتَضَى في البيتينِ يَصُورُ مَبْلَغَ حُزْنِهِ عَلَى الْفَقِيدِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ - مِنْ كَثَرَةِ بَكَائِهِ -
قَدْ حُرِمَ النَّوْمَ، وَمَرِضَ وَهَزُلَ جِسْمُهُ ؛ وَلِذَا فَقَدْ انْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ
النَّحْوِيِّ، وَجَاءَ بِلَفْظِ الْمَاضِي مَعَ أَدَاةِ الشَّرْطِ "إِنْ" فَقَالَ: "فَإِنْ عَادَ مَضْجَعِي
الْعَائِدُونَ خَفِيتُ. . . " وَكَانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِي أَنْ يَأْتِيَ بِلَفْظِ الْمَضَارِعِ، وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ ؛
لِإِظْهَارِ أَنَّ زِيَارَةَ الْعَائِدِينَ لَهُ وَنُحُولَ جِسْمِهِ أَمْرَانِ وَإِقْعَانِ لَا مُحَالَةَ. وَهَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ
شِدَّةَ نُحُولِهِ وَيُوجِئُ بِمَدَى حُزْنِهِ عَلَى الْفَقِيدِ.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في رثاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: ^(٢)
فَإِنْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَقُولُوا لِمَنْ شَفَعَكُمْ فِي الْعَفْوِ أَنْ يَغْفِرَا

١- الديوان ١/ ٢٩٦، ٢٩٧ (من المتقارب).

٢- الديوان ٢/ ٤٣ (من السريع).

والبيت السابق يأتي في سياق حديث المرتضى إلى آل البيت وذكر مناقبيهم، ومن ثم فهو فيه قد ربط - خلال الشرط - بين طلبه منهم الشفاعة التي اختصهم بها الله واقتراف الذنوب، وهذا مما يؤكد شفاعتهم للمذنب العاصي؛ إذ كيف يطلب منهم المذنب أن يشفعوا له وهم ليسوا أهلاً للشفاعة.

ولإذن، فقد كشف التركيب الشرطي عن اعتقاد الشيعة الإمامية في شفاعته آل البيت للمذنبين، وهو اعتقاد يجعل آل البيت أحق من غيرهم بالخلافة.

٢- التركيب الشرطي المصدّر بالأداة "إذا" :

يقول المرتضى في رثاء جدّه الحسين (عليه السلام) :^(١)

قَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ هِ يَتْلُوهُ مَرَّةً وَمَرَارًا
وَهُوَ الْجَاهِلُ الَّذِينَ تَرَاخَوْا عَنْ هَوَانَا مِنْ قَوْمِهِ كُفَّارًا
وَإِذَا مَا عَصَيْتُمْ فِي ذَوْنِهِ حَالٌ مِنْكُمْ إِقْرَارُكُمْ إِنْكَارًا

والآيات السابقة تأتي في سياق حديث المرتضى إلى الأمويين، ومن ثم فهو في البيت الأول منها يؤكد لهم - على سبيل الاحتقار - أنهم قد سمعوا قول الرسول الكريم محمد (ﷺ) بأحقية آل البيت من أبناء فاطمة الزهراء بالخلافة. وهو بهذا يشير إلى قول - الرسول (ﷺ) "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ"^(٢) إذ تعتقد الشيعة أن الرسول بهذا القول قد عقد البيعة لعلي (عليه السلام) ثم هو في البيت الثاني يؤكد أن الرسول (ﷺ) قد عدّ من أنكر هذا الحق لآل البيت كافرين؛ لأن أهل الإمامة - عند الشيعة - هم أئمتهم الاثنا عشر، وقد ورد عن شيخهم أبي عبد الله (عليه السلام) قال : "مَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ

١- الديوان ٢/ ٥٥، ٥٦ (من الخفيف).

٢- أحمد بن حنبل : المسند - تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف - القاهرة (د. ت) ٤/ ٣٦٨.

٣- ينظر : الشيعة والتصحيح، ص ٩، ١٠.

وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا فَهُوَ كَافِرٌ^(١) كما وَرَدَ عَنْ شَيْخِهِمُ الْمَفِيدِ - أَيْضًا - قَوْلُهُ : " اتَّفَقَتْ
الإمامية على أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ إِمَامَةَ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَجَحَّدَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ
فَرْضِ الطَّاعَةِ فَهُوَ كَافِرٌ مُسْتَحِقٌّ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ " (٢) وَأَمَّا فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ فَإِنَّ
الْمُرْتَضَى قَدْ رَبَطَ - خِلَالَ التَّرَكِيبِ الشَّرْطِيِّ - بَيْنَ عَصْيَانِ الْأُمُومِينَ لِكَلَامِ الرَّسُولِ
الكَرِيمِ فِي أُبْنَائِهِ وَإِنْكَارِهِمْ لِهَذَا الْكَلَامِ، وَهَذَا مِمَّا يُشِيرُ - عَلَى حَدِّ زَعْمِ الشُّعْبَةِ - إِلَى
أَنَّهُمْ كُفَرَاءٌ مُسْتَحِقُّونَ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ.

وَيَقُولُ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) : (٣)

وَإِذَا مَا شَفَعْتُمْ مِنْ ذُنُوبِ الْخَلْقِ طَرًّا كَأَنْتَ هَبَاءٌ مُطَارَا

وَالْبَيْتُ السَّابِقُ يَأْتِي فِي سِيَاقِ مَدِيحِ الْمُرْتَضَى لِآلِ الْبَيْتِ وَإِخْبَارِهِمْ - عَلَى سَبِيلِ
الافتخار - بِأَنَّهُمْ خَيْرٌ مَنْ سَكَنُوا الْأَرْضَ، وَمَنْ ثُمَّ فَهُوَ فِي الْبَيْتِ بِوَكْدِ التَّلَازِمِ
وَالارتباط بين شفاعَةِ آلِ الْبَيْتِ لذنُوبِ النَّاسِ جَمِيعًا وَغُفْرَانِ هَذِهِ الذُّنُوبِ.

وَقَدْ آثَرَ الْمُرْتَضَى التَّعْبِيرَ بِأَدَاةِ الشَّرْطِ " إِذَا " - الَّتِي هِيَ ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ
الزَّمَانِ وَالَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرْطِ الْمَقْطُوعِ بِوُقُوعِهِ، الْمَجْزُومِ بِتَحَقُّقِهِ - ؛ لِشِيرِ إِلَى أَنَّ
هَذِهِ الشَّفَاعَةَ سَوْفَ تَكُونُ - لَا مُحَالَةً - يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيْ إِنَّ ذُنُوبَ النَّاسِ جَمِيعًا لَنْ
تُغْفَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَةِ آلِ الْبَيْتِ لَهُمْ، وَذَلِكَ عَلَى حَدِّ زَعْمِ الشُّعْبَةِ.

يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) : (٤)

وَأَمْرُنَا بِالصَّيْرِ كَيْ يَأْتِيَ الْأَمْرُ رُومًا كُنَّا يَطِيقُ اضْطِبَارًا

١- الْكُلَيْنِيُّ : الْكَافِي - مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ٣٧٢ / ١ .

٢- مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْمَجْلِسِيِّ : بَحَارُ الْأَنْوَارِ - نَشْرُ دَارِ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ - طَهْرَانُ - طَبْعَةُ ١٣٨٧ هـ -

٣٦٦ / ٨ .

٣- الدِّيَّانُ : ٥٧ / ٢ (مِنْ الْخَفِيفِ) :

٤- الدِّيَّانُ ٥٩ / ٢ (مِنْ الْخَفِيفِ) .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُنَا اخْتِيَارًا عَنْ مُرَادٍ فَقَدْ صَبْرُنَا اضْطِرَارًا

والبيتان السابقان يأتیان في سياق حديث المرتضى إلى آل البيت وإخبارهم بأنه لا يرضى في نصرهم الأشعار فحسب، وأنه ينتظر زمناً يستطيع فيه أن ينصرهم بالطعن والضرب، ومن ثم فهو في البيتين يخبر آل البيت بأنهم مأمورون بالصبر حتى يأتى أمر المناصرة بالسيف، وأن صبرهم لم يكن باختيارهم وإنما كان رغبة عنهم إذ قد صبروا تقيّة لأولى الحكم.

فالتركيب الشرطي في البيت الثانى يؤكد أن صبر آل البيت على ما هم فيه من ذل وهوان وبُعد عن الخلافة كان اضطراراً منهم، وهذا مما يوحى بشدة ألم المرتضى وتضجره مما هم فيه، والجملة الاعتراضية "وما كُنَّا يطيقُ اصطباراً" تؤكد هذا الإيحاء وتشير إليه.

يقول المرتضى من قصيدة في الفخر بنفسه: ^(١)

إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالسَّيْفِ سَعْيُكَ لِلْعُلَا فَلَا دَانَ مَطْلُوبٌ وَلَا نَارَ طَالِبُ

والمرتضى في البيت السابق يؤكد - خلال التركيب الشرطى - الارتباط والتلازم بين عدم السعى للعلو بالسيف وعدم خضوع المطلب وفشل الثائر، أى إن السعى للعلو لا يكون إلا بالسيف.

وإذن، فالتركيب الشرطى يكشف عن رؤية المرتضى لعصره، وأنه عصر القوة، إذ إن المرء لا يستطيع أن يحقق مجداً أو يبلغ مرتقى إلا بقوة السيف.

ويبدو لي أن المطلوب في قوله: "فلا دَانَ مَطْلُوبٌ" هو الخلافة، وأن الطالب في قوله: "ولا نَارَ طَالِبٌ" هو طالب الخلافة. أى إن المرتضى يشترط لنجاح ثورة العلويين، وطلبهم لحقهم في الخلافة القوة، وذلك مما يدفعهم إلى الاتحاد لكى يفوزوا بمطلوبهم.

١- الديوان : ٥٢ / ١ (من الطاء ١).

ويقول من قصيدة كتبها إلى الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم : ^(١)
وَإِذَا عَنَّ اتَّقَاءُ عَنَّى بِالسَّوَالِ الْفَصِيحُ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ مَبْدَأِ التَّقِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ
فِيهِ يَرْبُطُ - خِلَالِ التَّرَكِيبِ الشَّرْطِيِّ - بَيْنَ التَّقِيَّةِ وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِفْصَاحِ، أَيْ إِنَّ
الْفَصِيحَ لَا يَعْجُزُ عَنِ الْكَلَامِ إِلَّا فِي مَوْطِنِ الْإِتْقَاءِ.

وَإِذَنْ، فَالتَّرَكِيبُ الشَّرْطِيُّ يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ مَبْدَأَ التَّقِيَّةِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ هُوَ الَّذِي
يَجْعَلُهُمْ لَا يُطَالِبُونَ بِحَقِّ الْعُلَوِيِّينَ فِي الْخِلَافَةِ ؛ إِذْ لَا تَحِينَ مُطَالَبَةٌ.

ويقول من قصيدة في مديح الملك السعيد، وَتَهْنِئَةٍ بِالنِّيرُوزِ : ^(٢)
وَالْغَانِيَاتُ لِيَذِي الشَّبَابِ حَبَائِبُ وَإِذَا الْمَشِيبُ دَنَا فَهُنَّ أَعَادِ

وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يُخْبِرُ بِأَنَّ الْغَانِيَاتِ يَطْلُبْنَ فِي الرِّجَالِ الشَّبَابَ وَالْقُوَّةَ
وَيَكْرَهُنَّ مِنْهُمْ الشَّيْخُوخَةَ وَالضَّعْفَ وَهُوَ - خِلَالِ التَّرَكِيبِ الشَّرْطِيِّ - يؤكدُ
الارتباطَ وَالتَّلَازِمَ بَيْنَ دُنُوِّ الْمَشِيبِ وَاقْتِرَابِهِ مِنَ الْمَرءِ وَتَحَوُّلِ الْغَانِيَاتِ مِنْ حَبَائِبَ إِلَى
أَعَادٍ، أَيْ إِنَّ الْغَانِيَاتِ لَا يَتَحَوَّلْنَ إِلَى أَعَادٍ إِلَّا إِذَا شَابَ الْمَرءُ.

فَالْغَانِيَاتُ رَمَزٌ لِلْخِلَافَةِ الَّتِي تَطْلُبُ الْقُوَّةَ وَالشَّبَابَ ؛ لِأَنَّهَا لَنْ تُسْتَرَدَّ مِنْ
مُغْتَصِبِيهَا إِلَّا بِقُوَّةِ الشَّبَابِ وَحَدِّ السِّيفِ.

وَالْمُرْتَضَى إِذْ يؤكدُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى يثيرُ حِمَاسَ الْعُلَوِيِّينَ وَالشَّيْعَةِ بِوَجْهِ عَامٍّ إِلَى
الِاتِّحَادِ، وَنَبَذِ التَّفَرُّقِ حَتَّى يَصْبَحُوا قُوَّةً وَيَتِمَكَّنُوا مِنْ اسْتِرْدَادِ حَقِّهِمُ الْمَسْلُوبِ.

ويقول المرتضى من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام : ^(٣)
إِنَّ يَوْمَ الطُّفُوفِ رَنَحْنِي حُزْرُ نَا عَلَيَّكُمْ وَمَا شَرِبْتُ عُقَارَا

1 - الديوان : ١ / ١٨٣ (من مجزوء الرمل)

2 - الديوان ١ / ٢٦١ (من الكامل) .

3 - الديوان ٢ / ٥٤ (من الخفيف) .

وَإِذَا مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ الَّذِي مَا كُنْتُ أَنْسَاهُ ضَيْقَ الْأَقْطَارَا
وَرَمَيْ بِسَى عَلَى الْهَمُومِ وَالْقَسَى حَيْدًا عَنْ تَنْعَمِي وَازْوَارَا^(١)

وقد وردت الأبيات السابقة في سياق حديث المرتضى إلى آل البيت، ومن ثم فهو فيها يخبر بأن يوم الطفوف قد أسكره حزنا، إذ هو لم يشرب خمرًا، وأنه عندما يتذكر ما حدث لآل البيت في ذلك اليوم تضيق به الأقطار، وتأتيه الهُموم، ويتعد عنه السرور.

فالمرتضى - خلال التركيب الشرطي في البيتين الثاني والثالث - يؤكد الارتباط والتلازم بين تذكيره لما حدث لآل البيت يوم الطفوف وضيق الأقطار به واجتماع الهموم عليه، وانتعاد السرور عنه. أي إنَّ كُنْ هذا لم يحدث له إلا بتذكره لما حدث لآل البيت.

ويقول المرتضى من قصيدة في عزاء الوزير أبي علي في ابنة له توفيت^(٢):

أَيُّ الدِّينِ عَلَى هَذِي الثَّرَى وَطِثُوا وَحُكِّمُوا فِي لَذِيذِ الْعِيشِ فَاحْتَكُمُوا
وَمُلْكُوا الْأَرْضَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَخُولُوا نَعَمًا مَا مِثْلَهَا نَعَمٌ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمِيقَاتُ غَايَتَهُ لَمْ يَسْلَمُوا وَلِشَيْءٍ طَالَمَا سَلِمُوا

والمرتضى في الأبيات السابقة يستفهم نافيًا بقاء الملوك ذوي السلطان الذين ملكوا الأرض وتمتعوا بأحسن ما فيها، إذ هم قد رحلوا عن الدنيا حين جاء أجلهم.

فالتركيب الشرطي في البيت الثالث يؤكد الارتباط والتلازم بين بلوغ أولئك الملوك الأجل وعدم نجائهم من الموت الذي طالما سلموا منه، أي إنَّ موتهم لم يتحقق إلا ببلوغ أجلهم، وفي هذا التأكيد تصبير للوزير وتسلية له عن مصيبيته في فقيدته التي لم تمت إلا ببلوغ أجلها، بدليل قوله بعد هذه الأبيات: «

فاصبر فصبرك موصول بموهبة تبقى وكل الذي أُعطيت مُنصرم

1- الحيد: البعد. والازوار: الميل والانحراف.

2- الديوان ٣/ ١٦٧ (من البسيط).

3- الديوان ٣/ ١٦٨.

كما يَكْشِفُ التَّرْكِيبُ الشَّرْطِيَّ عَنْ ثَقَافَةِ المَرْتَضَى الإِسْلَامِيَّةِ وَتَأَثُّرِهِ بِالقُرْآنِ
الكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ^(١) "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" يَقُولُ المَرْتَضَى فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي
الافتخارِ، وَذَمِّ الأَعْدَاءِ : ^(٢)

إِذَا سَارَتْ بِنَاخُوصِ الرِّكَابِ وَرُحْنَا بِهَوَاجِ القَبَابِ
دَعَى مَا لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ شَيْئًا وَقُومِي فَانْظُرِي مَنْسَى إِيَّايِ
فَإِنْ فُجِعَتْ يَمِينُكَ بِسِ ارْتِحَالًا فَقَدْ فُجِعَتْ يَمِينِي بِالشَّبَابِ
فَمَا يُجِدِي زَفِيرِي إِذْ تَوَالَسِي وَلَا يُغْنِي بُكَائِي وَانْتِحَالِي

والمَرْتَضَى فِي الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَحَبَّتِهِ / الخِلاَفَةِ، وَأَنَّهَا حَزِينَةٌ بِسَبَبِ
رَحِيلِ عَنْهَا كَمَا أَنَّهُ حَزِينٌ بِسَبَبِ رَحِيلِ شَبَابِهِ عَنْهُ. وَفَرَقَ بَيْنَ الحَزَنِينِ بَعِيدًا، إِذْ هِيَ
حَزِينَةٌ عَلَى رَحِيلِهِ ؛ وَسَوْفَ يَعُودُ إِلَيْهَا ؛ فَلَا مَبْرَرَ - إِذَنْ - لِحَزْنِهَا، أَمَّا هُوَ فَحَزِينٌ
عَلَى رَحِيلِ شَبَابِهِ عَنْهُ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ، فَلَا جَدْوَى - إِذَنْ - مِنْ حَزْنِهِ.

وَهُوَ فِي البَيْتَيْنِ الأولِ والثَّانِي يُوَكِّدُ الارتِبَاطَ وَالتَّلَازِمَ بَيْنَ رَحِيلِهِ عَنْ مَحَبَّتِهِ
وَتَرْكِهَا البُكَاءَ وَالتَّفْجَعَ وَانْتِظَارِهَا عَوْدَتَهُ، وَهَذَا مِمَّا يَحْتُمُّ المَحَبَّةَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى
فِرَاقِهِ، وَيَدْعُوَهَا إِلَى انتِظَارِ عَوْدَتِهِ.

أَمَّا فِي البَيْتِ الثَّالِثِ فَهُوَ يُوَكِّدُ - خِلَالَ التَّرْكِيبِ الشَّرْطِيِّ - المَفَارِقَةَ بَيْنَ حُزْنِهَا
وَحَزْنِهِ، فَهِيَ حَزِينَةٌ عَلَى رَحِيلِهِ وَسَوْفَ يَعُودُ إِلَيْهَا أَمَّا هُوَ فَحَزِينٌ - كَمَا قُلْتُ قَبْلًا -
عَلَى رَحِيلِ شَبَابِهِ - الَّذِي لَنْ يَعُودَ - إِلَيْهِ ؛ وَلِذَا فَلَنْ يُغْنِيَ بُكَاءُوهَ عَلَى الشَّبَابِ شَيْئًا.
وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ حَزَنِ المَرْتَضَى لِرَحِيلِ شَبَابِهِ.

فَهُوَ - إِذَنْ - يَبْكِي الشَّبَابَ أَحَرَ البُكَاءِ "وَلَا يَبْكِي الشَّبَابَ إِلَّا شِعْرَاءُ عَاشُوا
صِرَاعَ العَصْرِ بِكُلِّ أَبْعَادِهِ، وَلَا يَبْكِي قُوَّةَ الشَّبَابِ... إِلَّا أُولُو العِزِّ والقُوَّةِ الَّذِينَ

1 - سورة الرعد : آية ٣٨ .

2 - الديوان ١ / ١٠٠ (من الوافر).

نَهَلُوا مِنْ تِيَارِ الْحَيَاةِ وَعَلَوْ... " (١)

٣- التركيبُ الشرطيُّ المصدَّرُ بالأداة "لَوْ":

يقولُ المرتضى من قصيدة في رثاءِ جدِّه الحسين (عليه السلام) : (٢)

لَوْ كَانَ يُنْصِفُكُمْ مَنْ لَيْسَ يُنْصِفُكُمْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ مَطِيعًا بِالمَقَالِيدِ

والبيتُ السابقُ يأتي في سياقِ حديثِ المرتضى إلى آلِ البيتِ مشيرًا إلى قتلهم وتشريدهم وضياعِ حقِّهم في الخلافة، وَمَنْ ثُمَّ فَهُوَ فِي الْبَيْتِ يَرْبُطُ - عَنْ طَرِيقِ الْأَدَاةِ لَوْ - تَحَقُّقَ حُصُولِ الْعُلُوِّ عَلَى مَقَالِيدِ الْأُمُورِ - أَيْ عَلَى الْحُكْمِ وَالْخِلَافَةِ - بِإِنْصَافِ الْأُمَوِيِّينَ لَهُمْ وَمِنْ بَعْدِهِمُ الْعَبَّاسِيِّينَ. وَهَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ - لَا شَكَّ - لَيْسُوا مُنْصِفِينَ ؛ وَلِذَا فَقَدْ ضَاعَتِ الْخِلَافَةُ، وَشُرِّدَ الْقَوْمُ.

وَلَوْ "حَرْفٌ لَمَّا كَانَ سِقْعُ لَوْ قَوْعٍ غَيْرِهِ" (٣)، وَاسْتِخْدَامُ الْمُرْتَضَى لَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ يُوْحِي بِمَدَى مَعَانَاتِهِ وَعَظِيمِ إِحْسَاسِهِ بِالْأَسْفِ وَالْحَسْرَةِ لَضِياعِ الْخِلَافَةِ بِسَبَبِ عَدَمِ إِنْصَافِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ.

وَيَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْإِفْتِخَارِ : (٤)

فَلَوْ أَنَّ حَاتِمَ طَيْيٍّ وَقَبِيلَهُ وَفَدُوا عَلَى تَعَلَّمُوا مِنْ جُودِي

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ إِفْتِخَارِ الْمُرْتَضَى بِنَفْسِهِ، وَمَنْ ثُمَّ فَهُوَ فِيهِ يُوَكِّدُ جُودَهُ وَكَرَمَهُ إِذْ الشَّرْطُ "فَلَوْ أَنَّ حَاتِمَ طَيْيٍّ وَقَبِيلَهُ وَفَدُوا عَلَى تَعَلَّمُوا مِنْ جُودِي" يَصُورُ أَنَّهُ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْكَرَمِ، فَحَاتِمُ الطَّائِي - الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَرَمِ

١- سعد دعبس : تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي - دار الثقافة - الزمالك - القاهرة - طبعة

١٩٨٠ م - ص ٨.

٢- الديوان : ١ / ٢٩٢ (من البسيط).

٣- ابن عقيل : ٤ / ٧٤.

٤- الديوان : ١ / ٢٨٢ (من الكامل).

والجود - مُقَصِّرٌ في جُودِهِ مُقِلٌّ في كَرَمِهِ إِذَا قُورِنَ بِهِ، وأنه وقومُهُ لو مَرُّوا عَلَيْهِ
لَتَعَلَّمُوا مِنْهُ طَرَائِقَ الْجُودِ وَأَفَانِينَ الْكَرَمِ وَيَقُولُ فِي رِثَاءِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ
الْحَاجِبِ :^(١)

وَلَوْ كُنْتُ مَوْعُوظًا بِشَيْءٍ عَرَفْتُهُ يُقَلِّلُ حِرْصِي لَا تَعَظْتُ بِعَادِ

والبيت السابق يأتي في سياق العزاء، وَمِنْ ثَمَّ فهو فيه يؤكد - خلال الشرط -
أنه بالدنيا قد انشغل، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَنْ رَحَلَ، وأنه لو كان مُتَّخِذًا واعظًا يقلل حِرْصَهُ
وَيَنْفِي طَمَعَهُ لَكَانَ الْوَاعِظُ هُوَ قَوْمٌ عَادٍ وَقَدْ أَهْلَكُوا.

فَالشَّرْطُ يَكْشِفُ عَنْ نَدَمِ الْمُرْتَضَى وَأَسْفِهِ، إِذْ قَدْ أَنْصَرَفَ فِيهَا مَضَى إِلَى الدُّنْيَا
وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهَا ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ حَتْمًا - إِلَى فَنَاءٍ صَائِرٍ، وَعَنِ الدُّنْيَا رَاحِلٌ،
فَعَلَيْهِ - إِذَنْ - أَنْ يَتَّعِظَ وَيَتَصَبَّرَ وَلَا يَحْزَنَ عَلَى مَا فَاتَ أَوْ عَلَى مَنْ قَدْ مَاتَ

كما يكشف الشرط عن تأثير المرتضى بالقرآن الكريم وقصصه في قوله تعالى :
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۚ﴾^(٢)

ويقول من مقطوعة في النسيب :^(٣)

وَقَطَّعْتَ الْأَسْبَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَلَوْ كُنْتُ خُلُوءًا مِنْ هَوَاهَا قَطَّعْتُهَا

وَالْمُرْتَضَى فِي الْمَقْطُوعَةِ يَتَحَدَّثُ عَنِ انْصِرَافِ الْمَحْبُوبَةِ / الْخِلَافَةِ عَنْهُ، وَمِنْ ثَمَّ
فهو في البيت السابق يخبر بأنها تقطع أسباب الوصال بينها وبينه، ثم يؤكد - خلال
الشرط - الارتباط بين عدم خُلُوءِ قَلْبِهِ مِنْ حُبِّهَا، وعدم استطاعته قَطْعَهَا، مما يشير
إلى أَنَّ هَوَاهَا قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ فَأَصْبَحَ لَا يَسْتَطِيعُ فِرَاقَهَا

١- الديوان ١ / ٢٧٣ (من الطويل).

٢- سورة الحاقة : آيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

٣- الديوان ١ / ١٢٩ (من الطويل).

٤ - التركيب الشرطي المصدّر بالأداة "لما" :

يقول المرتضى من قصيدة يتشوق فيها إلى الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم :^(١)
لَمَّا مَرَرْنَا بِنَا خَطَفْنَا قُلُوبَنَا
وَقُلُوبُهُنَّ مَقِيمَةً لَا تَبْرُحُ

والمرتضى في البيت السابق يؤكد - خلال التركيب الشرطي - الارتباط والتلازم بين مرور الصبايا البدويات / الخلافة عليه وعلى قومه وخطفهن لقلوبهم حالة بقاء قلوبهن معهن.

وهذا التأكيد يشير إلى أن المرتضى قد فقد - بمرور هؤلاء الصبايا / الخلافة عليه - قلبه، فلم يعد ملكه، يتحكم فيه ويوجهه مشاعره، بل صار ملكا لمن خطفنه / الخلافة.

٥ - التركيب الشرطي المصدّر بالأداة "لولا" :

يقول المرتضى من قصيدة في الافتخار :^(٢)

لَوْلَايَ لَمْ يَكُ لِلنَّدَى سَيْلٌ وَلَا
فِي الرُّوعِ الْجَامِ وَلَا إِسْرَاجٌ^(٣)

وقد ورد البيت السابق في سياق افتخار المرتضى بنفسه ومن ثم فهو فيه ينفي - خلال التركيب الشرطي - امتناع الكرم وتجهيز الفرس للقتال لوجوده، إذ تدل "لولا" على امتناع الشيء لوجود غيره^(٤)

فالتركيب الشرطي إذن - يؤكد كرمه وشجاعته، ويشير إلى أنه أهل للسيادة والقيادة.

ويقول من قصيدة يعزى فيها الوزير أبا الفرج ابن فسانجس في عمه أبي الحسين^(٥):

يَا آلَ عَبَّاسٍ وَمَنْ لَوْلَاهُمْ
كُنَّا بِإِسْرَاجٍ عَلَى الْإِظْلَامِ

1- الديوان ١ / ١٨٤ (من الكامل).

2- الديوان ١ / ١٦٥ (من الكامل).

3- الإسراج : شد السرج أي الرّحل على الفرس.

4- شرح ابن عقيل - مرجع سابق - ج ٤ - ص ٥٥.

5- الديوان ٣ / ٢٥٧ (من الكامل).

إِنْ يَمْضِ مِنْكُمْ شَيْخُكُمْ فَلَفْخُلُكُمْ بَاقٍ لَكُمْ وَلَنَا عَلَى الْأَعْوَامِ

والمرتضى في البيتين السابقين يخاطبُ العباسيين مادحًا، ومن ثمَّ فهو في البيت الأول يؤكدُ لهم - خلالَ التركيبِ الشرطيِّ - أنَّ وُجُودَهُمْ وبقاءَهُمْ في الخلافةِ قد أضاءَ حياةَ العلويينَ.

ثمَّ هو في البيتِ الثاني - الذي هو جوابُ النَّداءِ - يؤكدُ المفارقةَ بينَ ذهابِ جدِّهم العباسِ، وبقاءِ خَلِيفَتِهِمُ الحالِّ لهم وللعلويينَ على الأعوامِ، أى إلتئِم - وإنْ ذَهَبَ جَدُّهُمُ الْعَبَّاسُ - مَا زَالُوا هُمْ وَالْعَلَوِيُّونَ يَنْعَمُونَ بِحُكْمِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ.

ولا يخفى أنَّ المرتضى كانَ يمدحُ العباسيينَ مُلتزمًا بمبدإِ التَّقِيَّةِ عندَ الشَّيْعَةِ الذى يقضى بمجاملةِ الأعداءِ إِتْقَاءً لَشَرِّهِمْ - يقولُ المرتضى : ^(١)

وَلَكِنَّ التَّقِيَّةَ لَمْ تَزَلْ بِى تَقُودُ إِلَى فَعَالٍ أَوْ كَلَامٍ
تَلْقَيْنَا مُجَامِلَةَ الْأَعْدَاءِ وَفِي الْأَحْشَاءِ وَقَدْ كَالضَّرَامِ

٦ - التركيبُ الشرطيُّ المصدَّرُ بالأداة "متى" :

يقول المرتضى في الغزل : ^(٢)

وَمَتَى يَكُنْ ذَنْبِي هَوَاكَ فَلَا غَفَرَ إِلَهُ - وَأَنْتِ لِي - ذَنْبِي

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المرتضى عن عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى السُّلُوكِ لِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِمَحْبُوبَتِهِ، ومن ثمَّ فهو فيه يُعَلِّقُ دَعَاءَهُ وَتَمَنِّيَهُ بِالْأَلَّهِ يَغْفِرُ لَهُ اللَّهُ ذَنْبَهُ بِكَوْنِ ذَنْبِهِ هُوَ هَوَى مَحْبُوبَتِهِ.

وَيَبْدُو لِي أَنَّ الْمَرَأَةَ - هُنَا - لَيْسَتْ امْرَأَةً حَقِيقَةً وَإِنَّمَا هِيَ رَمْزٌ لِلْخَلَافَةِ

الإسلامية، بدليلِ قَوْلِهِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

أَخْشَى لِسَانِي أَنْ يَبْسُوحَ بِسَمَا أَشْكُوهُ فِى جِدِّ وَفِي لَغَبِ

1 - الديوان ٣ / ٢٤٩ (من الوافر).

2 - الديوان ١ / ١١٢ (من الكامل).

فلسانُ مَنْ عُرِفَتْ بِلَاغَتُهُ أَمْضَى - إِذَا مَا قَالَ - مِنْ عَضْبٍ

فَهُوَ يَخْشَى مِنْ أَنْ يَبُوحَ لِسَانُهُ بِأَمْرِ حُبِّهِ كَمَا أَنَّهُ قَدْ وَصَفَ هَذَا اللِّسَانَ بِأَنَّهُ أَحَدٌ -

إِذَا مَا قَالَ - مِنَ السِّيفِ الْقَاطِعِ، وَلَا مُسَوِّغَ لَوْصِفِ لِسَانِ الْبَلِيغِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي

سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنْ بَوْحِهِ بِحُبِّ امْرَأَةٍ حَقِيقِيَّةٍ.

وَقَدْ بَدَأَ تَأَثُّرُ الْمُرْتَضَى بِمُعْجَمِ الْقُرْآنِ اللَّغَوِيِّ وَاضْطِحَ جَلِيًّا ؛ إِذْ إِنَّ كَلِمَتَيْ " غَفَرَ "

و " ذَنْبِي " وَمُسْتَقَاتِهِمَا مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَرِدُ كَثِيرًا فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ .^(١)

٧- التَّرَكِيبُ الشَّرْطِيُّ الْمَصْدَرُ بِالْأَدَاةِ " كَلَّمَا " :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ مَقْطُوعَةٍ فِي الْغَزْلِ :^(٢)

أَنَا أَهْوَاهُ ظَالِمًا مُحْلِفًا مَا بِهِ وَعَدُ

كَلَّمْتُ طَالِبًا وَضَلُّهُ فِي الْهَوَى قَعْدُ

وَالْمُرْتَضَى فِي الْمَقْطُوعَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ عِشْقِ مَلِكٍ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِي الْبَيْتَيْنِ

السَّابِقَيْنِ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ يَعِشْقُ مَحْبُوبًا / خِلَافَةً، وَالْمَحْبُوبُ / الْخِلَافَةُ تَظْلِمُهُ وَلَا تَفِي مَعَهُ

بِوَعْدِهَا ثُمَّ هُوَ يُكْرِّرُ طَلَبَ وَصَالِهَا وَالْمَحْبُوبُ / الْخِلَافَةُ تَرْفُضُ وَضْلَهُ.

فَالْتَّرَكِيبُ الشَّرْطِيُّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يُفِيدُ الْحَاحَ الْمُرْتَضَى عَلَى طَلَبِ وَصَالِ

الْمَحْبُوبِ / الْخِلَافَةِ الَّتِي تَرْفُضُ طَلَبَهُ، وَهَذَا نَمَّا يَشِيرُ إِلَى شِدَّةِ تَعَلُّقِ الْمُرْتَضَى بِهَا،

وَيَكْشِفُ عَنْ مَدَى تَأْلِهِ بِسَبَبِ بُعْدِهَا.

١- سورة آل عمران : ١٨٣ .

٢- الديوان ١/ ٣٠٢ (من مجزوء الخفيف).

٨- التركيب الشرطي المصدر بالأداة "مَنْ" :

يقول المرتضى في الحكمة :^(١)

مَنْ قَفَّكَ رِبْقَةً حِرْصٍ	فإنما قفك غُلا ^(٢)
وَمَنْ يُجِلُّ صَنِيعًا	كَانَ الْأَعَزَّ الْأَجَلًا
مَنْ مَلَّ حِمْلَ ثَقِيلٍ	مَنْ الرَّجَالِ أُمَلًا
وَمَنْ تَكْتَنَّرَ يَوْمًا	بِالنَّاسِ ذَلٌّ وَقَسًا

والمرتضى في الأبيات السابقة يخبر بأن المرء إذا تحرر من طمعه وحرصه فقد تحرر من قيد كبله، وأنه إن شكر على جميل أسدى إليه فهو العزيز الموقر، وأنه إن لم يحتمل العظائم هجره الناس وكرهوا صحبتته، وأنه إن تفاخر بفعل غيره يومًا فقد ضعف وذلل. والشرط بـ "مَنْ" في هذه الأبيات يؤكد النصائح الواردة فيها، وذلك مما يجعل المتلقى يقبل على الالتزام بها متيقنًا من صدقها ونفعها.

١- الديوان ٣/ ٧٥، ٧٦ (من المجتث).

٢- الرِّبْقَةُ : حَلَقَةٌ لِرَبْطِ الدَّوَابِّ ، وَالْغُلُّ : طَوُّقٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ جَلْدٍ ، يُجْعَلُ فِي عُنُقِ الْأَسِيرِ أَوْ الْمَجْرِمِ ، أَوْ فِي أَيْدِيهِمَا . وَالْجَمْعُ (أَغْلَالٌ) .

الحذف

التمهيد :

يُعَدُّ الحذف من أهمِّ السَّماتِ التَّرَكيبِيَّةِ لِلصِّيَاغَةِ ؛ إِذْ يَجْذِبُ انتباهَ المُتَلَقِّي نحوَ مَوْضِعٍ بَعِيْنِهِ، يَتِمُّ فِيهِ إِسْقَاطُ لَاحِدٍ عَنَّا صِرِ التَّرَكيبِ اللُّغَوِيِّ ؛ وَذَلِكَ لِسِرِّ دَلَالِيٍّ وَ " لا بَدَّ عِنْدَ وَقُوعِ الحذفِ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى المَحذُوفِ، يَتَمَثَّلُ فِي قَرِيْنَةٍ أَوْ قَرَائِنَ مُصَاحِبَةٍ حَالِيَةٍ أَوْ عَقْلِيَّةٍ أَوْ لَفْظِيَّةٍ، فَالْقَرِيْنَةُ تُعَدُّ أَهَمُّ شُرُوطِ الحذفِ، يَلِيْهَا فِي الأَهْمِيَّةِ أَلَا يُؤَدِّي الحذفُ إِلَى لَبْسٍ فِي المَعْنَى " .^(١)

وَإِذَنْ فَلَا بُدَّ لِكُلِّ حَذْفٍ يَقَعُ فِي اللُّغَةِ الشُّعْرِيَّةِ مِنْ وُجُودِ ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ بِدُونِهِمْ يَكُونُ الحذفُ عَبَثًا وَضَرْبًا مِنْ الهُدْيَانِ، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ هِيَ :

(١) وجودُ القَرِيْنَةِ الدَّالَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى المَحذُوفِ وَتُرْشِدُ إِلَيْهِ وَتُعَيِّنُهُ.

(٢) أَلَا يُؤَدِّي الحذفُ إِلَى لَبْسٍ أَوْ غُمُوضٍ فِي المَعْنَى

(٣) وجودُ سِرِّ دَلَالِيٍّ يَدْعُو إِلَى الحذفِ وَيَرْجِعُهُ عَلَى الذِّكْرِ.

وَقَدْ أَصْبَحَ لِلحذفِ دَوْرُ الفَاعِلِيَّةِ الشُّعْرِيَّةِ بَيْنَ أَدَوَاتِ الأَدَاءِ الشُّعْرِيِّ، لِمَا يَمْتَّازُ بِهِ مِنْ فَلَْسَفَةٍ تَكْمُنُ فِي خِلَافِيَّةِ الحُضُورِ وَالْغِيَابِ ؛ أَوْ النُّطْقِ وَالصَّمْتِ، وَمَا يَعْتَرِيهِمَا مِنْ اسْتِدْعَاءِ كُلِّ مِثْلِهَا لِالأَخْرِ.^(٢)

1 - طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي - الدار المصرية للنشر والتوزيع - الإسكندرية - (د.ت) - ص ١١٥ .

2 - ينظر : مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث - مرجع سابق - ص ١٣٩ .

وَيُعَدُّ الحَذْفُ سِمَةً مِنَ السِّمَاتِ التَّرَكِيبِيَّةِ الَّتِي عَالَجَتْهَا البُّحُوثُ الأُسْلُوبِيَّةُ بِوصفِهَا انْجِرَافًا عَنِ النِّظَامِ النُّحْوِيِّ، وَهُوَ يَعْمَدُ إِلَى اسْتِثَارَةِ الْمُتَلَقِّي، وَإِيقَاطِ ذَهْنِهِ بِمَا يُحْدِثُ تَفَاعُلًا بَيْنَ الْمُرْسِلِ وَالْمُتَلَقِّي قِوَامُهُ الْإِرْسَالُ النَّاقِصُ مِنْ قَبْلِ الْمُرْسِلِ، وَتَكْمِلَةٌ هَذَا النَّقْصِ مِنْ قَبْلِ الْمُتَلَقِّي. ^(١)

وَقَدْ قَدَّمَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ لِلْقَوْلِ فِي الحَذْفِ بِمَا يُفِيدُ قِيَمَتَهُ فِي اللُّغَةِ، وَأَهَمِّيَّتَهُ فِي آدَاءِ الْمَعَانِي وَإِحْكَامِ الْعِبَارَةِ، فَقَالَ: "هُوَ بَابٌ دَقِيقُ الْمَسْلَكِ، لَطِيفُ الْمَأْخِذِ، عَجِيبُ الْأَمْرِ، شَبِيهُ بِالسَّحْرِ، فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرْكَ الذِّكْرِ، أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، وَالصَّمْتُ عَنِ الْإِفَادَةِ، أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ، وَتَجِدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَتَمَّ مَا تَكُونُ بَيَانًا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ" ^(٢)

الحذفُ في ديوانِ الشَّريفِ المُرتَضَى :

وقد بلغَ عددُ مواضعِ الحذفِ في شعرِ المُرتَضَى اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثًا مِائَةً وَأَلْفَ (١٣٨٢) مَوْضِعٍ.

وقد تَنَوَّعَتْ هَذِهِ السِّمَةُ التَّرَكِيبِيَّةُ إِلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ أَمَكْنَ تَقْسِيمُهَا عَلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ هِيَ: حَذْفُ جُزْءِ الْكَلِمَةِ، وَالْحَذْفُ فِي الْحُرُوفِ وَالْحَذْفُ فِي التَّرَكِيبِ الْإِسْنَادِيِّ، وَالْحَذْفُ فِي التَّرَكِيبِ الشَّرْطِيِّ، وَحَذْفُ الْفَضَلَاتِ وَالْمَكْمَلَاتِ، وَحَذْفُ شَبِيهِ الْجُمْلَةِ. وَقَبْلَ أَنْ أَعْرِضَ لِهَذِهِ الْأَقْسَامِ مَوْضِعًا بِمَجَالَاتِ تَوْظِيفِهَا الدَّلَالِيَّ، أَقَدِّمُ جَدُولًا إِحْصَائِيًّا بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَمَا يَنْدَرِجُ تَحْتَهَا مِنْ أَنْوَاعٍ وَأَعْدَادٍ وَرُودِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا فِي الدِّيَّوَانِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :-

1- ينظر: فتح الله سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية - مرجع سابق - ص

2- دلائل الإعجاز - مرجع سابق - ص ١٤٦ .

أولاً : حذف جزء الكلمة		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	الترخيم	٨

ثانيًا : الحذف في الحروف :		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	حروف الجر	٧٣
٢	حرف النداء	٢٨
٣	همزة الاستفهام	١٢
المجموع		١١٣

ثالثًا : الحذف في التركيب الاسنادي :		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	الفاعل	٦١٢

تابع الحذف في التركيب الاسنادي		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
٢	المبتدأ	١٨٢

٣٩	الفعل والفاعل معًا	٣
١٥	الخبر	٤
٨٤٨		المجموع

رابعًا : الحذف في التركيب الشرطي		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	جواب الشرط	١٣

خامسًا : حذف الفضلات والمكملات		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	المفعول به	١١٨
٢	الموصوف	٥٢
٣	المنادى	٤١
٤	الصفة	١٢
٥	المضاف	٥
المجموع		٢٢٨

سادسًا : حذف شبه الجملة		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد

١	الجار والمجرور	١٣٤
٢	الظرف والمضاف إليه	٨
المجموع		١٤٢

أولاً : حذف جزء الكلمة :

١ - التَّرخيمُ :

ومعلوم أن الترخيم هو " حذف أواخر الكلم في النداء، نحو : " يا سَعَا والأصلُ
يا سَعَادُ" (١) وقد قمتُ بدراسته في ديوان المرتضى - على الرغم من أنه يخص الكلمة
المفردة - لما له من تأثير على دلالة التركيب.

ويقول المرتضى في مطلع قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدولة ويهنته بالمهرجان: (٢)
يا صاح ليس لسر منك كتمان في الود والود لا يذرى له شأن
وللغرام - وإن بشنا نكتمه - عن أعين الناس - آيات وعنوان

والشاعر في البيتين يخاطب صاحبه نافياً أن يكون قد حجب عنه سراً ؛ إذ كيف
يخجب عنه أسرار الغرام - وهو الصديق القريب - التي لا تغيب عن أعين الناس .
وقد قام المرتضى بترخيم كلمة "صاحبي" ، فقال : " يا صاح لينبه على أنه يجب
صاحبه حبا جعله يكشف له عن أخص أسرارهِ ، ويأتمنه على خوالج نفسه ، وذلك
مما يجعل هذا الصاحب يحافظ على سر صاحبه .

ويقول في مطلع مقطوعة في الشيب: (٣)

يَا أَسْمُ إِنَّ صَبَابَتِي بِكَ - لَوْ أَوَيْتَ لَهَا طَوِيلَهُ

1 - ابن عقيل : مرجع سابق - ٣ / ٢٨٨ .

2 - الديوان ٣ / ٢٨٥ (من البسيط) .

3 - الديوان ٣ / ٧٦ (من مجزوء الكامل) .

وَأَخَذَتْنِي بِذُنُوبِ شَيْءٍ ——— سَبِّ لَمْ تَكُنْ لِي فِيهِ حِيلَةٌ

وَالشَّاعِرُ فِي مَوْقِفٍ يُعَانِي فِيهِ مِنْ ظُلْمِ الْمَحْبُوبَةِ / الْخِلَافَةِ، فَهِيَ لَمْ تُبَادِلْهُ حُبًّا بِحُبٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ قَدْ انصرفت عنه بسبب بياضِ شَعْرِهِ / ضَعْفِهِ ؛ وَلِذَا فَقَدْ قَامَ بِتَرْخِيمِ اسْمِ الْمَحْبُوبَةِ "أَسْمَاءَ"، فَقَالَ : "يَا أَسْمُ" لِيُوحِيَ لِلْمَحْبُوبَةِ بِشِدَّةِ مَعَانَاتِهِ وَأَلَمِهِ مِنْ فِعْلِهَا الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ مِنْهَا، حَتَّى لَكَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكْمِلَ الْكَلِمَةَ لِشِدَّةِ مَا بِهِ مِنْ أَلَمٍ. وَفِي هَذَا التَّرْخِيمِ - أَيْضًا - إِشْعَارٌ لِلْمَحْبُوبَةِ بِمَدَى قُرْبِهَا مِنَ الشَّاعِرِ.

لَعَلَّهَا بِذَلِكَ كُلِّهِ تَرَقُّ لَهُ وَتَوَاصِلُهُ وَلَا تَلْتَفَتْ لِشَيْئِهِ / ضَعْفِهِ.

ثانيًا: الحذف في الحروف :

١- الحذف في حروف الجر:

وقد يلجأ الشاعر والأديب إلى حذف حرف الجرِّ للتوسع في تعدية أثر الفعل إلى المفعول به، بمعنى "ألا يقيد هذا المفعول - من حيث علاقته بالفعل أو ما يقوم مقامه - بهيئة معينة يدلُّ عليها الحرف كالإلصاق، والاستعانة والسببية، والاستعلاء، وغير ذلك من معاني حروف الخفض، بحيث يطلق العنان لكل معنى يحتمله التركيب ويصحُّ تقديره فيه"^(١) مما يحقق نواتج دلالية وغايات جمالية لا تكون إذا ذُكر الحرف.

يقول المرتضى في مطلع مقطوعة في الحماسة: ^(٢)

نَجَوْتُ الْقَنَا وَالْبَيْضُ تَدْمَى مَتَوْنُهَا وَلَمْ أَنْجُ يَوْمًا مِنْ مَقَالِ سَفِيهِ

والشاعر في البيت يخبر بأنه قد نجا من الموت ومن ضرب الرِّمَاحِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ

١- د / أحمد عبدالستار الجوارى : نحو المعاني ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط ١٩٨٧ -

ص ٧٨ .

٢- الديوان : ٣ / ٣٦٧ (من الطويل).

لسان السفية، ومن ثم فهو قد انحرف عن النظام النحوي الذي يقتضي منه أن يقول "نجوت من القنا" فقال "نجوت القنا" بحذف حرف الجر "من" من التركيب؛ إذ "نجي من للتبعيض" (١) وبقاؤها في التركيب يوحى بأنه قد نجا من بعض الرماح ولم ينج من كلها، وهو يريد أن ينبه على أنه قد نجا من كل الرماح؛ ليوحى للمتلقى بأن خطر السفية جد كبير. فالشاعر فارس قد نجا من الموت ومن الرماح إذ كانت السيوف تقطر دماً، ولم ينج من مقال سفية، فالسفيه - إذن - لا يترك أحداً إلا نال منه.

ومن قصيدة في الحكمة، يقول المرتضى: (٢)

وأخ بدا منه القبيح عقيب ما فعل الجميل فضاع منه جميله

والمرتضى في البيت السابق يخبر بأن هناك من الإخوان من يفعل الجميل فيتلوه بفعل القبيح فيضيع منه أثر جميله.

وقد كان النظام النحوي يقتضي من الشاعر أن يذكر حرف الجر الشبيه بالزائد "رُبَّ" في البيت، فيقول "ورُبَّ أخ" ولكنه انحرف عن هذا النظام، وحذف الحرف؛ إذ إن "رُبَّ" من حروف المعاني، والفرق بينها وبين "كم" أن "رُبَّ" للتقليل، و"كم" وضعت للتكثير (٣)، والشاعر لا يريد التقليل، وإنما هو يريد أن يشير إلى كثرة الإخوان الذين يسلكون هذا السلوك؛ ولذا فقد حذف "رُبَّ" من التركيب ليوحى بذلك. كما أن في حذف "رُبَّ" - في هذا السياق - إشارة إلى ضيق صدر المرتضى عن إطالة الكلام بسبب ضجره من فعل الإخوان.

وأنا اعتقد أن السبب الرئيس الذي يجعل الشاعر يلجأ إلى حذف "رُبَّ" من

١ - شرح ابن عقيل - مرجع سابق - ١٥ / ٣.

٢ - الديوان ٢٦ / ٣ (من الكامل).

٣ - ابن منظور: لسان العرب، ب / عبدالله على الكبير وزميله، طبعه دار المعارف، (د. ت.)

التركيب هو رغبته في إفادة الكثير، وكأنَّ حذفه من التركيب يكون لفظاً ومعنى، بل يكون إشارة إلى معنى يخالف معناه الذي تعارف عليه أهل اللغة. كما يضاف إلى هذا السبب أسبابٌ آخر قد يكشف عنها السياق الذي يرد فيه هذا التركيب.

٢- حذف حرف النداء:

يقول المرتضى في رثاء أحد الوزراء: ^(١)

مُحَمَّدُ فَارَقْتَنَا عَنْوَةً فَجَرَحَى الرَّغِيبُ بِلاَ جَارِحِ
وَأَوْدَعَتْنِي فِي صَمِيمِ الْفَوْا دِمْنِي مَا لَيْسَ بِالْبَارِحِ

والمرتضى في البيتين يتوجه بخطابه الشعري إلى الفقيده متوجعاً من فراقه، مشيراً إلى أنه قد ترك به جرحاً لن يندمل.

وإذن، فقد خاطب المرتضى الفقيده كأنه حي يسمع ويصغي؛ لأنه لم يزل يشعر به ملء خاطره؛ ولذا فقد حذف المرتضى حرف النداء، فقال "محمد" وكان من مقتضى السياق أن يقول: "يا محمد" ولكنه انحرف، وحذف حرف النداء ليشير إلى أن الفقيده ما زال قريباً من نفسه، ماثلاً في قلبه.

ويقول المرتضى من قصيدة في الافتخار: ^(٢)

بَنِي عَمَّنَا لَا تَطْمَعُوا فِي لِحَاقِنَا فَكَمْ بَيْنَ أَسْمَاكِ السُّهَى وَالْكَثَاكِثِ ^(٣)
سَبَقْنَاكُمْ عَفَوا وَلَمْ تَلْحَقُوا بِنَا عَلَى جَهْدِ مَجْهُودٍ وَلَهْثَةٍ لَاهِثٍ ^(٤)

وقد ورد البيتان في سياق افتخار المرتضى بقومه / العلويين، ومن ثم فهو في البيتين يُخاطب بني عمه العباسيين مُيسساً لهم من لحاق قومه، فالفرق بين الفريقين بعيد.

١- الديوان ١/ ٢٠٦ (من المتقارب).

٢- الديوان ١/ ١٥٥ (من الطويل).

٣- الكثاكيث: جمع (الكثكث) وهو فتات الحجارة.

٤- اللاهث: المتعب المجهود من عطش أو غيره.

وإذن، فالمرتضى يعقد بين قومه والعباسيين مناظرة تدور حول المفاضلة بين الفريقين ؛ ولذا فقد حذف المرتضى حرف النداء من قوله "بنى عمنا" إذ كان من مقتضى السياق النحوي أن يقول : "يا بنى عمنا" ولكنه حذف ليُشعر المتلقى بأن العباسيين أمامه ماثلون، ومن قلبه قريبون^(١)، مما يوحي بأن نتيجة المناظرة ستكون - لا شك - عادلة، وذلك مما يجعل المتلقى يُقبل على قبولها عن رضى واقتناع.

ويقول من قصيدة يُعزى فيها الخليفة القادر العباسي في ولده^(٢) :

صبراً أمير المؤمنين، فلم نزل بالصبر من آدابكم نتأدب

وقد ورد البيت السابق في سياق العزاء، ومن ثم فالشاعر فيه يدعو أمير المؤمنين إلى التجلّد والصبر على مصابه ؛ ولذا فقد حذف حرف النداء، فقال : "أمير المؤمنين" وكان من مقتضى السياق أن يقول : "يا أمير المؤمنين" ليوحى لذلك الأمير بمدى قربه منه، وحبّه له، مما يجعله أكثر قبولاً لإجابة طلبه، والامتنال لدعوته، إذ هي دعوة من محب.

ويقول المرتضى في النسيب^(٣) :

مولاي يا بدر كل داجية
خسبك ما تنقضي عجائبه
بحق من خط عارضيك ومن
مد يدك الكريمين معي
خذ يدي قد وقعت في اللجج
كالبحر حدث عنه بلا حرج
سلط سلطانها على المهج
ثم ادع لي من هواك بالفرج

والشاعر في المقطوعة يخاطب محبوبه الذي يشبه البدر طالباً إليه مساعده في

1- وهذا القرب يُستشف - أيضاً - من إضافة لفظ (عم) إلى ضمير المتكلمين ال (نا) ، في قوله "عمنا".

2- الديوان ١ / ٤٨ (من الكامل).

3- الديوان : ١ / ١٧٤ (من المنسرح).

التَّخَلُّصُ مِنْ دَاءِ حُبِّهِ، ولذا فقد حَذَفَ حَرْفَ النِّدَاءِ مِنْ قَوْلِهِ "مولاي" إِذْ كَانَ مِنْ مَقْتَضَى السِّيَاقِ النَّحْوِيِّ أَنْ يَقُولَ: "يا مولاي" لكنه انحرفَ عن هذا السِّيَاقِ، ليشيرَ إِلَى قُرْبِ المَحْبُوبِ مِنْ جِسْمِهِ وَنَفْسِهِ، قُرْبًا جَعَلَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابَ الأُنْسِ المَقَاطِنِ الذي لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهِ وَنِدَاءٍ، مما يُوحي بِأَنَّ المَحْبُوبَ يَعْلَمُ حَالِ الشَّاعِرِ، وَعَلَيْهِ - إِذَنْ - أَنْ يُسَاعِدَهُ فِي أَنْ يُشْفَى مِنْ حُبِّهِ.

وَمِنْ المَلاحِظِ أَنَّ المُرْتَضَى قَدْ تَأَثَّرَ فِي تَرْكِيبِهِ الإِبْدَاعِيِّ "مولاي" بِمَا سَادَ فِي عَصْرِهِ مِنْ تَرَكَيبِ لُغَوِيَّةٍ جَدِيدَةٍ اسْتَخْدَمَهَا الشُّعْرَاءُ العَبَاسِيُّونَ لِكَي يُؤَدُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَعَانِيَ بَعِيْنَهَا، فَقَدْ "تَدَاوَلَ شُعْرَاءُ العَصْرِ فِي مَجَالِ الغَزْلِ عِبَارَاتٍ جَدِيدَةً تَعَكُّسُ رِقَّةَ مَشَاعِرِهِمْ وَتَهْذِيبَهُمُ الوَجْدَانِيَّ، كَمَا تَعَكُّسُ تَقْدِيرُهُمْ لِلْمَرْأَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَأَبُو العَتَاهِيَةِ يُخَاطِبُ مَحْبُوبَتَهُ بِقَوْلِهِ "يا أُمْلَى"، وَابْنُ شَادَةَ المَخْنَثُ يَقُولُ: "يا سَكْنَى" وَابْنُ المَعْتَزِ وَابْنُ الصَّيْقَلِ كِلَاهُمَا يَسْتَخْدِمُ عِبَارَةً: "يا سِيدَى" إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَخْدَمَهُ الشُّعْرَاءُ مِنْ عِبَارَاتِ التَّلَطُّفِ":^(١)

وَمِنْ المَلاحِظِ - أَيْضًا - أَنَّ اللُّغَةَ الشُّعْرِيَّةَ عِنْدَ المُرْتَضَى، قَدْ رَقَّتْ وَسَهِّلَتْ وَاقْتَرَبَتْ مِنْ لُغَةِ العَامَةِ، إِذْ يَقُولُ "كَالْبَحْرِ حَدَّثَ عَنْهُ بِلَا حَرَجٍ"، وَهَذَا مِمَّا يُوحي بِتَأَثُّرِ المُرْتَضَى بِبَيْئَةِ بَغْدَادِ الحَضَرِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُ فِيهَا.

٣- حَذَفَ هَمْزَةَ الاسْتِفْهَامِ:

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ، يَقُولُ المُرْتَضَى: ^(٢)

عَجِبْتُ - يَا ظَمِيَاءُ - مِنْ شَيْبِ غَدَا	مَنْتَشَرًا فِي مَفَرِّقِي مُبْتَسِمًا
لَوْ كَانَ لِي حَكْمٌ يُطَاعُ أَمْرُهُ	حَمِيَّتٌ مِنْهُ لَمَتْنِي وَاللَّمَامَا
تَهْوَيْنَ عَنْ بَيْضِ بَرَأْسِي سُودَةٌ	وَعَنْ صَبَاحِ فِي الْعِذَارِ الظُّلُمَا؟

1- عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي: الرؤية والفن - ص ٤١١ .

2- الديوان ٢١١/٣ (من الرجز).

وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ شَيْبِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهَا يَخَاطَبُ مَحْبُوبَتَهُ ظَمِيَاءَ / الْخِلَافَةَ الَّتِي تَعَجَّبَتْ مِنْ شَيْبِ رَأْسِهِ مُتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِيَدِهِ، لِيَمْنَعَ الشَّيْبَ عَنْ نَفْسِهِ ؛ إِذْ الْمَحْبُوبَةُ تَفْضِلُ سِوَادَ رَأْسِهِ.

وَقَدْ حَذَفَ الْمُرْتَضَى هَمْزَةَ الاسْتِفْهَامِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّالِثِ، فَقَالَ : " تَهْوَيْنَ عَنْ بَيْضِ بَرَأْسِي سُودَهُ " وَكَانَ مِنْ مَقْتَضَى النِّظَامِ النُّحْوِيِّ أَنْ يَقُولَ : " أَتَهْوَيْنَ . . . ؟ " فَعَدَا الْكَلَامُ وَكَانَهُ كَلَامٌ خَبَرِيٌّ لَا إِنْشَائِيٌّ، مِمَّا يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَقْرُرُ وَيُوكِّدُ أَنَّ ظَمِيَاءَ تَهْوَى الشَّبَابَ وَتَكَرَّرُ الْمَشِيبَ، وَذَلِكَ مِمَّا يُوجِي بِشِدَّةٍ حُزْنِهِ إِذْ هِيَ تَهْوَى فِيهِ شَيْئًا قَدْ فَارَقَهُ وَلَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ، وَتَكَرَّرَ مِنْهُ شَيْئًا قَدْ أَلَمَّ بِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ.

وَيَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ :^(١)

وَأَنْتُمْ نَصَرْتُمْ أَمْ هُمْ يَوْمَ خَيْرٍ نَبِيِّكُمْ حَيْثُ الْأَسِنَّةُ تَرْعُفُ؟

وقد ورد البيت السابق في سياق حديث المرتضى إلى قوم ابتعدوا عن الهدى وامتلات قلوبهم بالضغائن، مشيرًا إلى بعض مناقب العلويين، ولذا فقد حذف المرتضى في هذا البيت همزة الاستفهام، فقال " أَنْتُمْ نَصَرْتُمْ أَمْ هُمْ يَوْمَ خَيْرِ نَبِيِّكُمْ؟ " ولكنه انحرف وحذف، ليشير إلى أَنَّ العلويين هم الذين قد نصرُوا النبي ﷺ يومَ خيبر، إذ يصيرُ المعنى " أَنْتُمْ لَمْ تَنْصُرُوا النَّبِيَّ بَلْ هُمْ (يَعْنِي عَلِيًّا) الَّذِينَ نَصَرُوهُ يَوْمَ خَيْرٍ " وهو بهذا يذكر بعضًا من مناقب العلويين ليدلَّ على أنهم أحقُّ بالخِلافة من غيرهم.

ومن الملاحظ أَنَّ الْعَامَّةَ يُسْقِطُونَ أَدَاةَ الْاسْتِفْهَامِ / الْهَمْزَةَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ وَحَوَارَاتِهِمْ ؛ وَلِذَا يَبْدُو لِي أَنَّ الْمُرْتَضَى قَدْ حَذَفَ هَمْزَةَ الْاسْتِفْهَامِ مِنْ شَعْرِهِ لِيَجْعَلَ لُغَتَهُ الشُّعْرِيَّةَ مُيسَّرَةً قَرِيبَةً التَّنَاقُلِ، وَذَلِكَ مِمَّا يُوْدِي إِلَى نَشْرِ مَذْهَبِ الشُّيْعِيِّ بَيْنَ الْعَامَةِ.

ثالثاً : الحذف في التركيب الإسنادي :

١- حذف الفاعل :

ومن قصيدة يهنئ فيها فخرَ الملك بعيدِ الفطر: ^(١)
لَقَدْ تَبَوَّأَ فَخْرُ الْمَلِكِ مَنَزَلَةً عَلَيَاءَ شَطَطَتْ عَلَى الْأَيْدَى فَلَمْ تُنَلِّ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ مَدِيحِ الْمُرْتَضَى لِفَخْرِ الْمَلِكِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِ يَقْرُرُ
وَيُوكِّدُ بـ (قد) أَنَّ فخرَ الملكِ قد بلغَ منزلةَ علياءَ، اسْتَعَصَتْ عَلَى الْبَشْرِ قَمًا بُلِغَتْ.

وَقَدْ أَرَادَ الْمُرْتَضَى زِيَادَةَ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى السَّابِقِ، فَحَذَفَ فَاعِلَ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ
لِلْمَجْهُولِ، وَأَنَابَ الْمَفْعُولَ بِهِ مَنَابَهُ، فَقَالَ : " لَمْ تُنَلِّ " أَيْ الْمَنْزِلَةُ ؛ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ أَحَدًا
أَيَّ أَحَدٍ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَبْلُغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِمَّا يُوحَى بِسُمُو الْمَنْزِلَةِ وَارْتِفَاعِهَا، وَعِظَمِ
قَدْرِ فَخْرِ الْمَلِكِ الَّذِي نَالَهَا.

ومن قصيدة في رثاءِ جدِّه الحسين عليه السلام يقول المرتضى: ^(٢)

مُنِعُوا الْفِرَاتَ وَصُرُّعُوا مِنْ حَوْلِهِ مَنْ تَائِقٍ لِلْوَرْدِ أَوْ ظَمْآنٍ

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ الْمُرْتَضَى عَمَّا حَدَثَ لآلِ الْبَيْتِ يَوْمَ
كَرْبَلَاءَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِ يَجْبُرُ بِأَنَّهُمْ قَدْ مُنِعُوا مِنَ الشُّرْبِ مِنْ نَهْرِ الْفِرَاتِ وَقُتِلُوا
حَوْلَهُ، وَهُمْ إِلَى مَائِهِ ظِمَاءٌ.

ولذا فقد انحرفَ الْمُرْتَضَى، وَحَذَفَ فَاعِلَ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ " مُنِعُوا " ؛
لِاحْتِقَارِ أَوْلَئِكَ الْفَاعِلِينَ الَّذِينَ فَعَلُوا بِآلِ الْبَيْتِ مَا فَعَلُوا، وَكَرَاهَةِ ذِكْرِهِمْ عَلَى لِسَانِهِ.

٢- حذف المبتدأ :

ومن قصيدة في رثاءِ الأستاذِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ، يقول: ^(٣)

1- الديوان ٣/ ١٠٢ (من البسيط).

2- الديوان ٣/ ٣٤٢ (من الكامل).

3- الديوان ٣/ ٣٢٤ (من الطويل).

أَمِينٌ عَلَى سِرِّ الْأَخْلَاءِ حَيْثُمَا يَكُونُ أَمِينُ الْقَوْمِ غَيْرَ أَمِينٍ
وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ تأبينِ المُرتَضَى لابنِ الفضلِ، ومن ثَمَّ فيه فهو
يُخبرُ بأنَّ ابنَ الفضلِ كانَ أَمِينًا يَحافظُ على أسرارِ صَحبِهِ، في وقتِ انتفتت فيه الأمانةُ.
ولقد كانَ من مقتضى النِّظامِ النُّحويِّ أنْ يقولَ المرتضى "هو أمين" ولكنَّ المُرتَضَى
انحرفَ عن هذا النظامِ وحذفَ المبتدأ، فقالَ: "أَمِينٌ"؛ لأنه في هذا السياقِ تمتلئُ
بالحزنِ نفسُهُ، ويضيقُ صدرُهُ، ولا ينطقُ لسانُهُ؛ إذ يذكُرُ فضيلةً من فضائلِ الأستاذِ
التي أدامت حزنَهُ، وصدَّعت قلبَهُ، فالأستاذُ كانَ أَمِينًا في زمنٍ لا أمانةَ فيه وبموتِهِ
انتفتت من الدنيا الأمانةُ.

ويقولُ المُرتَضَى في رثاءِ جدِّه الحسينِ عليه السلام:^(١)
وَأَسْأَلُ عَنِ الْقَتْلِ الْأَكْبَرِ طَرِحُوا عَلَيَّ شَطَطَ الْفَرَاتِ
شُعْتُ لَهُمْ مُجَمِّمٌ عَصِي نَ عَلَيَّ أَكْفُ الْمَاشِطَاتِ^(٢)

والمُرتَضَى في البيتينِ السابقينِ يبكي الحسينَ عليه السلام ويندبُهُ ويصفُ الشهداءَ الذين
قُتِلُوا مَعَهُ في كَرْبَلَاءَ، وَذُبِحُوا على شواطئِ نَهْرِ الْفَرَاتِ.
وقد كانَ من مقتضى النظامِ النُّحويِّ أنْ يقولَ المُرتَضَى في البيتِ الثاني "هُم
شُعْتُ" ولكنه حزينٌ وكليمٌ بسببِ ما أصابَ آلَ البيتِ من مصيبةٍ بفقدِ الحسينِ
وشيعتِهِ؛ ولذا فقد جاءت طبيعةُ التركيبِ - لتناسبَ هذا المعنى النفسى، ولتخالفَ
النظامَ النُّحويَّ - بحذفِ المبتدأ؛ نظرًا لضيقِ صدرِ المُرتَضَى عن إطالةِ الكلامِ بسببِ
ما يَعْتَرِيهِ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ.

ويقولُ المُرتَضَى من قصيدةٍ يمدحُ بها الملكَ بهاءَ الدَّوْلَةِ، ويهتئُهُ بالمهرجَانِ: ^(٣)

١ - الديوان ١ / ١٤٥ (من مجزوء الكامل).

٢ - الأشعث: الذى اغبرَّ شعرُهُ وتَلَبَّدَ.

٣ - الديوان ٣ / ٢٣٦ (من الكامل).

قَوْمٌ يَسْتُونُ الْغَوَارَ عَلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ بِقُرْحٍ بِهِمْ⁽¹⁾

وقد ورد البيت السابق في سياقٍ مديحٍ بهاء الدولة وقومه، ومن ثمّ فالشاعر في البيت يؤكد أنّ قوم بهاء الدولة يغيرون على الأعداء بخيولٍ فتية سوداء.

وقد كان من مقتضى النظام النحويّ أن يقول المرتضى "هَم قَوْمٌ" ولكن المرتضى انحرف وحذف المبتدأ، (وهو الضميرُ العائدُ على قوم الملك)، فقال: "قَوْمٌ" ليُشعرَ المتلقى بمدى قوّة أولئك القوم وعظمتهم وكأنهم قد بلغوا من القوّة والعظمة حدّاً يُخشى عليهم بذلك من مجرد الجريان على اللسان، وكأنّ في جريانهم على اللسان وذكرهم قليلاً من شأنهم ونقصاً من طهارتهم.

ويقول المرتضى من قصيدة يمدح بها القادر في ابتداء إفضاء الخلافة إليه: ⁽²⁾
فَخَرًّا بَنَى الْعَبَّاسِ إِنَّ قَدِيمَكُمْ يَأْتِي عَلَى الْأَيَّامِ غَيْرَ تَجَدُّدٍ.

والمرتضى في البيت السابق يتوجّه بخطابه الشّعريّ إلى العباسيين طالباً إليهم أن يفتخروا، إذ خلفاؤهم الجدد يعيدون سيرة أوائلهم العظام.

وقد حذف المرتضى الفعل والفاعل وأبقى المفعول المطلق، فقال: "... فخرًا" ولم يقل: "افتخروا فخرًا"؛ وذلك ليؤكد حدّث الفخر، وأنّ العباسيين جديرون بالافتخار، وهذا مما يوحى بعظم قدر الخليفة القادر.

ولا ريب في أنّ هذا المديح قد قيل - كما قلتُ قبلاً - على سبيل التّقيّة.

٣- حذف الفعل والفاعل معاً، والإبقاء على المفاعيل:

يقول المرتضى في مطلع مقطوعة في الشّيب: ⁽³⁾

شَبَابُكَ عَنِّي فَالْمَشِيبُ لِيَا سِي وَقَدْ مَلَأَتْ مِنْهُ الطَّوَالِغُ رَاسِي

1- الغوّار: الإغارة، والقُرْح: جمع القَارِح، وهو من الخيل ما أتمّ الخامسة، والبُهم: السّود.

2- الديوان: ٢٥٣/١ (من الكامل).

3- الديوان: ١٣٠/٢ (من الطويل).

والشاعرُ في البيتِ السابقِ يخاطبُ صاحِبته متحسراً، فقد علا الشيبُ رأسه، ولم
يَعُدْ قادراً على أن يتجاوبَ مَعَ مَنْ يُحِبُّه.

وقد كانَ من مقتضى النِّظامِ النَّحْوِيِّ أن يقولَ : "ابْعِدِي شَبَابَكَ" ولكنه حذفَ
الفعلَ والفاعلَ وأبقى على المفعولِ به، فقالَ "شَبَابَكَ" ؛ لينبئَ بها في نَفْسِه من ضيقِ
وَألمٍ لذهابِ الشبابِ عنه، وعدمِ قدرتهِ على مجاراةِ محبوبتهِ / الخلافةِ .
٤ - حذف الخبر :

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يُهَنِّئُ فيها الوزيرَ أبا سعدٍ بنِ عبدِ الرحيمِ بعودتهِ إلى
الوزارة: ^(١)

إِنْ شَكَّكُمْ مِنْهُ فِي النَّجْـ	دَةٍ وَالشَّكُّ فُضُوحُ
فَانْظُرُوهُ فِي الْوَعَى يَحـ	مِلُهُ الطَّرْفُ السَّبُوحُ
وَالْقَنَا يُولُغُ مِنْ نَحـ	رٍ نَجِيعًا وَالصَّفِيحُ

والمُرْتَضَى في الأبياتِ السابقةِ يتوجه بخطابه الشعرى إلى مَنْ اغْتَرَاهُم الشَّكُّ في
نجدةِ الوزيرِ أبي سعدٍ، طالباً إليهم أن يراقبوه في ساحةِ الوَعَى راكباً فَرَسَهُ، يشربُ
مِنْ دَمِ الأعداءِ رَمْحَهُ وسيفَهُ.

وقد كانَ النِّظامُ النَّحْوِيُّ يقتضى من المُرْتَضَى في البيتِ الثالثِ أن يقولَ : "والقنا
يُولُغُ مِنْ نَحْرِ نَجِيعًا وَالصَّفِيحُ كَذَلِكَ" أى والصَّفِيحُ يُولُغُ مِنْ نَحْرِ نَجِيعًا، ولكنه
انحرفَ وَحَدَفَ هذا الخبرَ، ليشعرَ المتلقى بِقُوَّةِ الوزيرِ أبي سعدٍ في نزالِ أعدائه،
حتى لكانَ المُرْتَضَى حِينَ صَوَّرَ الرُّمَاحَ وهى تشربُ من رقابِ الأعداءِ الدَّمَ هَالَهُ ما
رأى فَطَفِقَ يتأملُ هذه الصورةَ المفزعةَ، وذكرَ السيفَ وأمسك - مندهشاً فزعاً -
عن ذِكْرِ خَبْرِهِ.

١ - الديوان ١ / ١٨٢ (من مجزوء الرمل).

رابعًا: الحذف في التركيب الشرطي :

يقول المُرْتَضَى في مطلع قصيدة في الغزل^(١):

نَبَتْ عَيْنًا أَمَامَةً عَنْ مَشِيبي وَعَدَّتْ شَيْبَ رَأْسِي مِنْ ذُنُوبِي
وَقَالَتْ: لَوْ سَتَرْتَ الشَّيْبَ عَنِّي فَكَمْ أَخْفَى التَّسْتُرُ مِنْ عَيْبِ
فَقُلْتُ لَهَا: أَجِلُّ صَرِيحَ وَدِّي وَإِخْلَاصِي عَنِ الشَّعْرِ الْخَضِيبِ
وَمَالِكِ يَا أَمَامُ مَعَ اللَّيَالِي إِذَا طَاوَلَنَ بُدُّ مَنْ مَشِيْبِ

والمُرْتَضَى في الأبيات السابقة يقصُّ حوارًا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ أَمَامَةً، فهي قد نَفَرَتْ مِنْهُ حِينَ رَأَتْ شَيْبَهُ ؛ إِذْ عَدَّتْهُ ذَنْبًا يَلَامُ عَلَيْهِ ؛ وَلِذَا فَقَدْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِإِخْفَائِهِ عَنْهَا، وَسَتْرِهِ مِنْهَا، فَالتَّسْتُرُ يُخْفِي كَثِيرًا مِنَ الْعَيْبِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهَا الْمُرْتَضَى، وَيَقُولُ لَهَا إِنَّهُ يُقَدِّرُ حُبَّهُ الصَّادِقَ لَهَا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى صَبْغِ شَعْرِهِ، وَيَخْبِرُهَا بِأَنَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَشْيِبِ إِذَا طَالَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَالسَّنُونَ، لَعَلَّهُ بِذَلِكَ يَحُثُّهَا عَلَى حُبِّهِ، وَيَصْرِفُهَا عَنِ الْاهْتِمَامِ بِتَلْوِينِ شَعْرِهِ.

وقد كَانَ مِنْ مَقْتَضَى النِّظَامِ النَّحْوِيِّ أَنْ يَقُولَ الْمُرْتَضَى: "لَوْ سَتَرْتَ الشَّيْبَ عَنِّي، لَاخْتَفَتْ عَيْبُوكَ" وَلَكِنَّهُ حَذَفَ جَوَابَ الشَّرْطِ، وَقَالَ: "لَوْ سَتَرْتَ الشَّيْبَ عَنِّي" لَضِيقِ صَدْرِهِ عَنِ إطَالَةِ الْكَلَامِ بِسَبَبِ إِلَيْهِ وَتَوَجُّعِهِ مِنْ شَيْبِهِ.

خامسًا: حذف الفضلات والمكملات :

١ - حذف المفعول به :

يقول المُرْتَضَى من قصيدة في الزهد^(٢):

وَصَاحِبِ أَيْقَظَنِي وَرَقَّادَا وَرَامَ أَنْ يُصْلِحَنِي فَأَفْسَدَا

والمُرْتَضَى في البيت السابق يخبرُ بَأَنَّ لَهُ صَاحِبًا نَبَّهَهُ وَغَفَا، وَحَاوَلَ أَنْ يُصْلِحَهُ

١ - الديوان ١ / ١٢١ (من الوافر).

٢ - الديوان ١ / ٢٣٩ (من الرجز).

فَأَفْسَدَهُ.

وقد انحرف المرتضى عن النظام النحوي، وحذف المفعول به، فقال: "فَأَفْسَدَ"
ولم يقل: "فَأَفْسَدَنِي" كما يُقَرَّرُ النَّظَامُ النَّحْوِيُّ؛ وذلك حتى لا يُوقَعَ فِعْلُ الْفَسَادِ عَلَى
نَفْسِهِ؛ إِذْ الْفَسَادُ نَعْتٌ قَبِيحٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِمِثْلِهِ، وليوحى - أيضا - بأنَّ
الإفسادَ طبعٌ في هذا الصاحب، وأنَّ أذاه يمتدُّ إلى كُلِّ النَّاسِ لا إلى الشاعرِ فَحَسِبُ
مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى التَّنْفِيرِ مِنْهُ.

ويقول المرتضى من قصيدة قصيرة في الغزل: ^(١)

لَيْتَ أَهْلَ الْعَشِقِ مَاتُوا فَأَرَاخُوا وَأَشْتَرَاخُوا

والمرتضى في القصيدة يُقَرِّرُ بَأَنَّهُ لَا إِثْمَ فِي الْحُبِّ، مَعَ أَنَّهُ دَاءٌ عَضَالٌ لَا أَمَلٌ فِي
الشِّفَاءِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ عَذَابٌ وَعَنَاءٌ إِنْ بَخَلَ الْحَبِيبُ بِاللِّقَاءِ.

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المرتضى عن معاناةِ أَهْلِ الْعَشِقِ، وَمِنْ
ثُمَّ فَهُوَ فِيهِ يَتَمَنَّى لِأَهْلِ الْعَشِقِ أَنْ يَمُوتُوا لِئُرِيحُوا غَيْرَهُمْ، وَيَسْتَرِيحُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ
عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ.

وقد حَذَفَ الْمُرْتَضَى الْمَفْعُولَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: "فَأَرَاخُوا" إِذْ كَانَ النَّظَامُ النَّحْوِيُّ
يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ: "فَأَرَاخُوا النَّاسَ" ولكنه حذفَ ليشيرَ إلى أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانَاةَ يَشْعُرُ بِهَا
وَيَتَأَثَّرُ كُلُّ مَنْ يُحِيطُ بِالْعَاشِقِ، فَعَنَاؤُهُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، مِمَّا يُوحِي بِأَنَّ هَذَا الْعَنَاءَ جِدٌّ
شَدِيدٌ، وَذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْإِشْفَاقِ عَلَى الْعَاشِقِينَ، وَالِدَّعْوَةِ لَهُمْ بِالرَّاحَةِ، وَهِيَ لَنْ
تَكُونَ إِلَّا بِالْمَوْتِ، إِذْ الْعَشِقُ لَا بُرَاءَ مِنْهُ، وَالْمَعْشُوقُ / الْخَلَافَةُ، لَا أَمَلٌ فِي وَصَالِهِ.

وَمِنْ الْمَلَاظِظِ أَنَّ الْمُرْتَضَى فِي هَذَا الْبَيْتِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَلَ فِي جُلِّ دِيَوَانِهِ
الشَّعْرَى يَمِيلُ إِلَى السُّهُولَةِ فِي الْأَدَاءِ عَلَى نَحْوِ يَقْتَرَبُ اقْتِرَابًا شَدِيدًا مِنْ لُغَةِ الْحَيَاةِ كَمَا
تَتَبَدَّى فِيهَا تَنْقَلُهُ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ وَقَصَصِهِمْ

وأسمارهم، وفيما يكتبه المؤرِّخون والأدباء والمؤلفون من أساليب، وهو يفعل هذا بغية انتشار شعره بين العامة، وذلك بهدف نشر المذهب الشيعي والتركيز على أهم مبادئه وهو أحقية الأئمة الاثني عشرية في الخلافة من سواهم، والتأكيد بالخلافة التي تجسدت في الأمويين في بادئ الأمر ثم في العباسيين بعدهم، مما يؤدي إلى توحيد صفوف الشيعة.

كما يفعل هذا - أيضاً - متأثراً بالنزعة الشعبية التي ظهرت في الشعر العباسي عند بشار بن برد^(١)، وأبي العتاهية^(٢)، وعلي بن الجهم^(٣)، وغيرهم من الشعراء العباسيين. فالتركيب الإبداعي "فأراحوا واستراحوا" الذي يدور كثيراً على ألسنة العامة آنذاك، وإلى يومنا هذا، يكشف عن تأثير المرتضى - كغيره من الشعراء العباسيين - بروح عصره الاجتماعية تأثراً بالغاً، إذ قد ازدهر الغناء ببغداد ازدهاراً عظيماً حتى القرن الخامس الهجري، وكان الناس يتأثرون به، ويطربون عند سماعه^(٤)، ومن ثم

1- يقول بشار بن برد: (من البسيط)

يا قوم أذني ليغض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً بشار بن برد: ديوان بشار بن برد - تقديم وشرح وتكميل / محمد الطاهر بن عاشور - مطبعة لجنة التأليف - والترجمة والنشر - القاهرة - ص ٤ - ١٩٩٦ م ص ١٩٤ .

2- يقول أبو العتاهية: (من البسيط)

الحب والشَّرَّ عَادَاتُ وَأَهْوَاءُ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَحْبَابِ أَعْدَاءُ
أبو العتاهية: شرح ديوان أبي العتاهية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٨٥ م ص ٥ .

3- يقول علي بن الجهم: (من السريع)

أَنْتِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا أَكْفُرُ
- علي بن الجهم: ديوان علي بن الجهم - تحقيق / خليل مردم - دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٩٦ م - ص ١٢٩ .

4- ينظر: شوقي ضيف: عصر الدولة والامارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) - دار

فَقَدْ اقْتَرَبَتْ لُغَةُ الشُّعْرِ الْمُغْنَى مِنْ لُغَةِ الْعَامَّةِ حَتَّى يَفْهَمُوهَا وَيَتَجَاوَبُوا مَعَهَا.

ويقول المرتضى من مقطوعة في الغزل :^(١)

وَكَمْ نَادَيْتُ فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ عَهِدْتُ بِهِ فَلَمْ أَسْمَعْ جَوَابًا

والمرتضى في المقطوعة يتحدث عَنْ فَقْدِهِ لمحبيته / الخلافة وابتعادها عنه ؛ ولذا فهو في البيت السابق قَدْ أَشْقَطَ المفعول به - وهو الضمير العائد على المحبوبة - مَنْ قَوْلِهِ : " وَكَمْ نَادَيْتُ فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ عَهِدْتُ بِهِ " وكان من مقتضى السياق النحوي أَنْ يقول : " وَكَمْ نَادَيْتُ فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ عَهِدْتُ بِهِ " ولكنه أَشْقَطَ المفعول به، وَكَأَنَّ إسقاطه من التركيب يُشِيرُ إِلَى إِسْقَاطِهَا (المحبوبة / الخلافة) من حياة الشاعر وفَقْدِهَا.

ويقول المرتضى من قصيدته في الافتخار :^(٢)

وَسَدْتُ قَوْمِي فِي عَصْرِ الصُّبَا حَدًّا وَلَمْ يَسُودُوا مَشِيئًا لَا وَلَا جَلَحًا

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ فخرِ الْمُرْتَضَى بِنَفْسِهِ، فخرًا ممتزجًا بهجاء أعدائه، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِ يَخْبُرُ بِأَنَّهُ قَدْ سَادَ صَغِيرًا قَوْمَهُ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ لَمْ يَسُودُوا وَقَدْ كَبُرُوا وَشَابُوا وَقَدْ حَذَفَ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ الْمَفْعُولَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ " وَلَمْ يَسُودُوا " وكان من مقتضى السياق أَنْ يقول " ولم يسودوا قَوْمَهُمْ " ولكنه حَذَفَ المفعول به " قَوْمَهُمْ " لَأَنَّ فِي حَذْفِهِ تَحْقِيرًا لِأُولَئِكَ الْقَوْمِ، وَاسْتِهَانَةً بِهِمْ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّ الْمُرْتَضَى كَانَ يَتَمَنَّى زَوَالَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ لاءَمَ التركيبُ فِكْرَ الْمُرْتَضَى وَحِشَّهُ.

المعارف - الطبعة الرابعة - ١٩٩٦م - ص ٢٥٧

١ - الديوان : ٦٦ / ١ (من الوافر).

٢ - الديوان : ١٩٦ / ١ (من البسيط).

٢ - حذف الموصوف :

يقول المرتضى في الغزل :^(١)

صَادَ قَلْبِي عَشِيَّةَ النَّفْرِ ظَبْيٌ وَظَبَاءُ الْفَلَاةِ صَيْدُ الرَّجَالِ^(٢)
ذُو دَلَالٍ، وَإِنَّمَا يَسْكُنُ الْقُلُوبَ سَبَّ - كَمَا شَاءَ وَاشْتَهَى - ذُو دَلَالٍ
بِئْتُ أَشْكُو إِلَى وَلَوْعٍ بِهِجْرِي نَافِرٍ عَنِ زِيَارَتِي وَوَصَالِي
رَاجِيًا وَعُودُهُ وَإِنْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ سَدَ وَأَنْسَاكَ طَيْبُهُ بِالْمَطَالِ

والمرتضى في المقطوعة يخبر بأنه قد أحب امرأة متمنعة، وسكن الحب قلبه، وأنه يشكو إليها كلفه بها، أملاً في وصالها. وهو في البيت الثالث قد انحرف عن النظام النحوي، وحذف المنعوت، فقال "أشكو إلى ولوع بهجري" لينبه على أن محبوبه مشهور بالصدود والهجران حتى وكأنه لا يُعرف إلا بهما، مما يوحي بأن المحبوب / الخلافة صعبة المنال ؛ إذ هي دائمة المطال، وذلك مما يؤدي إلى أن يجتهد الشاعر لينعم بوصلها.

ومن قصيدة يُعزّي فيها الوزير أبا علي في ابنة له تُوقّيت، يقول :^(٣)

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ هَيْهَاتَ قَاتِكَ مَا يُجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
إِنَّ التِّي أَنْتَ مَلَانٌ بِلَوْعَتِهَا مَضَتْ كَمَا مَضَتْ الْأَحْيَاءُ وَالْأُمَمُ

والمرتضى في البيتين يُجَرِّدُ من نفسه شخصاً يُخاطبُهُ، ويقول له : اذهب إلى الوزير أبي علي، وأخبره بأن الموت قدّر مكتوب، وأكد له أن التّي أغرق نفسه بالأسى عليها قد ماتت كما يموت الأحياء والشعوب.

1 - الديوان : ١٢١ / ٣ (من الخفيف).

2 - عَشِيَّةَ النَّفْرِ ويومه : اليوم الذي يخرج فيه الحاج من منى إلى مكة .

3 - الديوان : ١٦٧ / ٣ (من البسيط).

وقول المرتضى : " التي أنت ملآن بلوعتها " كناية عن ابنة الوزير. وقد كان من مقتضى النظام النحوي أن يقول المرتضى " إن ابتك التي أنت ملآن بلوعتها " ولكن المرتضى انحرف وحذف المنعوت "ابتك" ؛ ليصور شدة حزن الوزير على موت ابنته، حتى وكأنه في غمرة حزنه قد نسي أن الموت قدر على كل الخلائق.

٣- حذف المنادى :

يقول المرتضى من قصيدة يرثي فيها الخليفة القادر بالله، ويهنئ القائم بالله بعد أن بُوع له سنة ٤٢٢ هـ :^(١)

فَيَا لَيْتَ بَاكِيهُ مَا بَكَاهُ وَيَا لَيْتَ نَاعِيهِ مَا نَاعَى
وَيَا لَيْتَنِي ذُقْتُ عَنْهُ الْحَمَامَ وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ عَنْهُ الْفِدَا

وقد ورد البيتان السابقان في سياق نذب الخليفة القادر، ومن ثم فالشاعر فيها كان يتمنى ألا يرى الخليفة ميتاً، فيشاهد من يبكيه، ويسمع من ينعاه، كما تمنى أن يفديه من الموت بنفسه.

ومن الملاحظ في البيتين السابقين أن المرتضى قد حذف المنادى في أربعة مواضع، إذ قال " فَيَا لَيْتَ بَاكِيهُ " " وَيَا لَيْتَ نَاعِيهِ "، " وَيَا لَيْتَنِي ذُقْتُ "، " وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ " وكان من مقتضى النظام النحوي أن يقول " فَيَا صَاحِبِي لَيْتَ بَاكِيهُ "، " وَيَا صَاحِبِي لَيْتَ نَاعِيهِ "، " يَا صَاحِبِي لَيْتَنِي كُنْتُ " ولكنه انحرف، وحذف المنادى، ليظهر شدة حزنه على فقد الخليفة وليوحى بأنه كان يرفع صوته بالبكاء - مستخدماً أداة النداء "يا" التي لنداء البعيد - لِيُسْمَعَ جميع الناس لا الصاحب فحسب، مما يحرك العواطف الخاملة.

ويبدو لي أن المرتضى قد كرر أسلوب التمني في صدر البيتين وعجزهما أربع مرات، لتأثيره بالحياة العربية القديمة التي كان الشاعر فيها يعتمد على إلقاء شعره لا

1- الديوان ١ / ٣ ، ٤ (من المتقارب).

على كتابته وتدوينه، ومن ثم كثر التكرار في الشعر، ليسهل حفظه أولاً، وليأثر في المتلقين ثانياً.

٤ - حذف الصفة :

يقول المرتضى من مقطوعة في الشيب: ^(١)
هو داءٌ حَلَّ جِسْمِي لَمْ أَجِدْ مِنْهُ طَبِيْبًا

والمُرتضى في البيت السابق يؤكد أن الشيب داءٌ نَزَلَ بجسمه وأنه لا طِبَّ لَهُ. وقد كان من مقتضى النظام النحوي أن يقول المرتضى: "لم أجِدْ طبيباً يبرأ مِنْهُ" ولكنه انحرف وحذف النعت الجملة، فقال "لم أجِدْ مِنْهُ طبيباً" ليشير إلى الحال التي عليها الطبيب مع هذا الداء، وأنه قد فَقَدَ القدرة على الإشفاء. فالطبيب - إذن - قد فَقَدَ صفةً من أَجْلِ صفاته، وهى القدرة على إشفاء الداء؛ ولذا فَقَدَ حَذَفَهَا المُرتضى من التركيب ليلائم بين التركيب وحال الطبيب.

٥ - حذف المضاف :

يقول المرتضى من قصيدة في مديح الملك بهاء الدولة: ^(٢)
تعافُ الطيرُ جِيفَتَهُ وَتَأْبَى عَارِقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ سِغَابًا

وقد ورد البيت السابق في سياق حديث المرتضى عَمَّنْ خَرَجَ على ملك بهاء الدولة، وعن عاقبة فعله، وأنها الموت والهلاك.

والمُرتضى في البيت يخبر بأن الطير التى تعيش بأكل الجيف تكره الدُّنُو من جيفة هذا الخارج فتركها، على الرغم مما هى فيه من جوع وسغب.

وقد كان من مقتضى النظام النحوي أن يقول: "تعافُ الطيرُ أَكْلَ جِيفَتِهِ"، ولكنه انحرف وحذف المضاف، فقال "تعافُ الطيرُ جِيفَتَهُ"؛ ليشير إلى أن الطير

1 - الديوان : ١ / ٧٣ (من مجزوء الرمل).

2 - الديوان : ١ / ٦٥ (من الوافر).

تكره مجرد الاقتراب من جيفة هذا الرجل، مما يشعر بشدة قذارته، رغبة في ذمه، وتنفيراً منه.

سادساً: حذف شبه الجملة :

١ - حذف الجار والمجرور :

يقول المرتضى من مقطوعة في النسيب :^(١)

لا قَضَى اللهُ لِقَلْبِي	في الهوى أن يَسْتَرْجَا
أنا راضٍ من هوى البيـ	ض بأن كان قَرِيحاً
يا مَلِيحَ الوجهِ لَمْ تَضـ	نْع ما ليس مَلِيحاً
إنما يُعَذِّرُ في التَّقـ	بِيح مَنْ كَانَ قَبِيحاً ^(٢)
أنا مُشْفٍ من تَجَنُّـ	ك وقد كُنْتُ صَحِيحاً ^(٣)

والشاعر في البيتين الأولين يتمنى أن يَمُنَّ اللهُ على قلبه بدوام عشقه فهو سعيد بأن كُتِبَ الحُبُّ على قلبه، ثم هو يتوجه في الأبيات التالية إلى المحبوب طالباً جميل معاملة، فهو قد أوشك على الداء من قبيح صنعه.

وقد حذف المرتضى من البيت الخامس مركب الجار والمجرور "على الداء" المتعلق باسم الفاعل "مشفٍ"، فقال: "أنا مُشْفٍ" وكان من مقتضى السياق أن يقول: "أنا مُشْفٍ على الداء" بدليل القرينة اللفظية، وهي قوله: "وقد كُنْتُ صَحِيحاً" ويدل على أن المرتضى قد حذف الجار والمجرور "على الداء"؛ لأنه قد انف أن يذكر لفظ الداء - الذي يوحى بالعجز والمرض - في سياق استعطاف المحبوب،

١ - الديوان ١/ ١٩٨، ١٩٧ (من مجزوء الرمل).

٢ - يُعَذِّرُ: من أعذر أي بالغ.

٣ - مُشْفٍ: مُشْرِفٌ من أشفى المريض على الموت إذا قاربته وأشرف عليه، والتجني: ادعاء الذنب على من لم يفعل.

لَعَلَّهُ بِذَلِكَ يَنَالُ بُغْيَتَهُ، فَيُحْسِنُ الْمَحْبُوبُ / الخلافةُ معاملةً.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحَسَنِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقُولُ الْمُرْتَضَى ^(١) :
تَيَقَّنْتُمْ أَنَا - بِمَا قَدْ حَوَيْتُمْ - أَحَقُّ وَأَوْلَى فِي الْأَنَامِ وَأَعْرَفُ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى إِلَى الْأُمَوِيِّينَ مَفْتَحَرًا عَلَيْهِمْ بِمَا
جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ إِشَارَةٍ - عَلَى حَدِّ زَعَمِ الشُّعْبَةِ - إِلَى أَحَقِّيَةِ الْعَلَوِيِّينَ
بِالْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ ^(٢).

وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَتَوَجَّهُ بِخَطَابِهِ الشُّعْرَى إِلَى الْأُمَوِيِّينَ قَائِلًا لَهُمْ : لَقَدْ أَضْبَحْتُمْ
عَلَى يَقِينٍ - بِمَا تَعْلَمُونَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - مِنْ أَنَّا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ فِي الْأَنَامِ، وَأَوْلَى بِهَا
وَأَعْرَفُ وَمَنْ الْمَلَاخِظُ فِي الْبَيْتِ أَنَّ الْمُرْتَضَى قَدْ حَذَفَ شِبْهَيْ جُمْلَةٍ - أَمَا شِبْهُ الْجُمْلَةِ
الْأُولَى فَهِيَ " مِنْ كِتَابِ اللَّهِ " الْمَتَعَلِّقَةُ بِالْفِعْلِ " حَوِي " ، إِذْ كَانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ
" بِمَا قَدْ حَوَيْتُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ " وَقَدْ حَذَفَهَا تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَا شِبْهُ
الْجُمْلَةِ الْآخَرَى، فَهِيَ " بِالْخِلَافَةِ " الْمَتَعَلِّقَةُ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ " أَحَقُّ " ، إِذْ كَانَ السِّيَاقُ
يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ " أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ فِي الْأَنَامِ " وَلَكِنَّهُ حَذَفَهَا خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الْعَبَّاسِيِّينَ،
لَأَنَّ اللَّامَ فِي كَلِمَةِ " الْأَنَامِ " هِيَ لَامُ الْاسْتِغْرَاقِ أَيْ إِنَّ الْمُرْتَضَى يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ
الْعَلَوِيِّينَ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ فِي كُلِّ الْأَنَامِ بِمَا فِيهِمُ الْعَبَّاسِيُّونَ ؛ وَلِذَا فَقَدْ أَضْمَرَ شِبْهَ
الْجُمْلَةِ " بِالْخِلَافَةِ " ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَرِّحَ بِهَا فِي هَذَا السِّيَاقِ.

٢- حذف الظرف :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ مَقْطُوعَةٍ فِي الشَّيْبِ : ^(٣)

١- الديوان ٢٥٨ / ٢ (من الطويل).

٢- ينظر في أدلة الشيعة من القرآن على أحقية الإمام على بالخلافة : د / عامر النجار : في
مذاهب الإسلاميين - ص ٢٨ وما بعدها ..

٣- الديوان : ١٩٤ / ٣ (من الخفيف).

هُوَ نَقْصٌ عِنْدَ الْحَسَنِ كَمَا أَنَّ — شَبَابًا مَكَانَ شَيْبٍ تَمَامٌ
وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْحَسَانَ تُعَدُّ الشَّيْبَ نَقْصًا وَالشَّبَابَ اكْتِمَالًا.
وَقَدْ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى النِّظَامِ النَّحْوِيِّ أَنْ يَقُولَ الْمُرْتَضَى. " كَمَا أَنَّ شَبَابًا مَكَانَ شَيْبٍ
تَمَامٌ عِنْدَهُنَّ " وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ وَحَذَفَ الظَّرْفَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ "عِنْدَهُنَّ" ؛ وَذَلِكَ لِضَيْقِ
صَدْرِهِ عَنْ إطَالَةِ الْكَلَامِ نَظَرًا لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنٍ بِسَبَبِ بُلُوغِهِ الشَّيْبَ،
وَانْصِرَافِ الْحَسَنِ / الْخِلَافَةِ عَنْهُ.

الاعتراض

تمهيد:

والاعتراض - لا ريب - انحراف عن النسق المعياري للتركيب حيث يقوم الشاعر أو الكاتب فيه بادخال عنصر مفرد أو مركب بين عناصر تركيب مستقل بغية تحقيق غاية يزنو إليها كلاهما، وإتمام معنى لا يتم دونه. "فلكل متكلم طبع في بيانه ومزاج يفرغه في نظام جمليه وتشابك أطرافها" (١)

هذا، والعنصر الدخيل "المعترض" يقطع الدلالة المتصلة في التركيب الأصلي، ثم يعود التركيب إلى تمامه بعد دخوله فيتم المعنى في الكلام، بحيث لو أسقط هذا العنصر لبقى التركيب الأول على حاله في الإفادة. (٢)

و "يعد الاعتراض نمطاً تركيبياً لا يختص بشكل واحد من أشكال الجملة، وإنما يرد في الجملة الاسمية والفعلية، دون أن يؤدي وظيفة معينة في حد ذاته، وإنما تتحدد وظيفته داخل السياق في إطار إسنادي يؤثر تأثيراً مباشراً في دلالات الكلام ومرادات المتكلم" (٣)

وقد تنبأ القدماء من اللغويين والبلاغيين والنقاد إلى فائدة الاعتراض فابن جني

١ - محمد أبو موسى : دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية - مرجع سابق - ص ٢٨٩ .

٢ - ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - دار النهضة - مصر - ١٩٧٣ م - ص ٤٠ .

٣ - مختار عطية : علم اليديع ودلالات الاعتراض في شعر البحري ، دراسة بلاغية - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م - ص ١٦٥ .

يعقدُ له بابًا، ويستهلُّه بقوله : " اعلم أنَّ هذا القبيل من هذا العلم كثيرٌ، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر، ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد " (١) وابن فارس يُصدِّرُ حديثه عنه ببيان غايته، فيقول : " ومن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمايه كلام آخر ولا يكون هذا المعترض إلا مفيداً " (٢)

أما " أسامة بن منقذ " فيربط بين الاعتراض وفائدته، إذ يُعرفه بقوله " اعلم أنَّ الاعتراض هو أن تذكر في البيت جملةً مُعترضةً، لا تكون زائدة بل يكون فيها فائدة " (٣)

الاعتراض في ديوان الشريف المرتضى :

ولقد كان الاعتراض سمةً أسلوبيةً في شعر المرتضى، حيث ورد في ديوانه في سبعةً وواحد وثمانين (٧٨١) موضعًا، مُرتبطًا بسياقاتٍ مُعيَّنة على نحوٍ له دلالة. وقد وقعت هذه السمة في شعره في أربعة عشر موقعًا وتتنوع العنصرُ المُعترض به فجاء مفردًا كما جاء مُركبًا.

وفيما يلي جدولٌ إجماليٌّ لمواقع الاعتراض وأعداد ورودها في الديوان كُله ثم يليه عرضٌ لهذه المواقع مع الاستشهاد بأمثلة لها وتحليلها وتفسيرها لبيان مُراد الشاعر من الاعتراض فيها، وذلك على النحو الآتي :-

-
- 1- ابن جني : الخصائص - الهيئة المصرية العامة للكتاب - د . ت ص ٣٣٥ .
 - 2- ابن فارس : الصحابي - مرجع سابق - ص ٤١٤ .
 - 3- أسامة بن منقذ : البديع في نقد الشعر - ت / أحمد بدوي ، حامد عبد الحميد - الحلبي - ١٩٦٠ ص ١٣٠ .

مرات وروده	موقع الاعتراض	مسلسل
١٥٩	بين الفعل والمفعول به	١
١٣٠	بين ما أصله المبتدأ والخبر	٢
١٠١	بين الفعل والفاعل	٣
٨٧	بين المبتدأ والخبر	٤
٦٧	بين الفعل ومتعلقه	٥
٤٦	بين المعطوف والمعطوف عليه	٦
٤٤	بين القول والمقول	٧
٣٨	بين خبر الناسخ واسمه	٨
٣٣	بين متعلق الخبر المحذوف والمبتدأ	٩
٣٢	بين الصفة والموصوف	١٠
١٤	بين الفعل والمفعول المطلق	١١
١٣	بين فعل الشرط وجوابه	١٢
٩	بين الصلة والموصول	١٣
٨	بين الحال وصاحبها	١٤
٧٨١		المجموع

١ - الاعتراض بين الفعل والمفعول به :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ الْمُرْتَضَى : ^(١)

لَسْتُ أَرْضَى فِي نَصْرِكُمْ - وَقَدْ اخْتَجَجْتُ
غَيْرَ أَنِّي مَتَى نُصِرْتُمْ بَطَعَنَ
وَالِي أَنِّي يَزُولُ عَنْ كَفِّي الْمَنَى - عُ خَذُوا الْيَوْمَ مِنْ لِسَانِي اتِّصَارَا

وقد وردت الأبيات السابقة بعد حديث طويل إلى بنى حرب يقع في ثلاثة وخمسين بيتاً، يخبرهم فيه بأن الخلافة التي اغتصبوها - غدرًا وظلماً - لن تبقى لهم وأنهم لثام قد ابتعدوا عن الحق، وعلى المرء أن يتعد عنهم.

وبما أن المرتضى يعلم أن هذه المناصرة التي هي باللسان فقط لن تعيد الحق إلى أهلِهِ كما أنها لن تشفيَ عليهم مَن سَفَكَ دِمَاءَهُمْ ؛ فَقَدْ تَوَجَّهَ - بعد هذا السياق أى في الأبيات السابقة - بخطابه الشّعريّ إلى آل البيت مُطمئنّاً لهم، نافيّاً أن يكون راضياً عن مناصرتهم بالأشعار فقط ؛ لأنه يعتزم أن يثار لهم بالسيف والرمح. ولكن لا تَحِينَ قِتَالٍ. ومن ثمّ فهو يُناصِرُهُمْ شِعْراً منتظراً ظهور المهديّ.

وقد اعترض المرتضى بين الفعل "أَرْضَى" والمفعول به "الأشعار" بالمركبِ الفعليّ "وقد اختججتم إلى النصير مني" ؛ ليقرّر ويؤكد لِسَامِعِيهِ أَنَّ آل البيت يحتاجون إلى النصير من الشيعة، وذلك ليحرّك عواطفهم ممّا يؤدّي إلى تجميع صفوفهم للنيل من أعدائهم.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ أَبِيهِ وَالتَّغْرِيبِ بَعْضِ أَعْدَائِهِ، يَقُولُ : ^(٢)

وَمِنْ عَجِيبِ الزَّمَانِ أَنْ يَدَّعَى
لَمْ يَدْرِ الْجَهْلُ مِنْ سَجِيَّتِهِ -
شَأْوَكَ فَشَلُّ لَمْ يَعْدُ أَنْ كَذَبَا
أَنَّكَ أَخْرَزْتَ قَبْلَهُ الْقَصَبَا

1 - الديوان ٥٨ / ٢ (من الخفيف) .

2 - الديوان ٥٨ / ١ (من المنسرح) .

وقد ورد البيتان السابقان في سياقٍ فخرٍ المرتضى بأبيه فخراً مُتَزَجاً بهجاءٍ أَعْدَائِهِ .
وهو في البيتين يخاطبُ أباه مُتَعَجِّباً من ذلك الذي لا يستطيعُ أن يُنجزَ عملاً أَيْ
عَمَلٍ، وَهُوَ - مَعَ هَذَا - يَضَعُ نَفْسَهُ مَوْضِعَ النَّدِّ لِأَبِيهِ، فهو كَذَابٌ أَشَرٌّ، لَمْ يَذَرِ أَنَّهُ إِلَى
المجدِ مَسْبُوقٌ، وَأَنَّهُ بِأَبِيهِ - أَيْ بِأَبِي المرتضى - لَنْ يَسْتَطِيعَ اللُّحُوقَ .

وقد اعترض المرتضى بين الفعلِ "يَذَرُ" والمفعولِ به، المصدرِ المؤولِ "أَنَّكَ
أَحْرَزْتَ قَبْلَهُ الْقَصَبَا" بالمركبِ الاسميِّ الإِسْنَادِيَّ "والجهلُ مِنْ سَجِيَّتِهِ" ؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ
الجهلَ طَبْعٌ متأصلٌ فيه، مفطورٌ عليه وأنه إِنْ لَمْ يَكُنْ هذا طَبْعُهُ لَعَلِمَ مَنَزَلَةَ أَبِيهِ، مما
يشيرُ إلى أَنَّ الناسَ طُرّاً تعلمُ منزلةَ أبيه عداً هذا الجاهلُ .

ومن قصيدةٍ في الافتخارِ، وَذَمِّ الأعداءِ، يقولُ :^(١)
جَمَعْتُمْ - يَا بَنِي الدُّنْيَا - حُطَامَا يُرَى مِنْ بَعْدِكُمْ بِيَدِ النَّهَابِ

وقد ورد البيتُ السابقُ في سياقٍ مخاطبةِ المرتضى لأعدائه مخبراً لهم - على سبيلِ
التَّهْكُمِ والسُّخْرِيَةِ - بأنَّ ما يجمعونَ من الدنيا لَنْ يَبْقَى لَهُمْ، وَلَنْ يُبْقَى ذِكْرُهُمْ ؛ وَلِذَا
فَقَدْ اعترض المرتضى بين الفعلِ "جَمَعْتُمْ" والمفعولِ به "حُطَامَا" بالمركبِ الفعليِّ "يا
بني الدنيا"، فقالَ : "جَمَعْتُمْ - يَا بَنِي الدُّنْيَا حُطَامَا" وَاصِفًا لهم بأنهم أبناءُ الدنيا ؛
وذلكَ ليشيرَ إلى أَنَّهُمْ منقادونَ لها انقيادَ الأبناءِ لأبائِهِمْ، إِذْ هُمْ حريصونَ على أَنْ
يَجْمَعُوا مِنْ تَفَاهَاتِهَا مَا لَا يَبْقَى لَهُمْ .

ومن قصيدةٍ في رثاءِ الحسينِ يقولُ :^(٢)
قَدْ جَعَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ - كَمَا عَلِمْتُمْ - المَبْعَثَ والمَحْشَرَا

وقد ورد البيتُ السابقُ في سياقٍ حديثِ المرتضى إلى آلِ البيتِ وافتخاره بهم .
ومن ثَمَّ فَهُوَ في هذا البيتِ يخبرُ العلويينَ - على سبيلِ الافتخارِ لا الإخبارِ - مُؤَكِّدًا

1- الديوان ١ / ١٠١ (من الوافر) .

2- الديوان ٢ / ٤٣ (من السريع) .

لهم - ب " قد " التحقيقية - بأن الله قد أوكل إليهم أمور الجنة والنار.

وقد جاء بالاعتراض بين الفعل " جعل " والمفعول به " المبعث والمُحْشَر " بِمُرْكَبِ الجار والمجرور " كما عَلِمْتُمْ " (١) ؛ ليؤكد أن آل البيت يعلمون هذه الحقيقة وأن إخبارهم بها كان على سبيل الافتخار على أعدائهم.

ومن قصيدة في رثاء الشيخ المفيد يقول (٢)

فَحُذِ الْيَوْمَ مِنْ دُمُوعِي - وَقَدْ كُنْتُ
مِنْ جُحُودًا - عَلَى الْمَصَابِ سَجَامًا (٣)

وقد ورد البيت السابق في سياق نذب ذلك الشيخ نذبًا يتفجر منه حزنًا وأسى؛ ولذا فالمرتضى في البيت يتوجه بحديثه إلى صاحبه مُظهِرًا اللوعة والحزن، ذاكراً أن دَمْعَهُ على هذا المصاب غزيرٌ.

وقد اعترض المرتضى بين الفعل " حُذِ " والمفعول به " سَجَامًا " بِمُرْكَبِ فعلٍ صُورِيٍّ "وقَدْ كُنْتُ جُحُودًا" ؛ وذلك ليُوحى بأن فقدَهُ للشيخ مصابٌ جليلٌ، وأن المصائب التي مرّت به لم تكن شيئاً ولم تُحرّك له دمعاً.

ومن قصيدة في رثاء زوجته أم محمد، يقول (٤)

وداءُ البرْدَى أفنى ظيئاً سُويقةً وطيرٌ عن أجزاعٍ تدمرُ رُبْدَهَا (٥)

1- الكاف : حرف ، " وما " المصدرية مع مدخولها في تأويل مصدر مجرور بالكاف ، والتقدير " كقولهم " .

2- الديوان ٢٠٥ / ٣ (من الخفيف) .

3- الدَّمْعُ السَّجَامُ في هذا السياق : هو الدمعُ الغزيرُ ، إذ يُقالُ : (سَجَمَ) الدَّمْعُ والمطرُ سُجُومًا وسِجَامًا : سَالَ قليلاً أو كثيراً .

4- الديوان ٢٥٠ / ١ (من الطويل) .

5- أَجْزَاعٌ : جمعُ (جَزَع) : وهو مُنْعَطَفُ الوادِي أو وَسَطُهُ أو مُنْقَطَعُهُ . الرُّبْدُ : مفردها الرُّبْدَاءُ وهي النَّعَامَةُ . تَدْمُرُ : بلدةٌ في قلبِ البادية الشَّاميَّةِ .

وَأَفْضَى إِلَى حُجْبِ الْمُلُوكِ وَلَمْ يَخَفْ شَبَاهَا وَلَمْ يَرْقُبْ - هُنَالِكَ - حَشْدَهَا^(١)

والقصيدة تجمع بين الندب والتأبين والعزاء. وقد وردَ البيتان السابقان في سياقِ العزاءِ ومن ثمَّ فالشاعرُ فيها يؤكدُ - باسميه الجملة الممتدة - أنَّ الموتَ قد أَفْنَى غَزَالَاتِ سُوءِئَةٍ ونعاماتِ تَدْمُرَ، كما دَخَلَ إلى الملوكِ في قُصُورِهِمْ وقبضَ أَرْوَاحَهُمْ وَسَطَّ سِوْفِهِمْ وبينَ حشودِهِمْ ولم يَخْشَ منهم شيئاً.

وقد أَرَادَ المرتضى أن يؤكدَ هذا المعنى، فجاءَ بالاعتراضِ في البيتِ الثاني باسمِ الإشارةِ الموضوعِ للبعيدِ "هُنَالِكَ" - الذى يشيرُ به في البيتِ إلى قُصُورِ الملوكِ المُشِيدَةِ العظيمةِ - بينَ الفعلِ "يَرْقُبْ" والمفعولِ بهِ "حَشْدَهَا"؛ ليؤكدَ على ذهابِ الموتِ إلى الملوكِ في قُصُورِهِمْ المُشِيدَةِ العظيمةِ التى يُحَجَّبُ منها كثيرٌ من الخلقِ، وليشيرَ إلى أنَّ الموتَ لا يتركُ أحداً مهتماً تقوى وتَحَصَّنَ. وكلُّ هذا تعزيةٌ لنفسِهِ الحَزِينَةِ ودَعْوَةٌ لها إلى الصَّبْرِ على فقدِ الزوجةِ.

وقد كَشَفَ التركيبُ الإبداعى "وَلَمْ يَرْقُبْ - هُنَالِكَ - حَشْدَهَا" عن تأثرِ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ في معانيه وأفكارِهِ وصورِهِ. فَهُوَ فيه يقررُ أَنَّهُ لا مَهْرَبَ من الموتِ مُصَوِّراً الموتَ مخلوقاً لا يتركُ أحداً إلا نالَهُ، تماماً كما جاءَ في القرآنِ الكريمِ في قولِهِ تعالى: "أَيُّهَا تَكُونُوا يُذَرِّكُكُمْ الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مُّشِيدَةٍ"^(٢)

وَمِنْ قصيدةٍ في الافتخارِ، يقولُ المُرْتَضَى^(٣)

كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَسُورٍ مُتَخَمِّطٍ يُرْدَى - إِذَا شَاءَ - الْهَزْبَرِ الْقَسُورَا^(٤)

وقد وردَ البيتُ السَّابِقُ في سياقِ فخرِ الشاعرِ بقومِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فهو في البيتِ

1 - شباها : سيوفها .

2 - سورة النساء : آية (٧٧).

3 - الديوان ٢ / ٣٥ (من الكامل).

4 - الْقَسُورُ : الأسدُ ، الْمُتَخَمِّطُ : المتكبرُ والمتجبرُ ، وَالْهَزْبَرُ : الأسدُ .

يريدُ أن يُظهرَ قوتَهُمْ ؛ ولذا فهو فيه يفتخرُ بقومِهِ عن طريقِ الحكايةِ، فيصورُ أنَّ الكثيرَ منهم أبطالٌ أقوياءُ كالأسودِ، بل هُم أقوى من الأسودِ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الفعلِ "يُرْدِي" والمفعولِ بِهِ "الهِزْبَ الْقَسَوْرَا" بالمركبِ الفعلِ المسبوقِ بأداةِ شرطٍ "إِذَا شَاءَ" ؛ لِيُنْبَهَ عَلَى أَنَّ الأمرَ موكولٌ إليهم. فَهُمْ إِنْ أَرَادُوا أَهْلَكُوا الْأَسْوَدَ، وَإِنْ أَرَادُوا الْعَفْوَ صَفَحُوا عَنْهُمْ ؛ وذلكَ ليبالغَ في قوتِهِمْ، وليشيرَ - أَيْضًا - إلى حِلْمِهِمْ وَكَرَمِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ يَعْفُونَ عَنْ أَعْدَائِهِمْ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ - أَيْضًا - قَوْلُهُ : (1)

وَتَنَاسَيْتُمْ - وَمَا قَدُمَ الْعَهْدُ — دُ - عُهُودًا مَعْقُودَةً وَذَمَارًا (2)

وقد وردَ البيتُ السَّابِقُ في سياقِ حديثِ المُرتَضَى - عن طريقِ الكنايةِ - عن غَدْرِ العباسيينَ بالعلويينَ واغتصابِهِم الخِلافةَ منهم، فهم ورثَتُهَا الحَقِيقِيُّونَ ؛ إذ هم أبناءُ بنتِ الرَّسُولِ : فاطمةَ، وأبناءُ عليِّ ابنِ عَمِّهِ، ومن ثَمَّ فهو في البيتِ يتوجَّهُ بخطابِهِ الشَّعْرِيِّ إلى العباسيينَ مُخْبِرًا إِيَّاهُمْ - على سبيلِ التَّقْرِيعِ - بأنهم قد تَنَاسَوْا ما قد قَطَعُوهُ من عُهُودٍ مع العلويينَ، إِذْ هُمْ قَدْ أَخَذُوا الْعَهْدَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بأنهم ليسوا طُلَّابَ خِلَافَةٍ وَإِنَّمَا هُمْ يَطْلُبُونَ إِسْقَاطَ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ الْجَائِرَةِ الَّتِي طَالَمَا أَزْهَقَتْهُمْ بَعْسُفِهَا وَظُلْمُهَا وَطَالَمَا احْتَكَرَتْهُمْ لِمَارِبِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَأَنَّهُمْ " لَا يَأْخُذُونَ بِالْبَيْعَةِ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْخِلَافَةِ، إِنَّمَا يَأْخُذُونَهَا لِإِمَامٍ رِضَا مِنْ آلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ . . . وَكَانُوا يُشِيعُونَ دَائِمًا أَنَّهُمْ نَهَضُوا لِهَذَا الْأَمْرِ كَيْ يَنَازِلُوا لِلشُّهَدَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ؛ " (3)

وإِذْ بِهِمْ - بَعْدَ أَنْ قَضَوْا عَلَى الْأُمَوِيِّينَ بِمُسَاعَدَةِ الْعَلَوِيِّينَ - يَنْسَوْنَ هَذِهِ الْعُهُودَ،

1 - الديوان : ٥٥ / ٢ - (من الخفيف).

2 - الزمار : العهود والزمم .

3 - شوقي ضيف : العصر العباسي الأول - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٠ -

١٩٦٦م - ص ١٣ .

وَيَحْتَجُونَ بِأَيِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَنَّ الْبَيْتَ الْعَبَّاسِيَّ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنَ الْبَيْتِ الْعَلَوِيِّ، وَيَطْلُبُونَ الْخِلَافَةَ لَأَنْفُسِهِمْ.^(١)

وَلِذَا فَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ "تَنَاسَيْتُمْ" وَالْمَفْعُولِ بِهِ "عُهُودًا مَعْقُودَةً" بِالْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ الْمُنْفَى "وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ" ؛ وَذَلِكَ لِتَقْرِيعِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَتَوْبِيخِهِمْ.

٢- الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ صَدِيقٍ لَهُ :^(٢)
وَكَأَنَّنِي - وَجَدًا بِهِ وَصَبَابَةً - أَنِّي طَمَحْتُ بِنَظَرِي أَرَاهُ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ تَمَكُّنِ صَدِيقِهِ الْفَقِيدِ مِنْ فُؤَادِهِ تَمَكُّنًا يَأْبَى الْفُؤَادُ مَعَهُ أَنْ يَنْسَاهُ، تَمَكُّنًا جَعَلَهُ يَرَى صَدِيقَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ مَا أَصْلُهُ الْمُبْتَدَأُ، وَهُوَ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ فِي "كَأَنَّنِي" وَالْخَبَرِ "أَنِّي طَمَحْتُ بِنَظَرِي أَرَاهُ" بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ "وَجَدًا" ؛ لِيُبَيِّنَ السَّبَبَ فِي أَنَّ هَذَا الْفَقِيدَ لَا يَغِيبُ عَنْ نَظَرِهِ وَكَانَ السَّبَبُ هُوَ شِدَّةُ حُبِّ الشَّاعِرِ لِفَقِيدِهِ، وَلِهَذَا بِهِ.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْإِفْتِخَارِ، يَقُولُ :^(٣)

أَلَسْتُ - إِنْ عُدَّ هَذَا الْخَلْقُ - خَيْرَهُمْ لَمْ يَبْرَحُوا بَيْنَ جَدِّي وَبَيْنَ أَبِي ؟

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقٍ يَتَحَدَّثُ فِيهِ الْمُرْتَضَى عَنْ خِصَالِهِ ذَاكِرًا أَنَّهُ يَحَافِظُ عَلَى أَصْدِقَائِهِ وَأَهْلِ مَوَدَّتِهِ مِثْلًا يَحَافِظُ عَلَى قَرَابَتِهِ وَأَنَّ الْحِلْمَ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ مُوَاجَهَةِ الْبُغَاةِ كَمَا أَنَّ الْغَضَبَ لَا يُنْسِيهِ الْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيءِ، ... ثُمَّ يَأْتِي الْبَيْتَ الَّذِي يَقَرُّ فِيهِ الشَّاعِرُ أَنَّهُ خَيْرُ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَسِبُ إِلَى خَيْرِ نَسَبٍ.

1- ينظر : المرجع نفسه - ص ١٣ .

2- الديوان ٣ / ٣٥٧ (من الكامل) .

3- الديوان : ١ / ١١٨ (من البسيط) .

وقد اعترض المرتضى في البيت السابق بين اسم ليس وهو "التاء" فيها، وخبرها "خبرهم" بمركب فعلي مسبوق بأداة من أدوات الشرط، وهو "إن عُدَّ هذا الخلق"؛ لينبه على أنه لا يفتخر على الخلق في كل وقت وإنما افتخاره مشروط بافتخارهم هم عليه، وفي ذلك إشارة إلى تواضعه الجَمِّ.

فلا اعتراض - إذن - يخدم سياق الافتخار الذي ورد فيه إذ يُضَيَّفُ إلى صفات المرتضى صفة أخرى هي صفة التواضع.

٣- الاعتراض بين الفعل والفاعل :

ومن قصيدة كتبها إلى الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن فسّانجس، يقول :^(١)
وَكَمْ أَتَانِي - وَجُنْحُ اللَّيْلِ حُلَّتُهُ -
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَسَابِي أَنَّهُ يَأْتِي

والقصيدة يبدوها الشاعر بالحديث عن طيف المحبوبة الذي صار شحيحاً بزيارته له. وقد ورد البيت السابق في هذا السياق. ومن ثمّ فالشاعر يخبر فيه - ب -
كم "الخبرية التي تفيد التكثير - بأنّ هذا الطيف البخيل بزيارته حاضرًا قد زاره ماضياً زيارات لم تكن في الحُسابان.

وقد اعترض المرتضى بين الفعل والمفعول به من ناحية "أتاني" والفاعل من ناحية أخرى "مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَسَابِي أَنَّهُ يَأْتِي" بالمركب الاسمي الإسنادي "وَجُنْحُ اللَّيْلِ حُلَّتُهُ"؛ ليؤكد المعنى المفاد من السياق، وهو أنّ تلك الزيارات كانت حلماً يأتيه نائماً ليلاً، لا واقعاً يراه مُسْتَقِظاً نهاراً؛ وذلك ممّا يُوجِى بأنّ المرتضى يتحدث عن الخلافة التي ابتعدت عنهم واقعاً.

٤- الاعتراض بين المبتدأ والخبر :

وفي مطلع قصيدة له يقول المرتضى :^(٢)

١- الديوان : ١/ ١٣٦ (من البسيط).

٢- الديوان : ١/ ١٩٩ (من الوافر).

وَمَا مَرَحُ الْفَتَى تَزَوَّرُ عَنْهُ خُذُوذُ الْبَيْضِ بِالْحَدَقِ الْمَلَا حِ
وَيُضْبِحُ بَيْنَ إِغْرَاضٍ مَبِينٍ - بِلا سَبَبٍ - وَهَجَرَانِ صِرَاحِ
وَقَالُوا : لَا جُنَاحَ ، فَقُلْتُ : كَلًّا مَشِيئِي - وَخُدَّةُ - فَيَكُفُّمُ جُنَاحِي

والشاعرُ في الأبيات السابقة يقول : إِنَّهُ لَا فائدةَ للفتى من مَرَحِهِ طالما أعرضتُ
عنه الصبايا الحسانُ وَهَجَرْنَهُ لَشَيْئِهِ. وقد اعترضَ الشاعرُ بينَ المبتدأِ " مَشِيئِي " والخبرِ
" جُنَاحِي " بالحالِ المفردِ " وَخُدَّةُ " ؛ ليؤكدَ أَنَّ الشيبَ / الضعفَ وَخُدَّةُ لَا شيءَ غَيْرُهُ
هو سَبَبُ انْصِرَافِ الصَّبَايَا / الخلافةِ عَنْهُ.

ومن قصيدة في رثاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يقول : ^(١)

حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ عَلَى صَهَوَاتٍ حُذِبٍ شَامِصَاتٍ ^(٢)
وَحَقُّوكُمْ - دُونَ الْبَرِيَّةِ - - فِي أَكُفٍّ عَاصِيَاتٍ ^(٣)

وهذان البيتان يأتيان في سياق حديث المرتضى إلى آل البيت. وقد أتى هذا الحديثُ
بَعْدَ عَرْضِهِ لِمَا حَدَّثَ لَهُمْ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِمَا يَخَاطَبُ آلَ الْبَيْتِ مُتَحَسِّرًا عَلَى
ضِيَاعِ حَقِّهِمْ فِي الْخِلَافَةِ، وَوُقُوعِهِ فِي أَيْدِي قَوْمِ عُصَاةٍ، وَمُسْتَبْطِنًا عَوْدَتَهُ إِلَيْهِمْ.
وقد اعترضَ المرتضى في البيتِ الثاني منهما بينَ المبتدأِ " حَقُّوكُمْ " وَمُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ
الْمَحْذُوفِ " فِي أَكُفٍّ عَاصِيَاتٍ " بِالْمَرْكَبِ الْأَسْمَى الْإِضَافِيِّ " دُونَ " الْبَرِيَّةِ " ؛ لِيُنَبِّهَ
عَلَى أَنَّهُمْ أَسْوَأُ الْخَلْقِ، وَأَنَّ الْخِلَافَةَ لَوْ كَانَتْ فِي غَيْرِهِمْ لَهَا نَ الْأَمْرُ شَيْئًا.
فَالْتَّرْكِيْبُ - إِذَنْ - يَجْعَلُ الْمُتَلَقِّي يَنْفِرُ نُفُورًا مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ الْعُصَاةِ.

1- الديوان : ١٤٦/١ (من مجزوء الكامل).

2- صَهَوَاتٌ : جَمْعُ (صَهْوَةٌ) وَهِيَ مَقْعَدُ الْفَارِسِ مِنَ الْفَرَسِ . وَالْحُذْبُ : جَمْعُ (أَحْدَب) وَهُوَ
مَا ارْتَفَعَ ظَهْرُهُ . وَالشَّامِصَاتُ : النَّافِرَاتُ .

3- " دُونَ " هَاهُنَا اسْمٌ يَمَعْنِي " غَيْرِ " .

4- الديوان ٢٢٥/٢ (من الكامل).

ومن قصيدة في رثاء ابن شجاع الصوفي، يقول :^(١)
وإذا دَنَا الأجلُ المقَدَّرُ للفتى لم أنجِه مِنْهُ وَضَاعَ دِفَاعِي
وَقَوَاطِي - وهى الحِدادُ - كَلِيلَةٌ عنه وَنَبَعِي فِيهِ مِثْلُ يَرَاعِي^(٢)

وقد وردَ البيتانِ السابقانِ في سياقِ العزاءِ . وَمِنْ ثَمَّ فالمرتضى فيها يَصُورُ عَجْزَهُ
أمامَ الموتِ، وأنه لا يستطيعُ أَنْ يُنْقِذَ المرءَ منه - بسيفِهِ أو رِجْلِهِ - إذا جاءَ أَجَلُهُ.

وقد أرادَ المرتضى أَنْ يؤكدَ هذا المعنى ؛ ولذا فقد اعترضَ - في البيتِ الثانى من
البيتينِ السابقين - بينَ المبتدأِ "قواطعِ" والخيرِ "كَلِيلَةٌ" بالمركبِ الاسمى الإسنادى
"وَهى الحِدادُ" ؛ ليؤكدَ قُوَّةَ هذه السيوفِ لمن قد يَتَوَهَّمُ ضعفَهَا، وأنها على قوتِها
تَقِفُ أمامَ الموتِ عاجزةً، مما يشيرُ إلى أَنَّ الموتَ قُوَّةٌ لا تُرَدُّ ولا تُدْفَعُ ؛ وفي ذلك ما
يُعِينُهُ على التَّجَلُّدِ والصَّبْرِ على مُصَابِهِ.

ومن الملاحظِ أَنَّ المرتضى في البيتينِ السابقين قد تَأَثَّرَ في مَعَانِيهِ بالإسلامِ
وَحَضَارَتِهِ، حيثُ نراه قد استمدَّ المعنى الواردَ فيها من القرآنِ الكريمِ من قوله تعالى
: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ"^(٣). فالمرءُ
إذا جاءَ أَجَلُهُ فإنه - لا محالةً - مَيِّتٌ.

ومن قصيدة كتَبَهَا المرتضى إلى أبى سعدِ على بن محمد بن خَلَفٍ، يقول :^(٤)
أَنْتُمْ - وإنْ لَمْ تُدْنِنَا رَحِمٌ - بِمَا أَخْلَصْتُمُوهُ أَقَارِبِي وَمَعَاشِرِي
وقد اعترضَ المرتضى بينَ المبتدأِ "أَنْتُمْ" والخيرِ "أقاربي" بمركبِ فِعْلِيٍّ مَنفِيٍّ

1- الديوان ٢/ ٢٢٥ (من الكامل).

2- النَّبْعُ : شَجَرٌ يَنْبُتُ مِنْ قُلَّةِ الْجَبَلِ تُتَّخَذُ مِنْهُ السُّهَامُ ، والمقصودُ بـ (نَبَعِي) - ها هنا - سَهَامِي
الْيَرَاعُ : الْقَصَبُ . واحِدَتُهُ : يَرَاعَةٌ .

3- سورة الأعراف : آية ٣٤ .

4- الديوان ٢/ ٧٤ (من الكامل).

مَسْبُوقٍ بِأَدَاةٍ مِنْ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ، وَهُوَ "وَإِنْ لَمْ تُذْنِنَا رَحِمٌ" ؛ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ عِلَاقَةَ الرَّحِمِ لَيْسَتْ شَرْطًا لِلْقَرَابَةِ مِمَّا يُوحِي بِمَدَى الْقَرَبِ الرَّوْحِيِّ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَبَنِي خَلْفٍ. ذَلِكَ الْقَرَبُ الَّذِي جَعَلَهُ وَإِيَّاهُمْ كَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ رَحِمٍ وَاحِدَةٍ.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ الْأَمِيرِ أَبِي الْغَنَائِمِ مُحَمَّدِ بْنِ مُزَيْدٍ يَقُولُ :^(١)
وَكَيْفَ أَعَاطَيْتُكَ الْعِزَّاءَ ؟ وَإِنَّمَا مَصَابُكَ فِيهِ - يَا ابْنَ حَمْدٍ - مُصَابِيًا

وَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يَتَوَجَّهُ بِخَطَابِهِ الشَّعْرِيِّ إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ حَمْدٍ مُسْتَبْعِدًا أَنْ يَكُونَ بِهَذَا الْخَطَابِ مُعْزِيًا لَهُ ؛ إِذْ كَيْفَ يُعْزِيهِ وَمَصَابُهَا وَاحِدٌ.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ الْمَبْتَدِ "مَصَابُكَ" وَالْخَيْرِ "مُصَابِيًا" بِالْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ "يَا ابْنَ حَمْدٍ" ؛ لِيَخْصَّ ابْنَ حَمْدٍ بِالذِّكْرِ تَخْفِيفًا لِأَحْزَانِهِ، وَتَنْبَهًا عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى الْأَخِيرُ مُسْتَفَادٌ مِنْ اخْتِيَارِ الشَّاعِرِ لِلأَدَاةِ (يَا) الَّتِي هِيَ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ مِمَّا يُوحِي بِبُعْدِ مَنْزِلَةِ ابْنِ حَمْدٍ.

٥ - الِاعْتِرَاضُ بَيْنَ الْفَعْلِ وَتَعَلُّقِهِ :

يَقُولُ الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :^(٢)
لَا تَفْخَرُوا - قَطُّ - بِشَيْءٍ فَمَا تَرَكْتُمْ فِينَا لَكُمْ مَفْخَرًا

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ مَهَاجَةِ الْأُمَوِيِّينَ وَذَمِّهِمْ، وَمِنْ ثَمَّ فَالشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ يَخَاطِبُ بَنِي أُمَيَّةٍ مُحَقَّرًا لَهُمْ، نَاهِيًا إِيَّاهُمْ عَنِ التَّفَاخُرِ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُخَلِّفُوا وَرَاءَهُمْ مَا بِهِ يَتَفَاخَرُونَ.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ الْفَعْلِ فِي قَوْلِهِ "لَا تَفْخَرُوا" وَتَعَلُّقِهِ مُرَكَّبِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ "بِشَيْءٍ" بِكَلِمَةِ "قَطُّ" الَّتِي هِيَ ظَرْفٌ لِاسْتِغْرَاقِ الزَّمَنِ الْمَاضِي ؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا فِي مَاضِيهِمْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْافتَخَارَ، مِمَّا يُوحِي بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَنْسْتَحِقُّونَ

١ - الديوان : ٣ / ٣٧٣ (من الطويل).

٢ - الديوان : ٢ / ٤٣ (من السريع).

الخلافة التي سلبوها.

فالتركيب يفيد زيادة التنفير من أولئك القوم الذين لا فائدة فيهم، ولا نفع منهم.

ويقول المرتضى: ^(١)

لا أشبع الله من ألهوا - وما علموا - عن المعالي بإرواء وإشباع

والبيت من قصيدة يبدؤها المرتضى بسياق يشكو فيه إلى صاحبه من الزمان الذي أذله وأهانته وجعله يقيم على كثره بين قوم يكلفونه مالا قدرة له عليه. ويخبر بأن الخير في الرحيل عن هذا البلد إلى بلد آخر حيث العزة والكرامة، وذلك في ثلاثة وعشرين بيتاً.

ثم ينتقل المرتضى في عشرة أبيات تالية إلى سياق آخر، يدعو فيه على الكسالى الذين يتقاعسون عن طلب المعالي، ويقسم بأنه سيسفك الدماء من أجل المجد والعلاء. وهذا هو سياق بيت الشاهد.

ثم ينتقل المرتضى أخيراً إلى سياق يحذر فيه الأعداء من بطشه. ويبدو لي من سياق القصيدة أن الشاعر يتحدث عن ضياع الخلافة وتقاعس الشيعة عن استردادها، وأنه لا بد من الأخذ بالثأر من الأعداء.

وإذا تأملنا البيت السابق في إطار قصيدته التي ورد فيها نقول: إن الشاعر يدعو على الذين أغفلوا سبل المعالي / مناصرة آل البيت واهتموا بالطعام والشراب، يدعو عليهم ألا ينالوا مبتغاهم في هذه الحياة.

وقد اعترض المرتضى بين الفعل في قوله "ألهوا" ومتعلقه مركب الجار والمجرور "عن

المعالي" بالمركب الفعلي المنفي "وما علموا"؛ لينبه على أنهم جاهلون لا يعلمون أنه.

خير من السدل في قصر تمارقه مبنوثة منزل للعز في قاع ^(٢)

1- الديوان: ٢ / ٢٣٤ (من البسيط).

2- الديوان: ٢ / ٢٣٤ (البسيط).

وأنهم لو عَلِمُوا ذَلِكَ لَسَعَوْا فِي طَلَبِ الْعِزِّ وَالْعُلَا.

٦ - بين المعطوف والمعطوف عليه :

ومن مقطوعة في النَّسِيبِ، يقول المرتضى :^(١)

مَا ضَرَّ مَنْ لِلنَّوَى زُمْتُ رَكَائِبُهُ لَوْ جَادَ لِي سَاعَةُ التَّوَدُّيعِ بِالنَّظَرِ؟

رَمَيْتُمُ الْقَلْبَ مِنِّي بِالْوَجِيبِ - وقد فارقتموني - والعينين بالسَّهَرِ

والشاعر في البيت الأول يتحدث عن محبوبه / الخلافة مُسْتَكْرِراً رَحِيلَهَا عَنْهُ دُونَ

أَنْ تَلْتَفَتْ إِلَيْهِ لِتَوَدِّعِهِ أَى التَّفَاتِ، فَقَدْ كَانَ يُؤْمَلُ أَنْ تَجُودَ عَلَيْهِ بِنَظَرَةٍ. وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ.

ثُمَّ هُوَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يَتَحَدَّثُ إِلَى مَحْبُوبِهِ / الْخَلَاْفَةِ مُسْتَعْطِفًا لَهَا، فَهِيَ قَدْ

أَصَابَتْ قَلْبَهُ بِالْاضْطِرَابِ وَالْحَقَقَانِ، وَأَبْعَدَتْ النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ فَعَدَا سَهْرًا. وَقَدْ

اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ " الْقَلْبِ " وَالْمَعْطُوفِ " الْعَيْنَيْنِ "

بِالْمُرْكَبِ الْفِعْلِيِّ الْمَسْبُوقِ بِقَدِ التَّحْقِيقِيَّةِ " وَقَدْ فَارَقْتُمُونِي " ؛ لِيُنَبِّهَ الْمُتَلَقِّي وَيؤكد لَهُ أَنَّ

مَا حَدَثَ لِلشَّاعِرِ مِنْ اضْطِرَابٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَالَ فِرَاقِ الْأَحْبَابِ / الْخَلَاْفَةِ.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ الْمُرْتَضَى :^(٢)

فَلَنَّا بِالطُّفُوفِ قَتْلَى - وَلَا ذَنْبَ بَ سُوَى الْبَغْيِ مِنْ عِدَى - وَأَسَارَى^(٣)

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى إِلَى صَاحِبِهِ رَاجِعًا مِنْهُ أَنَّ

يُعَرَّجُ بِأَرْضِ الطُّفُوفِ بِكَرْبَلَاءَ بِأَكْيَا آلِ الْبَيْتِ مَنْ كَانُوا سَبِيًّا فِي سَعَادَةِ الشَّاعِرِ

وَهَنَائِهِ. فَهُمْ قَدْ قُتِلُوا بِأَرْضِ الطُّفُوفِ وَأُسِرُوا.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ " قَتْلَى " وَالْمَعْطُوفِ " أَسَارَى " بِالْمُرْكَبِ

الْأَسْمِيِّ / لَا النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ وَاسْمِهَا " وَلَا ذَنْبَ سُوَى الْبَغْيِ مِنْ عِدَى " ؛ لِيَنْفِي عَنْ

1 - الديوان : ١٠١ / ٢ (من البسيط).

2 - الديوان : ٥٣ / ٢ (من الخفيف).

3 - الطُّفُوفُ : موضع مقتل الحسين وآله على أرض كربلاء.

آل البيت أن يكونوا قد اقترفوا أى ذنب من أجله يعاقبون، مُشيرًا إلى أن ما حل بهم من قتلٍ وأسيرٍ كان ظلماً من أعدائهم.

٧- الاعتراض بين القول والمقول :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ الْمُرْتَضَى :
 فَقُلْ لِبَنِي حَرْبٍ - وَفِي الْقَلْبِ مِنْهُمْ
 ظَنَنْتُمْ وَبَعْضُ الظَّنِّ عَجْزٌ وَغَفْلَةٌ
 وَهَيْهَاتَ تَأْبَى الْخَيْلُ وَالْبَيْضُ وَالْقَنَا
 دَفَائِنُ تَبْدُو عَنْ قَلِيلٍ وَتَظْهَرُ
 بِأَنَّ الَّذِي أَسْلَفْتُمْ لَيْسَ يُذَكَّرُ
 مَجَارِي دَمٍ لِلْفَاطِمِيِّينَ يُهْدَرُ

وهذه القصيدة تقع في ستة وعشرين بيتاً، يستهلها المرتضى بالقسم بالله وبالجمرات التي تُقذف في منى، ويوم عرفات، وذلك في سبعة أبيات. ويأتي جواب القسم - في البيت الثامن - مؤكداً فيه أن الدين قد أصيب بكسر لا يجبر يوم كربلاء. ثم يستأنف كلامه واصفاً حالاً لحسين ورفاقه في ذلك اليوم. فهم بين سبى يقاد بقوة الرماح، وقتيل هو بالتراب معفر، وجرحى بالرماح والسيوف، وصرعى هم للضباع والنسور طعام، ثم تأتي الأبيات السابقة، وفيها يستأنف المرتضى كلامه بالفاء مهدداً بني حرب، مخبراً إياهم بأنهم قد أخطؤا حين ظنوا بأن ما سلف منهم بالأمس يوم كربلاء سيئ، وأن دم أبناء فاطمة لن يذهب هدرًا.

وقد اعترض المرتضى في الأبيات السابقة بين القول "فقل" ومقوله، وهو قوله "ظننتم بأن الذي أسلفتم ليس يُذكر" بمركب اسمي إسنادي، وهو قوله "وفي القلب منهم دفائن تبدو عن قليل وتظهر"، وذلك ليؤكد لمتلقيه أن قلوب العلويين تمتلئ بالضغائن الدفينة لبني حرب (الأمويين) وأن ما يظهر منها إنما هو غيض من فيض.

ثم يبدأ الشاعر بعد هذا السياق في إظهار بعض دَفَائِنِهِ حَيْثُ يُوجِّهُ اللَّوْمَ إِلَى بَنِي حَرْبٍ وَيَعْنِفُهُمْ، وَيَنْذِرُهُمْ بظهور المهدي الذي يثأر منهم، فيقول خَاتِمًا قَصِيدَتَهُ : ^(١)
وَيَثْأَرُ مِنْكُمْ ثَأْرٌ طَالَ مَطْلُهُ وَقَدْ تُظْفِرُ الْإِيَّامُ مَنْ لَيْسَ يَظْفَرُ

فالقصيدة - إِذَنْ مُتَمَاسِكَةٌ مترابطةٌ تَرْكِيبيًّا ودَلَالِيًّا. وَقَدْ استطاع المرتضى بهذا الاعتراض - في سياقِهِ الذي وَرَدَ فِيهِ من القصيدة أَى بعد تصويرِهِ لما حدث لآلِ البيت - أَنْ ينقلَ مَشَاعِرَهُ لمتقلبه نحو بني حَرْبٍ بَلْ أَنْ يَصُبَّهَا صَبًّا فِيهِ.

وَمِنْ مَقْطُوعَةٍ فِي رِثَاءِ صَدِيقٍ يَقُولُ : ^(٢)

أَقُولُ - وَقَدْ عَزَّ اضْطِبَارِي - هَكَذَا أَرَادَ مَلِيكَ الْأَرْضِ أَوْ هَكَذَا قَضَى
والمرتضى في البيت السابق يُعْزِي نَفْسَهُ عِزَاءً يَفِيضُ نَدْبًا وَبِكَاءً.

ولذا فهو فيه قد اعترض بين القول "أقول" ومقوله : "هكذا أَرَادَ مَلِيكَ الْأَرْضِ" بالمركبِ الفِعْلِيِّ الْمَسْبُوقِ بِقَدِّ التَّحْقِيقِيَّةِ "وقد عَزَّ اضْطِبَارِي" ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى فِدَاخَةِ الْمَصَابِ، وَأَنَّهُ - وَإِنْ كَانَ يَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ - لَا طَاقَةَ لَهُ عَلَى تَحْمُلِهِ.

٨- الاعتراض بين خبر النَّاسِخِ واسمِهِ :

ومن قصيدة يُعْزِي فِيهَا أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ شَهْفِيرُوزَ فِي أَخِيهِ، يَقُولُ : ^(٣)
وَالْمَوْتُ دَاءٌ مَّالَهُ -عِنْدَ الْمَدَاوِي- مِنْ دَوَاءٍ
وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الشَّاعِرِ عَنْ حَتْمِيَةِ الْمَوْتِ، وَمِنْ ثَمَّ فَالشَّاعِرُ يَقَرُّ فِيهِ بِأَنَّ الْمَوْتَ دَاءٌ عِيَاءٌ لَا بُرَاءَ مِنْهُ وَلَا شِفَاءَ.

وقد اعترض المرتضى بين مُتَعَلِّقِ خَيْرِ النَّاسِخِ "لَهُ" وَاسْمِهِ "دَوَاءٌ" بالمركبِ الظَرْفِيِّ "عِنْدَ الْمَدَاوِي" ؛ لِيُؤَكِّدَ اسْتِحَالَةَ الْفِرَارِ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ لَا طِبَّ لَهُ وَلَا

1- الديوان ٢/ ٢٩.

2- الديوان ١/ ١٢ (من الطويل).

3- الديوان ١/ ٢٠ (من مجزوء الكامل).

بُرءٍ مِنْهُ. فَمَا هُوَ ذَا الطَّبِيبُ الْمُدَاوِي الَّذِي يَشْفِي مَنْ الْأَدْوَاءَ يَقِفُ أَمَامَ دَاءِ الْمَوْتِ
عَاجِزًا عَنْ فِعْلِ شَيْءٍ أَوْ شَيْءٍ.

وَفِي مَطْلَعِ مَقْطُوعَةٍ فِي الْغَزْلِ يَقُولُ: ^(١)

مَا كَانَ عِنْدِي - وَالرَّكَّابُ مُنَاخَةٌ قَبْلَ التَّفَرُّقِ - أَنَّنِي أُسْتَأَقُّ

وَالْمُرْتَضَى يُصَوِّرُ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ حَالَهُ بَعْدَ رَحِيلِ مَحْبُوبَتِهِ / الْخِلَافَةِ عَنْهُ وَيُظْهِرُ
قِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَى فِرَاقِهَا. وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يُخْبِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ أَبَدًا أَنَّ الدَّهْرَ
سَيَفْرُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ / الْخِلَافَةِ.

وَقَدْ انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَاعْتَرَضَ بَيْنَ خَيْرِ كَانَ "عِنْدِي"
وَأَسْمِهَا "أَنَّنِي أُسْتَأَقُّ". بِالْمَرْكَبِ الْأَسْمَى الْإِسْنَادِي "وَالرَّكَّابُ مُنَاخَةٌ قَبْلَ التَّفَرُّقِ"؛
لِيُنَبِّهَ الْمُتَلَقِّي عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِعْتِقَادَ كَانَ يَدُورُ بِخِلْدِهِ سَاعَةً قُرْبَ مَحْبُوبَتِهِ / الْخِلَافَةِ مِنْهُ
قَبْلَ التَّفَرُّقِ.

٩ - الْإِعْتِرَاضُ بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَيْرِ الْمُحْدُوفِ وَالْمُبْتَدَأِ الْمُؤَخَّرِ :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يَقُولُ: ^(٢)

بِالدَّارِ - ظُلُمًا - غَيْرُ سُكَّانِهَا وَقَدْ قَرَى مَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَى

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ يَقْرَى الضَّيْفَ أَيْ يُطْعِمُهُ وَيُكْرِمُهُ هُوَ صَاحِبُ الدَّارِ.

وَإِذْنُ فَقَوْلُ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ : "وَقَدْ قَرَى مَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَى" كُنَايَةٌ عَنْ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَارُوا أَصْحَابَ دَارٍ، وَكَانُوا - قَبْلًا - لَا يَمْتَلِكُونَهَا. وَالدَّارُ الَّتِي
يَتَحَدَّثُ عَنْهَا الْمُرْتَضَى - هَاهُنَا - هِيَ دَارُ الْخِلَافَةِ وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ
حَدِيثِ الْمُرْتَضَى إِلَى صَاحِبِهِ الَّذِي سَكَنَ الْقَبْرَ مَتَمْنِيًا أَنْ يَكُونَ بِجَوَارِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَدْرِكَ ثَأْرَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَيُخَفِّفُ جِرَاحَ صَدْرِهِ.

١ - الدِّيَوَانُ ٢ / ٢٩٤ (مِنَ الْكَامِلِ).

٢ - الدِّيَوَانُ ٢ / ٩٣ (مِنَ السَّرِيعِ)

والشاعرُ في البيتِ يتَوَجَّهُ بخطابهِ الشعريِّ إلى صديقهِ الذي وَارَاهُ في التُّرابِ
مُتَحَسِّرًا عَلَى ضِيَاعِ دَارِ الخِلافةِ، ومُقرِّرًا لَهُ أَنَّ الأعداءَ قَدْ اغْتَصَبُوهَا، وَصَارَتْ لَهُمْ،
وكانت - قَبْلًا - لِغَيْرِهِمْ.

وقَدْ اعْتَرَضَ المُرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الخَيْرِ المَحْذُوفِ "بالدار"، والمبتدأِ المؤخَّرِ "غيرُ
سكانها" بالمفعولِ لأَجْلِهِ "ظلمًا"؛ ليؤكدَ أَنَّهُ لا حَقَّ للأعداءِ في دارِ الخِلافةِ التي
اغْتَصَبُوهَا، وأنَّ استيلاءَهُمْ عليها كان ظلمًا منهم لآلِ البيتِ؛ لأنها حَقُّهُمْ
المنصوصُ عليه قرآنًا وحديثًا شريفًا على حَدِّ زَعْمِ الشَّيْعَةِ.
ومن قصيدةٍ في الافتخارِ، يقولُ: ^(١)

وَلَنَا - يَعْلَمُ الأَنَامُ - قَنَاءٌ لَيْسَ فِيهَا لِعَاجِيزِهَا صُدُوعٌ

وقد وَرَدَ البيتُ في سياقِ فخرِ المرتضى بقوةِ قومه. وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ في البيتِ السابقِ
يؤكدُ باسمِهِ الجملة - أنهم يمتلكون رُحْمًا صُلْبًا لا يتصدَّعُ عند الحربِ. وذلك كنايةٌ
عن قوتهم وبأسهم في الحروبِ.

وقَدْ اعْتَرَضَ المُرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الخَيْرِ المَحْذُوفِ "لنا"، والمبتدأِ المؤخَّرِ "قَنَاءٌ"
بالمُرْكَبِ الفِعْلِيِّ "يَعْلَمُ الأَنَامُ"؛ ليشيرَ إلى أَنَّ هذه القُوَّةَ التي ذَكَرَهَا لقومه ليستْ
شيئًا يَدَّعِيهِ لَهُمْ، بَلْ هِيَ شَيْءٌ مُقرَّرٌ لقبيلتهِ العظيمةِ قد عَلِمَهَا النَّاسُ جميعًا؛ وذلك
مما يرهَبُ الأعداءَ.

وفي مطلعِ قصيدةٍ يُعزِّي فيها الخليفةَ القادرَ العباسيَّ يقولُ المُرْتَضَى: ^(٢)
مَا فِي السُّلُوكِ لَنَا نَصِيبٌ يُطْلَبُ الحزنُ أَقْهَرُ والمصيبةُ أَغْلَبُ
لَكَ - يَا رَزِيَّةُ - فِي فُؤَادِي زَفَرَةٌ لا تُسْتَطَاعُ وَمِنْ جُفُونِي صَيِّبُ
والشاعرُ في البيتِ الأولِ يُقرِّرُ بأنَّهم لَنْ يَسْتَطِيعُوا النُّسيانَ؛ لأنَّ المصيبةَ التي

1 - الديوان ٢٠٣/٢ (من الخفيف).

2 - الديوان : ٤٧/١ (من الكامل).

حَلَّتْ بِهِمْ أَغْظَمُ مَنْ أَنْ تُنْسَى. وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي يُوكَدُ - بِاسْمِيَةِ الْجُمْلَةِ - أَنَّهَا مَصِيبَةٌ لَا تُحْتَمَلُ وَأَنَّهُ سَيَذْرِفُ عَلَيْهَا الدَّمْعَ مِذْرَارًا.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَيْرِ الْمُحْذَوْفِ "لَكَ" وَالْمُبْتَدِئِ الْمُؤَخَّرِ "زَفْرَةٌ" بِجُمْلَةِ النَّدَاءِ "يَا رَزِيَّةً". فَقَالَ "لَكَ" - يَا رَزِيَّةً - زَفْرَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ "مُخَاطَبًا الرَّزِيَّةَ، وَكَأَنَّهَا - وَهِيَ شَيْءٌ مَعْنَوِيٌّ لَا يَرَى - حَاضِرَةٌ أَمَامَهُ يَرَاهَا بِعَيْنَيْهِ وَيُحَادِثُهَا، مِمَّا يُوحِي بِأَنَّ الْمَصِيبَةَ عَظِيمَةً، حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِ - مِنْ عِظَمِهَا أَنَّهَا قَدْ صَارَتْ شَيْئًا مُجَسَّدًا مُحَسَّنًا يَرَاهُ بِعَيْنَيْهِ، فَمَضَى يُخَاطِبُهَا مَقْرَأًا لَهَا أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَاجِزًا أَمَامَهَا، وَأَنَّهُ لَا رَادَّ لَهَا.

وَفِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي الْغَزْلِ يَقُولُ: ^(١)

مِنَّا الْوَصَالُ وَمِنْكُمْ الْهَجْرُ وَعَلَى إِسَاءَتِكُمْ بِنَا الشُّكْرُ
وَلِكُلِّ مَنْ أَسْدَى الْجَمِيلَ سَوَى مُسْدَى الْجَمِيلِ إِلَيْكُمْ - أَجْرُ

وَالشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَتَحَدَّثُ عَنْ بُخْلِ صَاحِبَتِهِ / الْخِلَافَةِ بِالْوَصَالِ، فَيُوكَدُ لَهَا مُسْتَعِظًا أَنَّهُ يُوَاصِلُهَا وَهِيَ تَهْجُرُهُ، وَأَنَّهُ يَشْكُرُهَا عَلَى إِسَاءَتِهَا بِهِ، كَمَا يُوكَدُ لَهَا أَنَّ مَنْ يُقَدِّمُ مَعْرُوفًا لِأَحَدٍ يَجْزِيهِ عَلَى مَعْرُوفِهِ.

وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَيْرِ الْمُحْذَوْفِ "لِكُلِّ مَنْ أَسْدَى الْجَمِيلَ" وَالْمُبْتَدِئِ الْمُؤَخَّرِ "أَجْرُ" بِالْمَرْكَبِ الْإِضَافِيِّ / الْإِسْتِثْنَاءِ "سَوَى مُسْدَى الْجَمِيلِ إِلَيْكُمْ"؛ لِئِنَّهُ صَاحِبَتَهُ عَلَى أَنَّهَا تُخْتَلِفُ عَنِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَأَنَّهَا تَلْتَزِمُ سُلُوكًا لَا يَلْتَزِمُهُ أَحَدٌ لَعَلَّهَا تَرْجِعُ عَنْ غِيَّهَا. فَالنَّاسُ يُكَافِئُونَ مَنْ يُحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ أَمَّا هِيَ فَلَا تَجْزِي مَنْ يُقَدِّمُ لَهَا جَمِيلًا.

١٠ - بَيْنَ الصُّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ يُرَدُّ بِهَا عَلَى قَصِيدَةِ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى بْنِ خَلْفٍ، يَقُولُ: ^(٢)

١ - الديوان ٢ / ٥ (من الكامل).

٢ - الديوان ٢ / ٧٤ (من الكامل).

هل تذكرون - فإننى لم أنسه - ذاك التَّدَانِي في الزَّمانِ العَابِر؟
 إِذْ نَحْنُ فِي أَرْضِ التَّصَابِي جِزْرَةً فِي ظِلِّ أَيَّامٍ - هُنَاكَ - نَضَائِرِ
 وَقَدْ وَرَدَ البيتانِ في سياقِ تذكُرِ المرتضى لأيامِ الوصالِ التى كانتَ بَيْنَهُ وبينَ
 صديقِهِ. وهو في البيتينِ يقررُ أَنَّ صديقَهُ ما زالَ يذكُرُ الأيامَ السالفةَ الجميلةَ / أيامَ
 القربِ والوصالِ التى لم يَنْسَهَا الشاعرُ. فقد كَانَا - وهما صَبِيَّانِ - مُتَجَاوِرَيْنِ.
 وَقَدْ اعترضَ المرتضى بين الصفةِ "نَضَائِرِ" والموصوفِ "أيامٍ" باسمِ الإشارةِ
 "هناك" الذى يشيرُ إلى المكانِ الذى يجمعُ المرتضى بصديقِهِ ؛ وذلكَ لِيُنْبِئَهُ على مَدَى حُبِّهِ
 لهذا المكانِ، وأنه عزيزٌ عليه. فهو دائماً ما يحنُّ إِلَيْهِ وَيَذْكُرُهُ طالما ذَكَرَ أَيَّامَ الوصالِ.

وفي مطلع قصيدة في الفخر، يقولُ المرتضى: ^(١)
 قَدْ كَانَ يُدْرِكُ عِنْدَكُنَّ السُّوْلُ . فَالآنَ لَا وَضْلٌ وَلَا تَغْلِيْلُ
 لَيْلِي - وَأَنْتُمْ نُزْحٌ بِمُحَجَّرٍ - لَيْلٌ - كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ - طَوِيلُ
 والشاعرُ في البيتِ الأولِ يتحدثُ عن علاقَتِهِ بمحبوبَتِهِ / الخلافةِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ
 قَائِمَةً في الماضى على الوصالِ ثم تحولتِ الحَبِيبَةُ / الخلافةُ - بَعْدُ - إلى الصَّدِّ
 والاجْتِنَابِ دونَ ذِكْرِهَا للأسبابِ. أما في البيتِ الثانى فنراه يخبرُ متألماً بطولِ لَيْلِهِ يومَ
 رحيلِ محبوبَتِهِ / الخلافةِ.

ولذا فقد اعترضَ المرتضى في البيتِ الثانى بين الموصوفِ "ليل" والصفةِ "طَوِيلُ"
 بمركبِ الجارِّ والمجرورِ "كما شاءَ الغرامُ" رَغْبَةً منه في وَصْفِ حَالَتِهِ في تلكَ الليلةِ. فقد
 قَضَى الشاعرُ لَيْلَتَهُ مُسَهَّداً أَرْقَا ؛ إِذْ إِنَّ لَيْلَ الْعُشَّاقِ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - لَيْلٌ يَمْلَأُهَا أَلَمٌ.
 ١١ - الاعتراضُ بَيْنَ الفعلِ والمفعولِ المُطْلَقِ :

يقولُ المرتضى في النَّسِيبِ : ^(٢)

١ - الديوان ٣ / ٣١ (من الكامل).

٢ - الديوان ١ / ٢٩٤ (من الطويل).

صَدَدَتْ - بلا جُرم - صُدُودَ قَطِيعَةٍ وَعِنْدَكَ أَنَّى لَا أَجَازِيكَ بِالصَّدِّ
وَعَرَّكَ أَنَّى فِي إِسَارٍ مِنَ الْهَوَى وَكَمْ فَلَتَ الْمَاسُورُ مِنْ حَلَقِ الْقِدِّ
فَلَا تَطْلُبْنِي مَا لَيْسَ عِنْدِي تَعْتُسًا سَيَكْفِيكَ مِنِّي - لَوْ تَأَمَّلْتَ - مَا عِنْدِي

وهذه مقطوعةٌ يتوجه فيها المرتضى بخطابه الشعرى إلى صاحبتِهِ / الخلافةِ التى انصرفت عنه، وبانت منه وثقةٌ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يبتعدَ عنها ؛ لأنه - فى ظَنِّهَا - قد وَقَعَ فى شَرِكِ الْهَوَى، وأصبح مُكَبَّلًا بِقِيودِهِ ؛ ولذا فهو يخبرُهَا بِأَنَّهَا مُخْطِئَةٌ فى ظَنِّهَا، وَأَنَّهُ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَفْلِتَ مِنْ قِيودِ هَوَاهَا.

ولو اقتصر المرتضى على هذا القولِ لكفى، ولما أتى بالاعتراضين فى البيتِ الأولِ والثالثِ . . لكنه انحرفَ عن ذلك، وَاَعْتَرَضَ فى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ المطلقِ بِمَرْكَبِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، فقال : " صَدَدَتْ - بلا جُرم - صُدُودَ قَطِيعَةٍ " ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّهَا مُخْطِئَةٌ فى صَدِّهَا، وَلَا مُبَرَّرٌ لِفِعْلِهَا، فَهُوَ لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْبًا تَعَاقِبُهُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ اعْتَرَضَ المرتضى فى الْبَيْتِ الثَّالِثِ بِالْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، فقال : " سَيَكْفِيكَ مِنِّي - لَوْ تَأَمَّلْتَ - مَا عِنْدِي " ؛ لِيُؤَكِّدَ الْمَعْنَى الْمَفَادَ مِنَ الْاعْتِرَاضِ فى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ أَنَّهَا (الْمَحْبُوبَةُ / الْخَلَافَةُ) مُخْطِئَةٌ فِيمَا فَعَلَتْ وَأَنَّهَا لَمْ تُعْمَلْ عَقْلُهَا، وَلَمْ تَتَدَبَّرْ أَمْرَهَا، فَهِيَ إِنْ اخْتَكَمَتْ إِلَى الْعَقْلِ لَفَازَتْ بِقُرْبِهِ، وَهَنَتْ بِوَضْلِهِ.

١٢ - بَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ :

وَفِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ يَرِثُنِي بِهَا جَدُّهُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يَقُولُ : ^(١)
عَرِّجْ عَلَى الدَّرَاسَةِ الْقَفْرِ وَمُرْ دَمُوعَ الْعَيْنِ أَنْ تَجْرِي
فَلَوْ نَهَيْتُ الدَّمَاعَ عَنْ سَحِّهِ - وَالِدَارُ وَحْشٌ - لَمْ تُطِغْ أَمْرِي
وَالمرتضى فى هذا المطلعِ يَطْلُبُ مِنْ صَاحِبِهِ أَنْ يَمُرَّ عَلَى دِيَارِ الْأَحِبَةِ ذَارِفًا الدَّمَاعَ

١ - الديوان ٩٢ / ٢ (من السريع).

دُونَ تَوَقُّفٍ، وَيُخْبِرُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ حَالُهُ أَيْضًا، وَأَنَّ دَمْعَهُ يَنْهَمِلُ مُتَتِنِعًا عَنِ التَّوَقُّفِ.

وقد اعترض الشاعرُ بينَ فعلِ الشرطِ "نَهَيْتُ الدَّمَعَ عَنْ سَحِّهِ" وجوابِ الشرطِ "لم تُطِعْ أَمْرِي" بالمركبِ الاسميِّ الإسناديِّ "والدارُ وحشٌ"؛ ليشيرَ إلى أَنَّهُ سيستمرُّ في البكاءِ على هذه الديارِ الَّتِي طالَما رَحَلَ عَنْهَا أَهْلُهَا فَخَرِبَتْ وَذَلِكَ مما يوحى لمتلقيه بأنَّ عينَهُ ستكفُّ عن الدَّمَعِ عندما يعودُ الرَّاحِلُونَ / آل البيتِ إلى أوطانِهِم / الخلافةِ، وتُعمَّرُ دُورُهُم.

وفي مطلعِ قصيدةٍ في النَّسِيبِ يقولُ :^(١)

حَمَلْتُمْ - كَمَا شِئْتُمْ - عَلَى كَاهِلِي وَأَرْشَدْتُمْ نَارَ الْغَرَامِ إِلَى قَلْبِي

وَلَمَّا دَخَلْتُمْ بِالْهَوَى فِي جَوَانِحِي - بِمَا جَنَّتِ الْعَيْنَانِ - لَأَنَّ لَكُمْ صَعْبِي

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتَانِ فِي سِيَاقِ مَخَاطَبَةِ الشَّاعِرِ لِمُحِبِّبَتِهِ / الْخِلَافَةِ حَائِثًا لَهَا عَلَى حُبِّهِ، مُخْبِرًا إِيَّاهَا بِأَنَّهُ قَدْ تَحَمَّلَ الْكَثِيرَ فِي هَوَاهَا، وَأَنَّ قَلْبَهُ قَدْ اِكْتَوَى بِنَارِ حُبِّهَا، وَأَنَّهُ أَضْبَحَ سَهْلَ الْقِيَادِ لَهَا.

وقد اعترضَ المُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْهَا بَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ "دَخَلْتُمْ بِالْهَوَى فِي

جَوَانِحِي" وَجَوَابِهِ "لَأَنَّ لَكُمْ صَعْبِي" بِمُرَكَّبِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ "بِمَا جَنَّتِ الْعَيْنَانِ"؛ ليشيرَ إلى سببِ حُبِّهِ، وَأَنَّهُ كَانَ بِنَظَرَةٍ مِنْ عَيْنِهِ.

ومن قصيدةٍ في الشَّيْبِ، يقولُ :^(٢)

وَلَا تَطْلُبِي شَيْئًا يَكُونُ طِلَابُهُ - وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ رَائِدُوه - عَنَاءَ

فِيَانِكَ إِنْ نَادَيْتِ غِبَّ تَلْهَيْفِ شَبَابَا - وَقَدْ وَلَّى - أَضْعَفَتْ نِيدَاءَ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتَانِ السَّابِقَانِ فِي سِيَاقِ مَخَاطَبَةِ الْمُرْتَضَى صَاحِبَتَهُ / الْخِلَافَةِ الَّتِي تَأْبَى

الشَّيْبَ / الضَّعْفَ مِنْهُ، وَتَطْلُبُ الشَّبَابَ / الْقُوَّةَ، مُيَسِّسًا لَهَا مِنْ عَوْدَتِهِ (الشَّبَابِ)

1 - الديوان ١ / ١١٨ (من الطويل).

2 - الديوان ١ / ١٨ (من الطويل).

إليه مُحْجَرًا إِيَّاهَا بَأَنَّهُ لَا طَائِلَ مِنْ وَرَاءِ طَلَبِهَا وَقَدْ اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى بَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ " نَادَيْتِ شَبَابًا " وَجَوَابِهِ " أَضَعْتُ نِدَاءً " بِالْمُرَكَّبِ الْفَعْلِيِّ " وَقَدْ وَلَّى " ؛ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ عَدَمَ تَلْبِيَةِ الشَّبَابِ / الْقُوَّةِ لِطَلَبِهَا وَمَثُولِهِ بَيْنَ يَدَيْهَا لَيْسَ فِي كُلِّ حَالٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي حَالٍ مُضِيِّهِ وَذَهَابِهِ فَحَسَبُ.

١٣ - بين الصلة والموصول :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ : ^(١)

يَا آلَ أَحْمَدَ وَالذِي ————— نَ - غَدًا - بِحُبِّهِمْ نَجَاتِي

وقد وردَ هذا البيتُ في سياقِ مخاطبةِ الشاعرِ آلَ البيتِ ووصفِهم بأنَّهم سَيَشْفَعُونَ لِمَنْ يُحِبُّونَهُمْ. وقد اعترضَ الشاعرُ بَيْنَ الاسمِ الموصولِ "الذين" وصلتهِ " بِحُبِّهِمْ نَجَاتِي " بِالظرفِ " غدا " ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الشِّفَاعَةَ سَتَكُونُ - لَا مُحَالَةً - فِي الْغَدِ أَى فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فالتركيبُ السابقُ يشيرُ إلى مَا زَعَمَهُ الشَّيْعَةُ ودَعَائِهِمْ مِنْ أَنَّ آلَ البيتِ (العلويين) بِيَدِهِمُ النَّجَاةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فـ "لَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْغُلُوُّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنْ يَصِفُوهُ بِأَنَّهُ عَيْنُ الْإِلَهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ - وَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِعِلْمِ الْغَيْبِ وَلَا تَخْفَى عَنْهُ خَافِيَةٌ وَأَنَّهُ عِلَّةُ إِيجَادِ الْكَائِنَاتِ، وَأَنَّهُ بِيَدِهِ النَّجَاةُ، وَرَمَى أَعْدَائِهِ فِي النَّارِ " ^(٢)

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ أُمِّ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ : ^(٣)

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ الْفِرَاقِ أَهَابُهُ كَمَا هَابَ ظُلْمَانُ الْبَصْرِ رِيْمَةً أَشَدَّهَا

1 - الديوان ١ / ١٤٦ (من مجزوء الكامل).

2 - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين، الخوارج - الإباضية - الشيعة - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م - ص ١٧٧ .

3 - الديوان ١ / ٢٤٨ (من الطويل).

وَأُشْفِقُ مِمَّا - لا محالة - واقعٌ وهل للمنايا قادرٌ أن يرُدَّهَا

وقد وردَ البيتانِ السابقانِ في سياقِ نَدْبِ المرتضى زَوْجَتَهُ نَدْبًا كُلَّهُ صَرَاحٌ وَعَوِيلٌ. والشاعرُ في البيتينِ يؤكدُ أَنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّعُ الْفِرَاقَ وَيَخْشَاهُ خَشْيَةً النَّعَامِ لِلْأَسَدِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ الْمَوْتَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَيْ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الاسمِ الموصولِ "ما" وصلتهِ "واقع" بالمركبِ الاسميِّ / لا النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ وَاسْمِهَا "لا محالة" ؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْمَوْتَ لَا مَهْرَبَ مِنْهُ وَلَا مَقَرَّ فَهُوَ لَا شَكَّ وَاقِعٌ.

١٤ - الاعتراض بين الحال وصاحبها :

ومن قصيدة قصيرة في الغزل، يقول المرتضى :^(١)

ثُمَّ وَلَّى - كَمَا أَتَى - أَرَجَ الْأَخْبَارِ - بَارٍ فِي النَّاسِ طَيِّبَ الْأَثْوَابِ.

والمرتضى في القصيدة يَصِفُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ الْحُبِّ وَاللِّقَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ، يَنْتُمُ عَنْ عَفْثِهِمَا وَيَنْبِئُ عَنْ طَهْرِهِمَا. فَاَلْمَحْبُوبُ قَدْ أَتَاهُ لَيْلًا وَبَاتَ مَعَهُ، عَلَى أَنَّهَا لَمْ يَأْتِيَا بِمُنْكَرٍ، فَهُمَا لَمْ يَفْعَلَا سُوءًا، وَلَمْ يُصِيبَا قَبِيحًا، فَقَدْ كَانَتْ خَشْيَةُ اللَّهِ حَائِلًا بَيْنَ الْمُحِبِّينِ وَفَعَلِ الْقَبِيحِ.

والمرتضى في البيتِ السابقِ يخبرُ بأنَّ مَحْبُوبَهُ قَدْ انْصَرَفَ عَنْهُ - بَعْدَ أَنْ قَضَى اللَّيْلَ مَعَهُ - وَسِيرَتُهُ عَطِرَةٌ، وَعِرْضُهُ طَاهِرٌ لَمْ يُدْنَسْ.

ولو اقْتَصَرَ الْمُرتَضَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لَكَفَى، وَلَمَّا أَتَى بِالْاِعْتِرَاضِ بَيْنَ الْحَالِ "أَرَجَ الْأَخْبَارِ" وَصَاحِبِهَا الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي الْفِعْلِ "وَلَّى" الْعَائِدِ عَلَى الْمَحْبُوبِ. وَلَكِنَّهُ اِعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا بِالْمَرْكَبِ الْإِضَافِيِّ "كَمَا أَتَى"^(٢)، فَقَالَ : "ثُمَّ وَلَّى - كَمَا أَتَى - أَرَجَ

١ - الديوان ١ / ٧٦ (من الخفيف).

٢ - الكاف : اسمٌ بمعنى (مثل) ، مبني على الفتح ، في محلِّ نصبٍ ، مفعولٌ مطلقٌ . لـ (ولَّى) نائبٌ عن المصدرِ .

الأخبار " ؛ لأنه أراد أن يُنبّه على أن محبوبه طيب السمعة، معروف بالعفة والطهر،
فهما سجيّة متأصلة فيه. فلا غرّو - إذن - من محافظته على عفته حال بياته عنده. "
وكثير من هذا الغزل العذريّ كان يصوغه العلماء والفقهاء صورةً لطهارة نفوسهم
ونقايتها وما يتجشّمون في الحب من آلام دون أن يشوب تفكيرهم شيء من الغريزة
النوعية، فقد تساموا عن الحس وكلّ ما يتصل بالحس^(١) .

وهو مضاف . و"ما" مصدرية . والمصدر المؤوّل من "ما" وما بعدها في محل جرّ ، مضاف إليه.
والتقدير : ثمّ وليّ مثل إتيانه.

1 - شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) - دار المعارف
- الطبعة الرابعة ١٩٩٦ م - ص ٦٠٥ .

الْقَصْرُ

تمهيد:

وَالْقَصْرُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْحَبْسُ ^(١) وَفِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ هُوَ "تَخْصِيصُ الْمُوصُوفِ عِنْدَ السَّامِعِ بِوَصْفِ دُونَ ثَانٍ" ^(٢) أَوْ هُوَ تَخْصِيصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِطَرِيقِ مَخْصُوصٍ، وَالشَّيْءُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُورُ "الموصوف"، والثاني هو المقصودُ عليه "الصفة"، والطريقُ المخصوصُ هو أدواتُ القصرِ، والمرادُ بتخصيصِ الشيءِ بالشيءِ إثباتُ الحكمِ للمذكورِ ونفيه عن غيره، وبهذا تكونُ جملةُ القصرِ في قُوَّةِ جملتين، ويكونُ القصرُ طريقًا من طرقِ الإيجازِ. ^(٣)

"ويجبُ أَنْ نلاحظَ أَنَّ "الحكمَ" المقصودَ هو "صفةٌ" تعملُ الصِّيَاغَةُ على إلحاقها "بموصوفٍ"، ولا نعنَى هنا الصِّفَةَ النَّحْوِيَّةَ، بل نعنَى الصِّفَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ، بل إِنَّ الْأَوَّلَى لَيْسَ لَهَا مَدْخَلٌ فِي بَنِيَةِ الْقَصْرِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَسْمُوحٍ - نَحْوِيًّا - بِالْفَصْلِ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ بِأَدَاةِ الْإِسْتِنَاءِ" ^(٤)

وَقَدْ قَيَّدَ الْبَلَاغِيُّونَ التَّخْصِيصَ بِالطَّرِيقِ الْمَخْصُوصِ "؛ لِيُخْرِجَ كُلُّ مَا أَفَادَ الْقَصْرَ بِغَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقِ الْمَخْصُوصَةِ، وَذَلِكَ نَحْوُ: مُحَمَّدٌ مَقْصُورٌ عَلَى الْعِلْمِ. . وَجَاءَ عَلَى وَحْدَةٍ. . وَزَيْدٌ يَخْتَصُّ بِقَوْلِ الشُّعْرِ. فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ - وَإِنْ أَفَادَتْ اخْتِصَاصَ شَيْءٍ بِشَيْءٍ - لَا تَدْخُلُ فِي نِطَاقِ دِرَاسَةِ الْبَلَاغِيِّينَ

1- ينظر: الزمخشري: أساس البلاغة: مادة (قصر) - ص ٥٠٩.

2- السكاكي: مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ١٦٢.

3- ينظر: عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح - ج ٢ - ص ٣.

4- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى - مرجع سابق - ص ٢٦١.

وَمِيدَانِ بَحْثِهِمْ ؛ لِأَنَّ التَّخْصِصَ فِيهَا لَمْ يَتِمَّ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَخْصُوصَةِ الَّتِي ذَكَرُوهَا .
وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ عَبْدَ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِيَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَنَاولَ بَعْضَ قِصَايَا
الْقَصْرِ وَدَلَالَاتِهِ ، وَمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي الْأُسْلُوبِ ، وَذَلِكَ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنِ الرُّبُطِ
بِـ " إِنْ " ثُمَّ حَدِيثِهِ عَنْ " إِنَّمَا " ، وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ الْمَعْنَى ، وَمَا تَشْتَرِكُ بِهِ مَعَ غَيْرِهَا ، وَمَا
تَنْفَرِدُ بِهِ كُلُّ أَدَاةٍ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَطَرَّقَ - أَيْضًا - إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْقَصْرِ بِالنَّفْيِ
وَالِاسْتِثْنَاءِ وَالْعَطْفِ ^(١) .

وَلَقَدْ فَتَحَتْ إِشَارَةُ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْبَابَ أَمَامَ مُتَأَخِّرِي الْبَلَاغِيِّينَ ، وَهُمْ قَدْ اِهْتَمُّوا
بِثَرَاتِهِ الْبَلَاغِيَّةِ ، وَعَمِدُوا إِلَى وَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ لَهُ ، وَالتَّفْرِيعِ عَلَيْهِ . وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَلَى
أَيْدِيهِمْ مُصْطَلَحَاتُ هَذَا الْمَبْحَثِ ، كَمَا تَحَدَّثَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ مُصْطَلَحَاتُ أُخْرَى .
وَالْقَصْرُ فِي الشُّعْرِ يَقُومُ عَلَى تَحْدِيدِ الْمَقْصُورِ ثُمَّ اخْتِيَارِ مَقْصُورٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدَدٍ مِنَ
الْبَدَائِلِ ؛ لِيَفِيَ بِالْمَعْنَى الَّتِي يَقْصِدُ الْمُبْدِعُ إِلَى تَصْوِيرِهِ وَهُوَ ذَاتِيٌّ ؛ يَقْصُرُ شَيْئًا عَلَى
شَيْءٍ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ لِهَدَفٍ فَنِّيٍّ ^(٢) .

وَلِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْقَصْرِ مَعْنَى وَضْعِيٌّ ، فَمَثَلًا الْقَصْرُ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ يُسْتَعْمَلُ
فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُنْكِرُهُ الْمُخَاطَبُ أَوْ يُجْهَلُهُ أَمَّا الْقَصْرُ بِـ (إِنَّمَا) فَيُسْتَعْمَلُ فِي الْأَمْرِ الْمَعْلُومِ .
وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يَنْحَرِفُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الْوَضْعِيَّ إِلَى مَعَانٍ بَدِيلَةٍ يَتَطَلَّبُهَا
السِّيَاقُ اللَّغَوِيُّ وَذَلِكَ بِاسْتِخْدَامِ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْقَصْرِ فِي سِيَاقٍ يَقْتَضِي اسْتِخْدَامَ
غَيْرِهِ ؛ لِيُقَرَّرَ دَلَالَتُ مَا كَانَتْ تُقَرَّرُ بِطَرِيقِ الْقَصْرِ الْوَضْعِيِّ .
إِذْ قَدْ يُسْتَعْمَلُ (النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ) فِي الْأَمْرِ الْمَعْلُومِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ ، كَمَا
تُسْتَعْمَلُ (إِنَّمَا) فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُنْكِرُهَا الْمُخَاطَبُ وَيَدْفَعُهَا تَنْزِيلًا لِتِلْكَ الْأُمُورِ مَنَزَلَةَ مَا
لَا يُجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يُنْكِرُهُ .

1- ينظر : دلائل الاعجاز - مرجع سابق - ص ٣١٥ : ٣٥٨ .

2- ينظر : منير سلطان : بديع التراكيب - مرجع سابق - ص ٣٢ .

القَصْرُ فِي دِيْوَانِ الشَّرِيفِ المرتضى :

وقد وردَ القَصْرُ في شعرِ المرتضى في ثمانٍ وستينَ وستمائة (٦٦٨) موضع،
وَتَنَوَّعَتْ طَرَقُهُ إِذْ جَاءَ بِطَرِيقِ النَفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ، وَبِطَرِيقِ "إِنَّمَا" وَبِطَرِيقِ العطفِ بـ "بل - لا - لكن"، كما جاءَ بِطَرِيقِ التَّقديمِ، على أَنَّ هذا الأخيرَ قَدْ تَمَّ استِبعادهُ من هذا الفَصْلِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ دُرِسَ - قَبْلًا - فِي الْفَصْلِ الْخَاصِّ بِالتَّقديمِ.
وَسَأَسْتَغْرِضُ - فِيمَا يَلِي مِنْ صَفَحَاتٍ - طُرُقَ الْقَصْرِ فِي شِعْرِ الشَّرِيفِ المرتضى
كَاشِفًا عَنْ دَلَالَتِهَا فِي إِطَارِ سِيَاقِهَا الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ.
وهذا - أَوَّلًا - جَدْوْلٌ إِحْصَائِيٌّ بِطَرِيقِ الْقَصْرِ، وَأَعْدَادٌ وَرَوِّدُهَا فِي الدِّيْوَانِ

م	طرق القصر	العدد
١	النفي والاستثناء	٥٤٨
٢	إنما	٩٥
٣	العطف بـ لكن	١٦
	العطف بـ لا	٦
		٣
المجموع		٦٦٨

أَوَّلًا: الْقَصْرُ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ :

ويقولُ في مديحِ الملكِ السَّعيدِ بهاءِ الدَّولةِ :^(١)
وَمَا الْبَلِيَّةُ إِلَّا أَنْتَنِي كَلِيفٌ بِفَارِغٍ وَفُؤَادِي مِنْهُ مَلَانٌ
وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ النَّسِيبِ، وَمِنْ ثَمَّ فَالمرتضى فِيهِ يُوَكِّدُ - خِلَالَ

١ - الديوان ٢٨٦ / ٣ (من البسيط).

أُسْلُوبِ الْقَصْرِ - أَنَّ الْمُصِيبَةَ الْحَقَّةَ بِهِ، النَّازِلَةَ عَلَيْهِ مَقْصُورَةٌ عَلَى كَوْنِهِ يَعْشَقُ مَنْ يَخْلُو قَلْبُهُ مِنْ عَشِيقِهِ، إِذْ لَا مُصِيبَةَ - عِنْدَهُ - إِلَّا هَذِي.

وَلَا يَخْفَى تَأَثُّرُ الْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ بِلُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعَانِيهِ، إِذْ هُوَ فِيهِ قَدْ وَصَفَ فَوَادَ الْحَبِيبِ بِأَنَّهُ فَارِغٌ مِنْ حُبِّهِ، وَهَذَا مِمَّا يُوْحِي بِأَنَّهُ مَلَأَنَ بِحُبِّ غَيْرِهِ، وَفِي الْقُرْآنِ قَدْ وَصَفَ الْحَقُّ (سُبْحَانَهُ) فَوَادَ أُمِّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) - حِينَ ذَهَبَ وَلَدُهَا فِي الْبَحْرِ - بِأَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ فَارِغًا، فَقَالَ تَعَالَى: "وَأَصْبَحَ فَوَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا"^(١) أَيْ فَارِغًا "مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَّا مِنْ مُوسَى"^(٢) فَهُوَ مَلَأَنَ بِحُبِّهِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: "إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ"^(٣) "أَيَّ إِن كَادَتْ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا وَحَزَنِهَا وَأَسْفِهَا لَتُظْهِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ لَهَا وَلَدٌ وَتُخْبِرُ بِحَالِهَا لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ ثَبَّتَهَا وَصَبَرَهَا"^(٤) إِذْ قَالَ تَعَالَى: "لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"^(٥)

فَالْحَبِيبُ - إِذَنْ - رَمَزٌ لِلْخِلَافَةِ الَّتِي مَلَكَتْ عَلَى الْمُرْتَضَى قَلْبُهُ، وَمَلَأَتْ أَنْحَاءَهُ، وَهِيَ فَارِغَةٌ مِنْ حُبِّهِ، إِذْ هِيَ قَدْ انشَغَلَتْ بِغَيْرِهِ أَوْ انشَغَلَ بِهَا غَيْرُهُ، وَهَذَا مِمَّا يَشْعُرُ بِمَدَى حَزَنِ الْمُرْتَضَى وَشِدَّةِ أَلَمِهِ عَلَى ضِيَاعِ حُبِّهِ، وَمَا الْبَلِيَّةُ إِلَّا أَنَّهُ كَلِفٌ بِمَنْ يَكْلَفُ غَيْرَهُ. وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ جَدِّهِ الْحَسَنِ يَقُولُ^(٦):

فَقُلْ لِبَنِي زِيَادَ وَآلِ حَرْبٍ وَمَنْ خَلَطُوا بِغَدْرِهِمْ خِلَاطَا
دِمَاؤُكُمْ لَكُمْ، وَلَهُمْ دِمَاءٌ تُرَوِّيهَا سَيُوفُكُمْ الْبَلَاطَا

١- سورة القصص: آية ١٠ .

٢- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم تصحيح نخبة من العلماء- دار المنار للنشر والبيع- القاهرة- الجزء الثالث- ص ٣٨١.

٣- سورة القصص: آية ١٠ .

٤- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم- مرجع سابق- ج ٣- ص ٣٨١ .

٥- سورة القصص: آية ١٠ .

٦- الديوان ١٧٦/٢، ١٧٧ (من الوافر).

كُلُّهَا بَعْدَ غَضَبِكُمْ عَلَيْهَا أَنْ تَهَابُوا وَازْدِرَادًا وَاسْتِرَاطًا^(١)
فَمَا قُدِّمْتُمْ إِلَّا سَفَاهَا وَلَا أُمِّرْتُمْ إِلَّا غِلَاطًا

والمرتضى في الأبيات السابقة يتحدث إلى الأمويين أولئك الذين غَدَرُوا بالعلويين، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِي الْأَبْيَاتِ يَخْبِرُهُمْ - عَلَى سَبِيلِ التَّحْزِينِ وَالتَّحْسِيرِ - بِأَنَّهُمْ قَدْ أَهْدَرُوا دِمَاءَ الْعَلَوِيِّينَ، وَسَقَوْا بِهَا الْأَرْضَ، وَدَمَاؤُهُمْ مَوْفُورَةٌ، كَمَا أَنَّهُمْ قَدْ اغْتَصَبُوا الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَهَا، إِذْ حُكِّمُوا جَهْلًا، وَأُمِّرُوا خَطَا.

فَالْقَصْرُ فِي قَوْلِهِ "فَمَا قُدِّمْتُمْ إِلَّا سَفَاهَا" يؤكدُ أَنَّ السَّبَبَ الْوَحِيدَ فِي تَقْدِيمِ الْأُمَوِيِّينَ عَلَى الْعَلَوِيِّينَ مَقْصُورٌ عَلَى الْجَهْلِ لَا يَتَعَدَاهُ إِلَى سَبَبٍ غَيْرِهِ، كَمَا أَنَّ الْقَصْرَ فِي قَوْلِهِ : "وَلَا أُمِّرْتُمْ إِلَّا غِلَاطًا" يؤكدُ - أَيْضًا - أَنَّ السَّبَبَ الْوَحِيدَ فِي حَصُولِ الْأُمَوِيِّينَ عَلَى الْخِلَافَةِ مَقْصُورٌ عَلَى الْخَطَا لَا يَتَعَدَاهُ إِلَى سَبَبٍ آخَرَ.

والمرتضى يؤكدُ هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ ؛ لِأَنَّهُمَا مُتَقَرَّرَانِ فِي نَفْسِهِ مُؤَكَّدَانِ فِي ضَمِيرِهِ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُنْزِلَ هَذَا التَّأْكِيدَ وَذَلِكَ التَّقْرِيرَ اللَّذَيْنِ فِي نَفْسِهِ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقَّى وَحِسِّهِ.

وَمِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَهَا إِلَى هَلَالِ بْنِ الْمُحَسَنِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ يَقُولُ الْمُرْتَضَى^(٢)
وَإِنَّكَ مِنْ أَنْاسٍ مَا رَأَيْنَا لَهُمْ إِلَّا الرِّيَاسَةَ وَالْجَلَالَه

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابِقُ فِي سِيَاقِ مَدْحِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ فَالْمُرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يؤكدُ أَنَّ مَمْدُوحَهُ مِنْ أَنْاسٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِلرِّيَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ.

فَالْقَصْرُ "مَا رَأَيْنَا لَهُمْ إِلَّا الرِّيَاسَةَ وَالْجَلَالَه" يؤكدُ أَنَّ عَمَلَ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ فِي الْحَيَاةِ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّيَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ لَا يَتَعَدَاهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا عَمَّا يَشِيرُ إِلَى عُلوِّ قَدْرِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ.

1 - اُزْدِرَادًا : اِئْتِلَاعًا ، وَكَذَلِكَ اسْتِرَاطًا .

2 - الدِّيوان ٦٧/٣ (من الوافر) .

ومن قصيدة في الافتخار يقول المرتضى :^(١)

وَلَقَدْ فَخَرْتُ بِمَعِشَرٍ لَّمَّا اغْتَلُّوا لَمْ يَرْتَضُوا النَّسْرَيْنِ وَالْعِوَقَا
مَلَكُوا الْفَخَارَ فَمَا تَرَى مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا افْتَخَارًا مِنْهُمْ مَسْرُوقَا

والبيتان السابقان يأتیان في سياقِ افتخارِ المرتضى بقومه، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِمَا يَقْرُرُ وَيُوكِّدُ أَنَّهُ قَدْ افْتَخَرَ بِقَوْمٍ حِينَ ارْتَقَوْا سُلَّمِ الشَّرَفِ، لَمْ يَقْنَعُوا بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ رَفْعَةً؛ وَلِذَا فَقَدْ سَدُّوا عَلَى النَّاسِ بَابَ التَّفَاخِرِ، حَتَّى إِذَا مَا افْتَخَرَ قَوْمٌ بَعْدَهُمْ سَرَقُوا مِنْ فَضَائِلِهِمْ. فَالْقَصْرُ "فَمَا تَرَى مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا افْتَخَارًا مِنْهُمْ مَسْرُوقَا" يَفِيدُ أَنَّ افْتَخَارَ غَيْرِ قَوْمِهِ مَقْصُورٌ عَلَى السَّرِقَةِ مِنْ فَضَائِلِ قَوْمِهِ وَمَآثِرِهِمْ حَتَّى لَكَأَنَّهُمْ قَدْ مَلَكُوا كُلَّ الْفَضَائِلِ وَالْمَآثِرِ، وَهَذَا مِمَّا يُشْعِرُ بِمَدَى رَفْعَةِ قَوْمِهِ وَأَحْقَقِيَّتِهِمْ بِالْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

ومن قصيدة في مدح الملك السعيد يقول المرتضى :^(٢)

شَعْرٌ تَبَدَّلَ لَوْنُهُ فَتَبَدَّلَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ شِنَاءً بِوُدَادِ
لَمْ تَجْنِهِ إِلَّا الْهَمُومُ بِمَفْرِقِي وَيُخَالُ جَاءَ بِهِ مَعَ الْمِيلَادِ

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتَانِ السَّابِقَانِ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْمُرْتَضَى عَنْ شَيْبِهِ وَانْصِرَافِ الْغَانِيَاتِ عَنْهُ، وَهُوَ فِي الْبَيْتَيْنِ يُوَكِّدُ أَنَّ تَبَدُّلَ شَعْرِ رَأْسِهِ مِنَ السَّوَادِ إِلَى الْبَيَاضِ كَانَ سَبَبًا فِي تَبَدُّلِ قُلُوبِ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْمَحَبَّةِ إِلَى الْبَغْضَاءِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْبَيَاضَ بِمَفَارِقِهِ كَانَ بِسَبَبِ الْهَمُومِ الَّتِي تَجَمَّعَتْ عَلَيْهِ.

فَالْقَصْرُ "لَمْ تَجْنِهِ إِلَّا الْهَمُومُ بِمَفْرِقِي" يُوَكِّدُ أَنَّ سَبَبَ شَيْبِهِ مَقْصُورٌ عَلَى الْهَمُومِ لَا يَتَعَدَاهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَسَبَبُ هَذِهِ الْهَمُومِ - كَمَا قُلْتُ قَبْلًا^(٣) - هُوَ تَذَكُّرُ مَا حَدَثَ لِآلِ الْبَيْتِ. وَالْجُمْلَةُ الْأَسْتِثْنَائِيَّةُ "وَيُخَالُ جَاءَ بِهِ مَعَ الْمِيلَادِ" تُوَكِّدُ ذَلِكَ، إِذْ قَدْ وُلِدَ الْمُرْتَضَى فَوَجَدَ آلَ الْبَيْتِ مُشَرَّدِينَ، وَحَقَّقَهُمْ فِي الْخِلَافَةِ مُغْتَصَبًا، فَتَجَمَّعَتْ عَلَيْهِ

1- الديوان : ٣٢٢ / ٢ (من الكامل) .

2- الديوان ٢٦١ / ١ (من الكامل) .

3- ينظر : ص ١٢ ، ص ١٩ ، ص ٨٢ من هذا البحث .

الهموم منذ مولده وشاب رأسه ولات حين مئيب.

ومن قصيدة في مديح الخليفة والقادر حين ولي الخلافة يقول :^(١)
والبيض تعلم أنّها ما جردت بيدك إلا من حشاشة معتد
والمرتضى في البيت السابق يخاطب ممدوحه مؤكداً أن السيوف اللامعة تعلم أن
مهمتها بين يدي ممدوحه قبض أرواح المعتدين.

فالقصر "ما جردت بيدك إلا من حشاشة معتد" يظهر قوة ممدوحه وبأسه في
الحروب، إذ يؤكد أن السيف في يديه مقصور على قبض أرواح الأعداء لا يتعداه إلى غيره.
ومن قصيدة في الشيب، يقول :^(٢)

وقد كنت ممن يشهد الحرب مرة
إلى أن علا هذا المشيب مفارقني
ويرمى بأطراف الرماح كما يرمى
ولم يدعني الأقوام إلا إلى السلم

والمرتضى في البيتين السابقين يخبر بأنه كان في حال شبابه يشهد الحرب
ويرمى أعداءه بأطراف الرماح كما يرمى هو بها ثم صار بشيبه لا يطلب للحرب
ولما هو يدعى إلى السلم فحسب.

فالقصر "ولم يدعني الأقوام إلا إلى السلم" يفيد أن حاجة قومه إليه ودعوتهم له
أصبحت مقصورة على السلم لا تتعداه إلى شيء غيره، وهذا مما يشعر بمدى حزن
المرتضى وألمه؛ إذ إنه لن يقدر على تحقيق حلمه، فقد سلبت الخلافة من العلويين
بحد السيف ولن تعود إليهم إلا بحد السيف، وقد أصبح المرتضى ضعيفاً عاجزاً لا
يقوى على الحرب ومنازلة الأعداء وصار لا يدعى إلا إلى السلم.
يقول المرتضى من قصيدة في مديح الملك جلال الدولة :^(٣)

1- الديوان ١/ ٢٥٤ (من الكامل).

2- الديوان : ٣/ ٢٣٠ (من الطويل).

3- الديوان ٣/ ١٩٦ (من الطويل).

تَصُدِّينَ عَنَّا سَاهِرَاتٍ عُيُونُنَا وَمَا زُرْتَنَا إِلَّا وَنَحْنُ نِيَامُ
والمرتضى في البيت السابق يخاطب محبوبته / الخلافة مُسْتَعِطْفًا ؛ إذ هي تَنْفِرُ مِنْهُ
في حال اليَقَظَةِ، وَلَا تَزُورُهُ إِلَّا في المنام.

فالقصرُ في البيتِ بالنفَى والاستثناء " وَمَا زُرْتَنَا إِلَّا وَنَحْنُ نِيَامُ " يؤكدُ أنَّ زيارةَ
المحبوبة لهُم كانت مقصورةً على سَاعَةٍ نَوْمِهِمْ لا تتعداها إلى غيرها، وذلك مما يوحى
- كما ذكرت قبلاً - بأنَّ هذه المحبوبة لَيْسَتْ محبوبةً حقيقيةً وإنما هي رمزٌ للخلافة
الإسلامية المسلوكة من العلويين والتي لا تَزُورُهُمْ إِلَّا في الحَيَالِ.

ومن قصيدة في الشَّيْبِ، يقولُ: ^(١)

فَلَا تَنْفِرِي يَا نَفْسُ يَوْمًا مِنَ الرَّدَى فَمَا أَنْتِ إِلَّا فِي طَرِيقٍ مِنَ الرَّدَى.

والمرتضى في البيت السابق يخاطبُ نَفْسَهُ نَاهِيًا إِيَّاهَا عن النفورِ من الموتِ قاصرًا
سَيْرَهَا على طريقِ الرَّدَى لا تتعداهُ إلى غيره، إذ يقولُ: " فَمَا أَنْتِ إِلَّا فِي طَرِيقٍ مِنَ الرَّدَى "
فالمرتضى يؤكدُ لِنَفْسِهِ - خِلَالِ القصرِ بالنفَى والاستثناء - أنه لا محالة مَيِّتٌ ؛
وذلك ليحثَّ نَفْسَهُ ويدعوها إلى تَقَبُّلِ أَمْرِ الموتِ الذي لا شَكَّ مُقْبِلٌ.

كما يكشفُ القصرُ عن تَأَثُّرِ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ في قوله ^(٢) " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ "

يقولُ المرتضى في مطلع قصيدة في العتابِ: ^(٣)

أَجِيرْتَنَا لَا جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَنَا فَمَا أَنْتُمْ إِلَّا الذُّنَابُ الْأَطَالِسُ ^(٤)

وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا سَرَابٌ بِقِيَعَةٍ تُغَرُّ بِرُؤْيَاهُ الظُّمَاءُ الْخَوَامِسُ ^(٥)

1- الديوان ١/ ٢٤٧ (من الطويل).

2 سورة الأنبياء : آية ٣٥ .

3- الديوان : ٢ / ١٢٠ (من الطويل).

4- الأطالس : جمع أطلس وهو مغبر اللون.

5- الخوامس : الإبل التي رعت ثلاثة أيام ووردت الرابع.

ما أنتم فيما رجاكم - وما ذرى - لمنفعة إلا الطلـول الدوارس
بذلت لكم منى الوداد تكرماً وما فيكم إلا الذى هو شامس

والآيات السابقة تأتى فى سياق عتاب المرتضى لجيرانه وذمهم، ومن ثم فقد
استخدم القصر بالنفى والاستثناء فيها أربع مرات ؛ ليؤكد لهم أنهم ما هم إلا
ذئاب، وأنهم لا نفع يرجى منهم ولا ضحبة تبتغى فيهم.

فالنفى والاستثناء فى الآيات يكشف عن عتاب عنيف لأولئك الجيران مضمّن
بالتوبيخ والتأنيب.

وقد كشف التركيب " وما أنتم إلا سراب بقية " عن تأثير المرتضى بالقرآن
الكريم فى قوله تعالى " والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى
إذا جاءه لم يجد شئاً " (١)

يقول من قصيدة كتبها إلى الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن فسّانجس : (٢)
كان أيدىهم فى الناس ما خلقت إلا لبذل الأيادى والعطيات

وقد ورد البيت السابق فى سياق مديح المرتضى لقوم الوزير ابن فسّانجس، ومن
ثم فهو فى البيت يؤكد كرم أولئك القوم - خلال القصر بالنفى والاستثناء -، إذ
يقصر خلق أيدىهم على الإنفاق لا يتعداه إلى شيء آخر وهذا كلام - لا شك - فيه
غربة للسامع الذى قد يتوقف فى قبوله ؛ ولذا فقد أكد المرتضى وصاغه فى أسلوب
القصر بالنفى والاستثناء الذى يتميز بالنبرة الحادة والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد.

وفى مطلع قصيدة فى مديح فخر الملك يقول : (٣)
مما أرادت إلا الجفاء ظلوم يوم رامت عنا ولسنا نريم

1 - سورة النور : آية ٣٩ .

2 - الديوان : ١ / ١٣٨ (من البسيط) .

3 - الديوان : ٣ / ١٨١ (من الخفيف) .

والمرتضى في البيت السابق يَقْصِرُ رغبةً محبوبته (ظَلُومَ) في الفراقِ على الهجرِ لا تتعداهُ إلى غيره، فيقولُ : " مَا أَرَادَتْ إِلَّا الْجَفَاءَ ظَلُومٌ " فالقصرُ يؤكدُ أَنَّ السببَ الوحيدَ لرحيلِ المحبوبةِ / الخلافةِ عنه هو أَنَّها تريدُ هجرَهُ، ولا شيءَ وَرَاءَ ذَلِكَ، وَهَذَا ما يُوجِى بِشدةِ حزنِ المرتضى، بدليلِ قَوْلِهِ " وَلَسْنَا نَرِيْمُ " إِذْ إِنَّهَا جُمْلَةٌ حَالِيَةٌ تشيرُ إِلَى أَنَّ المحبوبةَ / الخلافةَ قد هَجَرَتْهُ حالةً كَوْنِهِ ما زالَ بها كَلِفاً، ولا يستطيعُ لها فِرَاقاً.

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ في رثاءِ الحسين عليه السلام : ^(١)
وَمَا فَخْرُنَا إِلَّا الَّذِي هَبَطَتْ بِهِ الـ مَلَائِكُ أَوْ مَا قَدْ حَوَى مِنْهُ مُصْحَفُ

والبيتُ السابقُ يأتي في سياقِ حديثِ المرتضى إلى الأمويين الذين ينكرون أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَثَرَ التَّعْبِيرَ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ؛ لِيُنَاسِبَ هَذَا السِّيَاقُ، إِذِ الْمَرْتَضَى فِي الْبَيْتِ يَخَاطِبُ الْأُمَوِيَّينَ مُفْتَخِرًا قَاصِرًا فَخْرَهُ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي هَبَطَتْ بِهِ الْمَلَائِكُ، وَعَلَى مَا قَدْ حَوَاهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ آيَاتٍ تُشِيرُ - عَلَى حَدِّ زَعْمِ الشُّيْعَةِ - إِلَى أَحْقِيَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ بِالْخِلَافَةِ ^(٢).

ثانياً: القصر بـ "إنها" :

ومن قصيدةٍ في عزاءِ القاضي أبي القاسمِ عبد العزيز بن محمد العسكري في وَلَدِهِ يقولُ : ^(٣)

إِنَّمَا الْعِيشُ - لَوْ تَأَمَّلْتَ - ثَوْبٌ خَيْلَ مُلْكًا لَنَا وَكَانَ مَعَارَا

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المرتضى إلى ابنِ عبد العزيز مُعَزِّيًا، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِ يُوَكِّدُ أَنَّ الْحَيَاةَ مَقْصُورَةٌ لِلتَّأَمُّلِ عَلَى ثَوْبٍ مُعَارٍ يَظُنُّهُ الْغَافِلُ مُلْكًا لَهُ، وَفِي هَذَا التَّوَكِيدِ تَسْلِيَةٌ لابنِ عبد العزيز، وَتَصْبِيرٌ لَهُ عَلَى مُصَابِهِ.

1- الديوان : ٢ / ٢٥٨ (الطويل)

2- ينظر : عامر النجار : في مذاهب الإسلاميين - مرجع سابق - ص ٢٥٨ وما بعدها.

3- الديوان : ٢ / ٤٨ (من الخفيف) .

يقول المرتضى من قصيدة في عزاء بهاء الدولة في ولده :^(١)

ما نحنُ إلا للفناء وإِنَّمَا تَغْتَرُّنَا بِمُرُورِهَا الْآيَامُ
ومتى تأملت الزمان وجدته أَجَلًا وَأَيَّامُ الْحَيَاةِ سَقَامُ
نضحى ونمسي ضاحكين، وإنَّما لبكائنا الإصباح والإظلام
ونسر بالعام الجديد، وإنَّما تسرى بنا نحو الردى الأعوام

والآيات السابقة تأتي في سياق العزاء، ومن ثم فالمرتضى فيها يخاطب قومه قاصراً وجودهم على الفناء لا يتعداه إلى سواه، إذ يقول : " ما نحنُ إلا للفناء " وقد أثر المرتضى التعبير بالنفى والاستثناء في هذا السياق ؛ لأن قومه يلعبون ويمرحون، وهم لما بعد الموت لا يعملون، بدليل قوله : " وإنما تغترنا بمرورها الأيام " ؛ ولذا فقد نزلهم منزلة الشاكين في أمر الفناء المنكرين له. ونجده في البيت نفسه يقصر غرور قومه على الأيام، فيقول : " وإنما تغترنا بمرورها الأيام "، أى إن الأيام وحدها هى التى تغترهم لا سواها، وهذا على الرغم من أن أجلهم - للمتأمل - محدود، وأيامهم سقام، وذلك مما يستدعى أن يبكوا ليل نهار ومع هذا فهم يضحكون وبالعام الجديد يسرون، وإذ بهم نحو الردى يسرون. ولذا فهو في البيتين الأخيرين. قد قصر الإصباح والإظلام على بكاء قومه لا سواه، فقال : " وإنما لبكائنا الإصباح والإظلام " أى إنه يجب عليهم أن يبكوا ليل نهار ولا يتركوا البكاء إلى غيره.

ثم نجده قد قصر الأعوام على أنها تمضى بقومه نحو الموت لا وظيفة لها إلا هذى، فقال : " وإنما تسرى بنا نحو الردى الأعوام ".

وقد أثر المرتضى التعبير بـ " إنما " في المواضع الثلاثة السابقة ليشير إلى أن الأمور التى وردت بها لا أحد ينكرها، وليحث قومه على الاتعاظ والتدبر في صنع الأيام، ويدعوهم إلى الصبر على مصيبتهم.

1 - الديوان ٣ / ١٧٤ (من الكامل).

ثالثاً : القصر بالعطف بلا وبل ولكن :

يقول المرتضى من قصيدة في رثاء الحسين (عليه السلام) :^(١)

فَلَنَّا بِالطُّفُوفِ قَتَلَسَى وَلَا ذَنْبَ سَبِ سِوَى الْبَغْيِ مِنْ عَدَى وَأَسَارَى

لَمْ يَذُوقُوا الرَّدَى جُزَافًا وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَكْرَهُوا الْقَنَّا وَالشُّفَارَا^(٢)

والمرتضى في هذين البيتين يؤكد أن مَنْ قُتِلُوا عَلَى أَرْضِ الطُّفُوفِ / كَرِبَلَاءَ

وَأَسْرُوا كانوا من آل البيت لا غيرهم وَأَنَّ قَتْلَهُمْ لم يكن إلا ظُلماً لهم من أعدائهم ثم

يَصِفُ أولئك القتلى بأنهم قد قَاوَمُوا رِمَاحَ أعدائهم وسيوفهم، ولم يُقْتَلُوا جُزَافًا أى

مِنْ غَيْرِ مَقَاوِمَةٍ.

وَإِذَنْ، فَالْعَطْفُ بـ " لكن " في البيت الثانى يفيدُ قَصْرَ قَتْلِ آلِ البيتِ عَلَى حَالِ

مُقَاوَمَتِهِمْ لِلْأَعْدَاءِ، وَنَفْيِهِ عَنْ حَالِ عَدَمِ مُقَاوَمَتِهِمْ، وهذا مما يشيرُ إلى أَنَّهُمْ جَدِيرُونَ

بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ، إِذْ إِنَّهُمْ لَمْ يَهْرَبُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ، بَلْ قَاوَمُوهُمْ، وَأَدَّوْا مَا عَلَيْهِمْ.

ويقول المرتضى من قصيدة في الطيف :^(٣)

وَلَمْ يَشْفِ ذَاكَ الْقَرَبُ وَهُوَ مُرَجَّمٌ مِنْ الْقَوْمِ سَقَمًا بَلْ أَثَارَ سَقَامَا^(٤)

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى طيفِ محبوبته سلمى، ومن

ثُمَّ فهو فيه ينفى أن يكونَ قَرَبُ المحبوبةِ / الخلافةَ حالةَ كونهِ طيفاً قد شَفَى مِنْ

الْقَوْمِ سَقَمًا، ويثبتُ أَنَّ هذا القَرَبَ الْمُرَجَّمُ - أى غيرَ الحقيقى - قَدْ كَانَ سَبَبًا فى

ترادفِ الأسقامِ عَلَى قَوْمِهِ.

1- الديوان : ٥٣ / ٢ (من الخفيف) .

2- المقصودُ بقوله : (لم يَذُوقُوا الرَّدَى جُزَافًا) : أى من غيرِ مُقَاوِمَةٍ ، وبقوله : أَكْرَهُوا : أى صَدُّوا . أما الشُّفَارُ : فهى حَدُّ السَّيْفِ ، ومفردُها الشُّفْرَةُ و(القَنَا) هى الرِّمَاحُ ، ومفردُها القَنَاةُ .

3- الديوان : ٢١٤ / ٣ (من الطويل) .

4- لقد تَوَسَّعَ الْعَرَبُ " حتى وَضَعُوا الرِّجْمَ وَالتَّرْجِيمَ مَوْضِعَ الظَّنِّ ، فقالوا : قَالَ ذَلِكَ رَجْمًا أى ظَنًّا . وحديثُ مُرَجَّمٌ : مَظْنُونٌ... " * الزمخشري : أساس البلاغة : مادة (رجم) ص ٢٢٣ .

فالعطفُ بـ "بل" في البيت يفيدُ قُصْرَ قُرْبِ المحبوبةِ على إثارةِ السُّقْمِ في القومِ
وَنَفْيِهِ عَنْ شِفَائِهِ.

كما لا يخفى أَنَّهُ قَدْ رَمَزَ بهذه المحبوبةِ (سَلْمَى) إلى الخلافةِ التي ابتعدت عن
العلويين واقعاءً، واقتربت منهم طيفاً وخيالاً، بدليل شبه الجملة "من القوم" التي
تُوحى بهذا الرَّمْزِ؛ لأنَّ المرتضى لو كان يتحدث عن امرأةٍ حَقِيقِيَّةٍ لَقَالَ: "لَمْ يَشْفِ
ذاك القربُ مني سَقْمًا" ولم يقل ".... من القوم...." أي من العلويين، قوم
الشاعر، إذ الألف واللام فيها للعهدِ الخارجى العلمى.

كما أَنَّ الجملةَ الحاليةَ "وهو مُرَجَّمٌ" تؤكدُ هذا الإيحاء؛ إذ تُشيرُ إلى أَنَّ هذا
القربَ كان ظنًّا أى خيالاً، ولم يكن قُرْبًا حَقِيقِيًّا.

وتأثر المرتضى بالقرآن الكريم في البيت واضحٌ جليٌّ، إذ قد استخدم كلمةَ
مُرَجَّمٍ بمعنى الظَّنِّ، تمامًا كما استخدمها القرآن في قوله تعالى مخبراً عن اختلاف
النَّاسِ في عِدَّةِ أصحابِ الكهفِ:

"سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب"
(١) أى إنَّ كلامهم هذا كان على سبيلِ الظَّنِّ بالغيب، فهو كلامٌ لا علمٌ لهم بحقيقته،
أو كما يقول ابن كثير في تفسيره لقوله: "رجماً بالغيب": "أى قولاً بلا علم كمن
يرمى إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد" (٢)

ويقول من قصيدة قالها عندما نُعي إليه بعض الأعداء: (٣)
وَسُقِيتَ الْعَذَابَ لَا الْعَذَبَ وَالزَّلْ - زَالَ تَأْتَى بِهِ يَدُ الزَّعْزَاعِ (٤)

١- سورة الكهف: آية ٢٢.

٢- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - مرجع سابق - ج ٣ - ص ٧٨.

٣- الديوان ٢ / ٢٣٠ (من الخفيف).

٤- الزَّعْزَاعُ: الشَّدِيدُ الذى يُزْعِزُ الأشياءَ.

وَإِذَا جُوزِيَ الْأَنَامُ فَلَا جُورَ زُيِّنَتْ إِلَّا بِالْمُؤْلَمِ اللَّذَّاعِ

والبيتان السابقان يأتیان في سياقِ حديثِ المرتضى إلى عَدُوِّهِ الَّذِي وَارَاهُ التُّرَابُ،
وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَخَاطَبُهُ دَاعِيًا عَلَيْهِ فَيَقْصُرُ سَقِيهِ فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْعَذَابِ وَالزَّلْزَالِ
الشَّدِيدِ وَيَنْفِيهِ عَنِ الْمَاءِ الْعَذْبِ، ثُمَّ يَقْصُرُ جَزَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْلَمِ الْعَنِيفِ /
النَّارِ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهَا.

وَيَكْشِفُ أُسْلُوبًا الْقَصْرِ فِي الْبَيْتَيْنِ عَنْ تَحْقِيرِ الْمُرْتَضَى لِعَدُوِّهِ.

الالتفات

تمهيد:

يُعَدُّ الالتفات من المسالك التعبيرية التي يُعْنَى علم الأسلوب بِرَصيدِهَا وَتَحْلِيلِهَا فِي اللُّغَةِ الشُّعْرِيَّةِ، وَهُوَ لَا يَتَحَقَّقُ - عِنْدَ الْأُسْلُوبِيِّينَ - إِلَّا عِنْدَمَا يَتَوَالَى فِي سِيَاقٍ أَوْ نَسَقٍ كَلَامِيٍّ وَاحِدٍ عُنْصُرَانِ مَتَمَاثِلَانِ وَظِيفِيَّانِ أَوْ مَعْنَوِيَّانِ وَيَنْحَرِفُ الثَّانِي مِنْهُمَا عَنِ الْأَوَّلِ فِي نَمَطِ الْأَدَاءِ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ذَاتِهِ فَإِنَّ الْاَلْتِفَاتَ لَا يَتَجَدَّدُ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَوْ النَّسَقِ إِلَّا بِحُدُوثِ انْحِرَافٍ أَوْ انْكَسَارٍ آخَرَ فِي مَسَارِهِ^(١)

ومن الجدير بالإشارة في هذا السياق أن جمهور البلاغيين من أمثال ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) والسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) والخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) والبلاغيين المتأخرين الذي عُنُوا بِشَرْحِ كِتَابِ "التلخيص" لهذا الأخير، قَدْ ضَيَّقُوا مَفْهُومَ الْاَلْتِفَاتِ وَقَصَرُوهُ عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ مِنْ أَلْوَانِ الظَّاهِرَةِ هُوَ "المخالفة في الضمائر"^(٢) أما ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) والعلوي (ت ٧٤٩ هـ) والزركشي (ت ٧٩٤ هـ) فَقَدْ وَسَّعُوا هَذَا الْمَفْهُومَ، فَشَمِلَ كُلَّ تَحْوِيلٍ فِي الْأُسْلُوبِ، إِذْ يُعَرَّفُ الْعَلَوِيُّ الْاَلْتِفَاتَ بِأَنَّهُ: "العدول من أسلوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ آخَرَ"^(٣)

١- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٨م - ص ٤٢.

٢- ينظر: الزمخشري: الكشف - دار المعرفة - بيروت - (د. ت) - ١/١، السكاكي: مفتاح العلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - (د. ت) - ص ٨٨، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة - مرجع سابق - ١/١١٥.

٣- العلوي: الطراز - مرجع سابق - ١٣٢/٢، ينظر: المثل الثائر - مرجع سابق - ص ١٦٥ / ١٦٩، الزركشي: البرهان في علوم القرآن - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث - القاهرة - ١٩٥٧م - ٣/ ٣٢٥: ٣٢٦.

وَبِهَذَا فَإِنَّ مَفْهُومَ ابْنِ الْأَثِيرِ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ لِلِالْتِفَاتِ يَلْتَقِي وَمَفْهُومَ الْأُسْلُوبِيِّينَ، عَلَى أَنَّهُ - لِلْأَسَفِ - لَمْ يُكْتَبْ لِهَذَا الْمَفْهُومِ الْإِنْتِشَارُ فِي مَسِيرَةِ الْبَحْثِ الْبَلَاغِيِّ.

الالْتِفَاتُ فِي دِيْوَانِ الشَّرِيفِ الْمُرتَضَى :

وَلَقَدْ كَانَ أُسْلُوبُ الْالْتِفَاتِ أَحَدَ الْمَسَالِكِ التَّعْبِيرِيَةِ الَّتِي يَشِيعُ اسْتِخْدَامُهَا فِي شِعْرِ الْمُرتَضَى. فَقَدْ وَرَدَ فِي شِعْرِهِ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَسِتِينَ (٥٦١) مَوْضِعًا فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ دَالًّا - فِي كُلِّ سِيَاقٍ مِنْهَا - عَلَى مَعْنَى بَعِيْنِهِ، وَمَوْجِيًّا بِأَسْرَارٍ وَلَطَائِفَ. وَأَوْدُ - فِي هَذَا الْمَبْحَثِ - أَنَّ أَحَدَ أَتْرَازِ الْمَجَالَاتِ الَّتِي تَحَقَّقُ فِيهَا الْالْتِفَاتُ فِي دِيْوَانِ الْمُرتَضَى، وَأَنَّ أَتَوَقَّفَ فِي تَنَاوُلِ التَّفْصِيلِ لِكُلِّ مَجَالٍ مِنْهَا إِزَاءَ بَعْضِ الصُّوَرِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ ؛ كَمَا أُسْتَشْفَى بَعْضَ مَا تُؤْمِضُ بِهِ مِنْ قِيَمٍ وَأَسْرَارٍ. وَأَبْرَزُ مَجَالَاتِ الْالْتِفَاتِ فِي شِعْرِ الْمُرتَضَى - فِيمَا أَرَى - هِيَ :-

(١) العدد. (٢) الضمير. (٣) التذكير والتأنيث.

وفيمَا يَلِي جَدْوْلٌ لَصُورِ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ وَأَعْدَادِ وَرُودِهَا فِي الدِّيْوَانِ. ثُمَّ يَلِي هَذَا الْجَدْوَلُ عَرْضٌ وَتَفْصِيلٌ لِبَعْضِ هَذِهِ الصُّوَرِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :-

أولاً: العدد :

العدد	نوع الالْتِفَاتِ	مسلسل
٢٥٧	من المفرد إلى الجمع	١
٢٢٨	من الجمع إلى المفرد	٢
٨	من الجمع إلى المثنى	٣
٤	من المثنى إلى الجمع	٤
٤٩٧		المجموع

ثانيًا: الضمائر :

مسلسل	نوع الالتفات	
١	من المتكلم إلى الخطاب	١٦
٢	من الخطاب إلى التكلم	١٣
٣	من الغياب إلى الخطاب	٩
٤	من الخطاب إلى الغياب	٥
٥	من المتكلم إلى الغياب	٣
المجموع		٤١

ثالثًا : التذكير والتأنيث :

مسلسل	نوع الالتفات	العدد
١	الإخبار عن المؤنث بالمذكر	٢
٢	من الإناث إلى الذكور	١٢
٣	من الذكور إلى الإناث	٤
المجموع		٢٣

أولًا: العدد :

(١) الالتفات من ضمير الواحد إلى ضمير الجمع :
وفي مطلع قصيدة في رثاء جلال الدولة، يقول المرتضى^(١)

١- الديوان : ٢/ ٢٣٠ (من الطويل)

دَعُّوا الْيَوْمَ مَا عُدَّتُمْ مِنْ تَصَبُّرٍ
فَمَا الْقَلْبُ مِنْى فَارْغًا مِنْ تَذَكُّرٍ
وَلَوْ كُنْتُ مُسْطِيعًا جَعَلْتُ صَبَابَةً
فَفِيهَا تَرَكْتُ لَا يُخَافُ تَرَدُّدِي
وَكَيْفَ بَقَائِي لَا أَمُوتُ وَإِنَّمَا
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْهُمْ وَعَلَيْهِمْ
أَلَمْ تَرَ هَذَا الدَّهْرَ كَيْفَ أَظَلَّنَا
وَكَيْفَ انْتَقَى عَظْمِي وَشَرَّدَ صَرْفُهُ
وَجَرَّ عَلَى شَوْكِ الْقِتَادِ أَخَامِي

فَإِنَّ نِزَاعِي غَالِبٌ لِنِزْوَعِي^(١)
وَلَا الْعَيْنُ مِنْى غَيْرَ ذَاتِ دَمُوعٍ
مَكَانَ دَمُوعِي فِي الْبَكَاءِ نَجِيعِي^(٢)
وَفِيهَا وَهَبْتُ لَا يُخَافُ رَجُوعِي
رَبُوعُ الْأَنَامِ الْهَالِكِينَ رُبُوعِي ؟
إِذَا مَا انْقَضَى عُمْرِي يَكُونُ طُلُوعِي
عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ بَاطِلٍ فَظِيع ؟
رُقَادِي وَأَوْدَى عَنُوءَةً بِهَجُوعِي
وَأَضْرَمَ نَارًا فِي يَبِيسِ ضُلُوعِي

وَالْمُرْتَضَى فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَنْدُبُ جَلَالَ الدَّوْلَةِ. وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَخَاطَبُ قَوْمَهُ
حَائِثًا لَهُمْ عَلَى التَّحْزِينِ، دَاعِيًا إِيَّاهُمْ إِلَى عَدَمِ نِسْيَانِهِ، وَذَرَفِ الدَّمُوعِ عَلَى فَقْدِهِ، مُشِيرًا
إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَذْرَفَ دَمًا لَا دَمْعًا حَبًّا لِفَقِيدِهِ، كَمَا يَتَمَنَّى أَلَّا يَبْقَى حَيًّا بَعْدَ
مَوْتِهِ، وَمُقَرِّبًا أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَصَابَهُمْ - عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ - بِمَصِيبَةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ أَرَهَقَتْ جِسْمَهُ،
وَحَرَمَتْ النَّوْمَ عَيْنَهُ، وَجَعَلَتْهُ يَتَأَلَّمُ، وَكَأَنَّهُ يَسِيرُ عَلَى شَوْكِ الْقِتَادِ، إِذْ أَشْعَلَتْ نَارًا فِي الْفَوَادِ.
وَمِنْ الْمَلَا حِظِّ أَنْ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ التَّفَاتَاتِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ فِي مَجَالِ الْعَدَدِ. أَمَّا
الْإِلْتِفَاتُ الْأَوَّلُ فَنَجْدُهُ حِينَ تَحْدِثُ الْمُرْتَضَى عَنْ نَفْسِهِ بِضَمِيرِ الْمُفْرَدِ فِي
الْأَبْيَاتِ مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى السَّادِسِ - فَقَالَ : " نِزَاعِي - نِزْوَعِي - مِنْى - كُنْتُ -
دَمُوعِي - نَجِيعِي - تَرَكْتُ - تَرَدَّدِي - وَهَبْتُ - رَجُوعِي - بَقَائِي - لَا أَمُوتُ -
رَبُوعِي - أَنَا - عَمْرِي - طُلُوعِي " ثُمَّ التَفَتَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ ضَمِيرِ الْمُفْرَدِ إِلَى

١- النِّزْوَعُ : الْإِشْتِيَاقُ .

٢- النَّجِيعُ : الدَّمُ .

ضمير الجمع في البيت السابع، فقال "أَظَلَّنَا - مِنَّا" وكان من مقتضى السياق أن يقول :
 "أَظَلَّنِي - مِنِّي" لكنه انحرف ليفيد أنه ليس حزينًا وحده على فقد جلال الدولة، وإنما
 يشاركه في حزنه آخرون، مما يوحي بعظم قدر الفقيه، وسمو مكانته بين أهله وقومه.
 والالتفات الثاني نجده حين انتقل المرتضى من الحديث عن نفسه في البيت
 السابع بضمير الجمع إلى الحديث عنها بضمير المفرد في البيتين الثامن والتاسع،
 فقال: "عظمي - رقادي - هجوعي - أخامصي - ضلوعي" وكان من مقتضى
 السياق أن يقول : "عظمنا - رقادنا - هجوعنا - أخامصنا - ضلوعنا" ؛ ليسير
 الكلام على وتيرة واحدة، ولكنه انحرف وعاد مرة ثانية إلى المفرد، وأدخل نفسه
 ضمن الجمع، وناب عنهم جميعًا في التحزن على فقد جلال الدولة، مما يوحي بأن
 المرتضى كان يألم ألمًا شديدًا لهذه المصيبة. فقد حزن على الفقيه حزنًا لا يعدله حزن،
 حتى وكأنه قد حمل وحده أحزان قومه على الفقيه.

وأما الالتفات الثالث في مجال العدد، فكان يخص ضمير الخطاب، حيث نجد
 المرتضى في البيت الأول يخاطب الجمع، قائلًا : "دَعُوا"، "مَا عُوذْتُكُمْ" ثم يلتفت في
 البيت السابع إلى مخاطبة المفرد، قائلًا : "أَلَمْ تَرَ" وكان السياق يقتضي أن يقول : "أَلَمْ
 تَرَوْا" لكن المرتضى انحرف عن هذا السياق.

ويبدو لي أن اضطراب المرتضى نفسيًا وفكريًا حال نديه لجلال الدولة ورثائه كان
 سببًا في هذا الاضطراب في التعبير أي في هذا الالتفات.

٢- الالتفات من ضمير الجمع إلى ضمير الواحد :

يقول المرتضى في مطلع مقطوعة في النسيب :^(١)
 عَنِ النِّسَاءِ لَنَا عَلَى وَادِي مَنَى فَاصْطَادَنِي مِنْهُنَّ بَعْضُ الرَّبْرِ
 والشاعر في البيت السابق يخبر بأنه قد رأى نساء على وادي منى، وأنه قد وقع في
 هوى إحداهن.

1- الديوان: ١ / ١١٠ (من الكامل).

وهو في الشطر الأول من البيت يتحدث عن نفسه بضمير الجمع، فيقول: "عن النساء لنا"؛ ليشير إلى أنه لم ير هؤلاء النسوة وحده، وإنما هو قد رآهن وقومه، ثم ينحرف الشاعر في الشطر الثاني إلى الحديث عن نفسه بضمير الواحد، فيقول: "فاصطادني منهن"؛ ليشير إلى أن امرأة من هؤلاء النسوة قد سلبت لبه وأطارت عقله، وجعلته وحده من دون قومه يقع في هواها ولا ينظر لساواها.

٣- الالتفات من الجمع إلى المثنى :

وفي مطلع قصيدة في رثاء جده الحسين عليه السلام، يقول المرتضى: ^(١)
 خُذُوا مِنْ جَفُونِي مَاءَهَا فَهِيَ ذُرْفُ فَمَا لَكُمْ إِلَّا الْجَوَى وَالتَّلْهُفُ
 وَإِنْ أَنْتُمْ اسْتَوْقَفْتُمْ عَنْ مَسِيلِهَا غُرُوبَ مَا قِينَا فَمَا هُنَّ وَقْفُ
 كَأَنَّ عِيُونَنَا كُنَّ زَوْرًا عَنِ الْبُكَاءِ غُصُونُ مَطِيرَاتِ الذُّرَا فَهِيَ وَكْفُ ^(٢)
 دَعَا الْعَذْلَ وَالتَّعْنِيفَ فِي الْحَزَنِ وَالْأَسَى فَمَا هَجَرَ الْأَحْزَانَ إِلَّا الْمَعْنَفُ؟
 تَقُولُونَ لِي: صَبْرًا جَمِيلًا، وَلَيْسَ لِي عَلَى الصَّبْرِ إِلَّا حَسْرَةٌ وَتَلْهُفُ
 وَكَيْفَ أَطِيقُ الصَّبْرَ وَالْحَزْنَ كُلَّمَا عَنُقْتُ بِهِ يَقْوَى عَلَى وَأَضْعُفُ
 ذَكَرْتُ يَوْمَ الطَّفِّ أَوْ تَادَ أَرْضِيهِ تَهَبُّ بِهِمْ لِلْمَوْتِ نَكْبَاءُ حَرْجَفُ ^(٣)

والشاعر في الأبيات السابقة يندب الحسين عليه السلام ندباً يفيض بالحزن والأسى. وهو في البيت الأول يخاطب أصحابه بأكياً ذارفاً من عينيه دموعاً لا تكف ولا تجف، إذ لم يعد أمامه إلا الحزن والتلهف. ثم ينحرف في الأبيات التالية (الثاني والثالث والرابع) إلى مخاطبة صاحبيه مشيراً إلى أن عينيّه لن تتوقفاً - وإن طلبا إليه الصّاحبان ذلك - عن البكاء وكأنهما يسقطا أمطاراً. فعلى الصّاحبين - إذن - أن

1- الديوان : ٢ / ٢٥٥ (من الطويل).

2- زوراً : ميلاً .

3- النكباء : الريح تهب منحرقة ، والحر جف : الريح الباردة الشديدة .

يَتَوَقَّفَا عَنْ لَوْمِهِ وَتَعْنِيفِهِ فِي حَزْنِهِ وَأَسَاهُ ؛ إِذِ الْكُلُّ مَحْزُونٌ مَكْلُومٌ سَوَاهُمَا . ثُمَّ يَنْحَرِفُ
الشاعرُ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ عَنْ مَخَاطَبَةِ صَاحِبِيهِ إِلَى مَخَاطَبَةِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَدْعُوْنَهُ إِلَى
الصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَهُوَ لَا يَطِيقُ الصَّبْرَ وَلَا يَتَحَمَّلُ الْمَصَابَ ؛ إِذْ إِنَّهُ يَتَذَكَّرُ مَا حَدَثَ لَالِ
الْبَيْتِ يَوْمَ الطَّفِّ ، وَكَيْفَ أَنَّ الْمَوْتَ أَهْلَكَهُمْ وَكَأَنَّهُ رِيحٌ عَاصِفَةٌ .

وَمِنْ الْمَلَاخِظِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ هُنَاكَ اضْطِرَابًا فِي الصِّيَاغَةِ فَالشاعرُ قَدْ بَدَأَ
أَبْيَاتَ قَصِيدَتِهِ بِمَخَاطَبَةِ الْجَمْعِ ، فَقَالَ " خَذُوا " ، " فَمَا لَكُمْ " ثُمَّ انْحَرَفَ إِلَى مَخَاطَبَةِ
الْمُثْنَى ، فَقَالَ : " وَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَوْقَفْتُمَا " ، " دَعَا الْعَدْلَ " ثُمَّ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَخَاطَبَةِ
الْجَمْعِ ، فَقَالَ : " تَقُولُونَ لِي " ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ تَفْسِيرٍ لِهَذَا الْاضْطِرَابِ فِي الصِّيَاغَةِ
سِوَى اضْطِرَابِ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَرَتِّبِ - بِسَبَبِ شِدَّةِ حُزْنِهِ عَلَى
مَضْرَعِ جَدِّهِ - الَّتِي يَتَّبِعُهَا - بِالضَّرُورَةِ - اضْطِرَابُ الْحَرَكَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ .

٤ - الالتماسات من المثني إلى الجمع :

يَقُولُ الْمُتَرَتِّبُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ عَلَى بَنِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِيِّينَ : ^(١)
قِفَا بِي عَلَى تِلْكَ الطُّلُولِ الرَّثَائِثِ مُحِيزِينَ بِنَسِجِ الْمَعْصِرَاتِ الْمَوَاكِثِ ^(٢)
وَلَا تَسْأَلُوا عَنْ أَصْطِبَارٍ عَهْدُتُمَا فَقَدْ بَانَ عَنِي بَانْتِهَالُ الْحَوَادِثِ

وَالشاعرُ فِي الْبَيْتَيْنِ يَقِفُ عَلَى أَطْلَالِ أَحِبَّتِهِ / آلِ الْبَيْتِ مُحْزُونًا ، فَاقْدَ الصَّبْرَ ، وَمِنْ ثَمَّ
فَهُوَ فِيهِمَا يَخَاطَبُ صَاحِبِيهِ طَالِبًا إِلَيْهِمَا أَنْ يَتَوَقَّفَا عَلَى الْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ الَّتِي مَحَتْ آثَارَهَا
الرِّيحُ ، نَاهِيًا عَنِ التَّعَجُّبِ مِنْ نِفَادِ صَبْرِهِ الَّذِي يَعْلَمَانَهُ . فَقَدْ زَالَ صَبْرُهُ بِمَا فَعَلَتْهُ الْأَيَّامُ .

وَمِنْ الْمَلَاخِظِ أَنَّ الشاعِرَ فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ قَدْ اضْطَرَبَ فِي صِّيَاغَتِهِ ؛ حَيْثُ
خَاطَبَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الْمُثْنَى ، فَقَالَ : " قِفَا " ثُمَّ انْحَرَفَ فِي مَطْلَعِ الْبَيْتِ الثَّانِي إِلَى
مَخَاطَبَةِ الْجَمْعِ قَائِلًا " لَا تَسْأَلُوا " ثُمَّ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَخَاطَبَةِ الْمُثْنَى فِي الْبَيْتِ نَفْسِهِ بَلْ

١ - الديوان ١ / ١٥٥ (من الطويل)

٢ - الرَّثَائِثُ الْبَالِيَاتُ . الْمَعْصِرَاتُ : السُّحُبُ الْمَاطِرَةُ .

في الشطر نفسه، فقال " عهدتما " .

وهذا الاضطراب في الحركة التعبيرية في البيتين منشؤه اضطراب المرتضى فكرياً ونفسياً. فقد كان المرتضى في موقف نفسي مرهق، يعاني فيه من فراق أحبيته وابتعادهم عنه.

ثانياً : الضمائر :

١ ، ٢ - الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الخطاب، ثم من الخطاب إلى التكلم :

يقول المرتضى في الغزل :^(١)

وطلبت لما عَزَّ منها المطلبُ	ضنَّتُ عليك بوصليها لك زَيْنَبُ
لكنَّه بَرَقَ - لَعَمْرُكَ - خُلْبُ	وَأَرَتَكَ برقاً لامعاً من وُعْدِهَا
كيفَ الهوى والرأس منك الأُشيبُ	وتقول لي - جهلاً بأسباب الهوى -
عن شَيْبَةٍ وشَيْبَةٍ وتَقَرَّبُوا	والحبُّ داءٌ للرجالِ تَبَاعَدُوا

والشاعر في المقطوعة يتحدث عن محبوبته زينب، وأنها بخيلة عليه بوصالها؛ بسبب ما به من شيب، فهي تعد ولا تفي، وهي تسخر من حبه لها.

وامرأة هذه طبيعتها، وهذا خلقتها مع من يحبها ليست جديرة بحبه، فعليه أن يتسلَّى عنها وينساها، ولكن هيئات، فقد تمكَّن من قلبه الحب، وصار داء لا يمكن منه البرء؛ ولذا فقد انحرف المرتضى عما تقتضيه اللغة من التعبير عن نفسه بلسان المتكلم، فعبر عنها بضمير المخاطب في البيتين الأولين، قائلاً " ضنَّتُ عليك بوصليها"، " وَأَرَتَكَ برقاً" وكان من مقتضى سياق الكلام أن يقول " ضنَّتُ على بوصليها"، " وأرتنى برقاً" ولكن المرتضى لما عجزت نفسه عن نسيانها، غاظه ذلك،

١ - الديوان : ١ / ٢٨ (من الكامل).

فأقامها مقامَ المستحقِّ للعتابِ والتوبيخِ، فَجَرَّدَ مِنْ نَفْسِهِ شَخْصًا
يَخاطَبُهُ، ويقولُ لَهُ : لَقَدْ بَخَلْتُ زَيْنَبُ عَلَيْكَ بَوْصَالَهَا، وَلَمْ تَفِ بِمَا وَعَدْتِ. لَعَلَّهُ يَفِيقُ
مِنْ سَكْرَتِهِ، وَيَرْجِعُ إِلَى رُشْدِهِ فَيَنْصَرِفُ عَنْهَا.

ثُمَّ هُوَ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ يَنْحَرِفُ، فَيَلْتَفِتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى التَّكْلِيمِ، قَائِلًا :
وَتَقُولُ لِي " وَكَانَ سِيَاقُ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ : " وَتَقُولُ لَكَ " لِيَسْتَمَرَ
السِّيَاقُ فِي طَرِيقِ الْخِطَابِ، وَلَيْسَ الْكَلَامُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمُرْتَضَى خَالَفَ
سِيَاقَ الْكَلَامِ ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَخْصُهُ هُوَ وَلَا يُخْصُّ أَحَدًا سِوَاهُ.
وَيَبْدُو لِي أَنَّ الْمُرَاةَ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ مَا هِيَ إِلَّا رَمْزٌ لِلْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي
ابْتَعَدَتْ عَنِ الْعُلُوِّيِّينَ، وَهَجَرَتْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ بِسَبَبِ شَيْخُوخَتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ.

٣- الانتقال من ضمير الغياب إلى ضمير الخطاب :

يقول المرتضى^(١) :

مَا ضَرَّ مَنْ لِلنَّوَى زُمْتُ رَكَائِبُهُ لَوْ جَادَلِي سَاعَةَ التَّوْدِيْعِ بِالنَّظَرِ
رَمَيْتُمُ الْقَلْبَ مِنْنًى بِالْوَجِيبِ - وَقَدْ فَأَرْقُتُمُونِي - وَالْعَيْنَيْنِ بِالسَّهْرِ
وَمِنَ الْمَلَا حِظِّ أَنْ الْمُرْتَضَى - فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ - كَانَ يَعْمَدُ إِلَى تَعْدِيلِ حَرَكَةِ
الصِّيَاغَةِ ؛ لِتَتَوَازَى مَعَ تَعْدِيلِ حَرَكَةِ الْمَعْنَى. فَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَسْتَنْكَرُ فِيهِ
رَجُلٌ مَحْبُوبُهُ دُونَ تَوْدِيْعِهِ أَثَرٌ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ عَنْهُ غِيَابِيًّا، فَقَالَ " زُمْتُ رَكَائِبُهُ "، وَ
جَادَلِي " ؛ وَذَلِكَ لَكِي لَا يُشْعِرُ الْمَحْبُوبَ بِاسْتِنْكَارِهِ لِفَعْلِهِ فَيَتِمَادَى فِي صَدِّهِ.

ثُمَّ لَمَّا بَدَأَ لَهُ أَنْ يَسْتَغْطِفَهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، أَثَرُ الشَّاعِرِ أَنْ يَنْحَرِفَ عَنِ الْغِيَابِ إِلَى
الْخِطَابِ، قَائِلًا لِمَحْبُوبِهِ " رَمَيْتُمُ الْقَلْبَ مِنْنًى بِالْوَجِيبِ " وَكَانَ مِنْ مَقْتَضَى السِّيَاقِ أَنْ
يَقُولَ " رَمَى الْقَلْبَ " ؛ وَذَلِكَ لِیُطْلِعَ الْمَحْبُوبَ عَلَى اضْطِرَابِهِ لِفِرَاقِهِ، وَأَرْقِهِ لِبَعْدِهِ،
لَعَلَّهُ يَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَيَرْقُ لِحَالِهِ.

١- الديوان ١٠١/٢ (من البسيط).

ومن قصيدة في الغزل يقول المرتضى: ^(١)

عادت إلى بغيضة فتوددت	هيهات، من جعل البغيض حبيباً؟
عادت إلى فخلت أن شبيبتي	خلست وأبدلها الزمان مشيباً
فكأنني أبصرت منها بغيضة	يوم الوصال من الحبيب رقيباً
ووددت أن طلوعها مقلية	مشينة في الناس كان غروباً
قد كنت لي داء ولكن لم أجد	من داء شقمك في الرجال طيباً
ولهذا زمن مضى ما كان لي	قرب إليك وكنيت منك سلباً

لو كنت عيباً واحداً صبرت له نفسي ولكن كنت أنت عيوباً

والقصيدة مكونة من ستة عشر بيتاً، وهي تتحدث عن بغض الشاعر لامرأة كان يعشقها، ورغبته في أن تنصرف عنه. ومن ثم نراه في بداية القصيدة يتحدث عن هذه المرأة بضمير الغياب، مُصَوِّراً للمتلقى مشاعره نحوها، وأنه لم يعد يطيقها، ومخبراً إياها بأنها - بعد جفاء - قد عادت إليه راجية وصالاً، ولكن هيهات إذ كيف يتحول الكره إلى حب، ومظهراً أنه - حين أصرت على العودة إليه - قد سئم منها، وظن أن قدومها قد أفقده شبابه وألبسه مشيباً. . . . ثم هو يتمنى أن تغرب هذه البغيضة من حياة الناس جميعاً لا من حياته فحسب.

ثم نراه ينحرف في باقي القصيدة (أي في الأبيات من الخامس إلى السادس عشر) عن ضمير الغياب إلى ضمير الخطاب متوجهاً بحديثه إلى هذه المرأة مخبراً إياها بأنها قد كانت له داء عضالاً لم يجد منه شافياً، وأنه يفضل زمناً ولي كان بعيداً

1 - الديوان: ١/ ٧٣، ٧٤. (من الكامل).

عنها. . ذاكراً لها - في ختام القصيدة - أن بها عيوباً كثيرة، وأنه لو كان بها عيبٌ واحدٌ لاحتمله لعله بهذا الصنيع - أي بمواجهتها بكرهه لها - يُيَسُّسُها من وصاله، فتصرف عَنْهُ.

٤ - الانتقال من ضمير الخطاب إلى ضمير الغياب :

يقولُ المُرْتَضَى في مطلع مقطوعة في النسيب^(١)
على كُلِّ حَالٍ أَنْتِ قَاسِيَةُ الْقَلْبِ فَلَا عَذْلِي يُجِدِي عَالِيٍّ وَلَا عَثْبِي
وَلَمْ أَنْسَهَا يَوْمَ الْفِرَاقِ وَوَجْهَهَا يَضِيءُ لَنَا خَلْفَ الْبَرَاقِعِ وَالْحُجُبِ

والشاعرُ في البيتِ الأولِ يتحدثُ إلى صاحبتِه معاتباً لها واصفاً إياها بأنها ذاتُ قلبٍ قاسٍ، لا يَليْنُ لَهُ ولا يَرَحْمُهُ، وأنها لا يَنْفَعُ معها لَوْمٌ أو عتابٌ. لعلَّ قلبها بهذا العتابِ يرقُّ لَهُ ولا يقسو. ثُمَّ هُوَ في البيتِ الثاني يخبِرُ بأنها قد هَمَّتْ بفراقِه، ولم تتراجعَ عَمَّا هَمَّتْ بِهِ، وأنه لم ينسَ جمالَ وجهِها الذي بدَا له من خَلْفِ حجابِها ساعةَ فِرَاقِها.

وقد انحرفَ الشاعرُ في البيتِ الثاني عن ضميرِ الخطابِ إلى ضميرِ الغيابِ، فقالَ " وَلَمْ أَنْسَهَا يَوْمَ الْفِرَاقِ وَوَجْهَهَا يَضِيءُ " وكانَ من مقتضى السياقِ أنْ يقولَ " وَلَمْ أَنْسِكْ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَوَجْهَكَ يَضِيءُ " حيثُ غَيَّبَ المحبوبةَ وتحدثَ عنها في البيتِ الثاني بعد ما تحدثَ إليها في البيتِ الأولِ، إذْ إنه يتحدثُ في البيتِ الثاني عن رحيلِ المحبوبةِ وفراقِها. فالمحبةُ قَدْ رَحَلَتْ عن الشاعرِ، وَذَهَبَتْ بعيداً عن مقامِ الخطابِ، فلا يَمُضِي ضميرُ الغيبةِ حالَ المحبوبةِ / الخلافة.

٥ - الانتقال من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة :

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْاِفْتِخَارِ يَقُولُ المُرْتَضَى :^(٢)

١ - الديوان : ١١٧ / ١ (من الطويل).

٢ - الديوان : ١٥٦ / ١ (من الطويل).

فَأَقْسَمُ بِالْبَيْتِ الَّذِي جَوَّلْتُ بِهِ
وَالْبُذْنِ فِي وَادِي مَنَى يَوْمَ عَقْرِهِمْ
وَمَنْ بَاتَ فِي جَمْعٍ كَلِيلًا مِنَ الْوَجَا
لِنَحْنُ بَنُشْرِ الْفَخْرِ أَعْبَقُ مِنْكُمْ
لَنَا السَّلَفُ الْأَعْلَى الَّذِي تَعْهَدُونَهُ
هُمْ أَوْسَعُوا فِي النَّاسِ ضِمْنًا أَكْفَهُمْ
وَهُمْ وَرِثُوا آبَاءَهُمْ مَأْثَرَاتِهِمْ
وَنَحْنُ غَدَاةُ الْجَذْبِ خَيْرٌ مَخَاصِبِ

أَخَامِصُ أَقْصَامِ كِرَامِ مَلَاوِثٍ^(١)
يُقَدِّنَ إِلَى أَيْدِي هُنَاكَ فَوَارِثِ^(٢)
إِلَى شُعَيْثٍ مِنَ السُّرَى وَأَشَاعِثِ
وَأَسْمَقُ مِنْكُمْ فِي الْجِبَالِ اللَّوَابِثِ
عَلَقْنَا بِهِ مِنْ وَرَاثٍ بَعْدَ وَارِثِ
وَهُمْ أَوْسَعُوا فِي الْأَزْمِ جَوْعَ الْمَغَارِثِ
وَأَنْتُمْ مِنَ الْعَلْيَاءِ غَيْرُ مَوَارِثِ
وَنَحْنُ غَدَاةُ الرَّوْعِ خَيْرٌ مَغَاوِثِ

والشاعر في الأبيات السابقة يخاطبُ بنى عَمِّهِ العباسيين مفتخرًا عليهم، فيقسمُ بالكعبة وبالنوق التي قُيِّدَتْ إِلَى وَادِي مَنَى لتذبح، كما يقسمُ بالحجيج الذين أمضوا ليلتهم مرهقين، حفاةً شُعْثَ الشعور لسيرهم ليلاً يقسمُ بِكُلِّ ذَلِكَ مُؤَكِّدًا للعباسيين أَنَّ مفاخرَ العلويين تفوقُ مفاخرَهُمْ، فالعلويون ينتسبونَ لخير سلفٍ أولئك الكرامِ المجاويد الذين وَرِثُوا الشَّامِلَ الْكَرِيمَةَ مِنْ آبَائِهِمْ، أما العباسيون فَلَمْ يَرِثُوا مَجْدًا يفتخرونَ بِهِ.

ومن الملاحظ أن المُرْتَضَى حينَ أَرَادَ أَنْ يَنَظَرَ الْعَبَّاسِيَّ وَيَفَاخِرَهُمْ قَدْ تَحَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْبَيْتَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ، فَقَالَ "لَنَحْنُ بَنُشْرِ الْفَخْرِ"، لَنَا السَّلَفُ الْأَعْلَى "لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ الْمُنَاطَرَةَ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ. ثُمَّ لَمَّا بَدَأَ لَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنْ مَفَاخِرِ أَجْدَادِهِ انْحَرَفَ بِالْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ، فَقَالَ "هُمْ أَوْسَعُوا"، "هُمْ وَرِثُوا"؛ وَذَلِكَ لِيَقْصَّ عَلَيْنَا مَأْثَرَاتِ أَجْدَادِهِ وَفَضَائِلَهُمْ. ثُمَّ انْحَرَفَ الْمُرْتَضَى مَرَّةً أُخْرَى بِالْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى

1- مَلَاوِثُ : شُرَفَاءُ .

2- الْبُذْنُ : النَّوْقُ ، الْقَوَارِثُ : الْقَوَاطِعُ .

التَّكَلُّمِ، فَقَالَ "وَنَحْنُ غَدَاةُ الْجَدْبِ"، "وَنَحْنُ غَدَاةُ الرَّوْعِ" ومضى على هذه الطريقة إلى آخر القصيدة ؛ - لأنَّ طريقة التَّكَلِّمِ "هى التى تتسعُ لِفَيْضِ شعوره، واعتزازه بفضائله"^(١)

ثالثا التذكير والتأنيث :

١-الإخبار عن المؤنث بالذكر / الغزل بالذكر :
ولقد انحرف المُرْتَضَى عن الغزلِ بالمؤنثِ إلى الغزلِ بالذكرِ ؛ لأنه قد تأثر - كشعراء عصره - بها طراً على مجتمعه من تغير. فقد "كثُر الرقيقُ فى العصر العباسيَّ كثرةً مُفْرِطَةً بسببِ كثرةٍ من كانوا يُؤسِّرونَ فى الحروبِ وبسببِ انتشارِ تجارتِه"^(٢) ومن ثمَّ فقد كثُر استخدامُ الغلمانِ فى القصورِ وفى دورِ الوجهاءِ وفى حاناتِ الشرابِ وغيرها. وقد كان من المألوفِ أن يَهَبَ الخليفةُ أو غيرهُ شاعراً من الشعراءِ الذين يمدحونه - سوى المنحةِ الماليةِ - جاريةً أو غلاماً.^(٣)

هَذَا، ولم يخرج المُرْتَضَى فى غزلهِ بالذكرِ عن إطارِ غزلهِ بالمؤنثِ، حيثُ كانَ غزلاً عفيفاً لا فُحْشَ فِيهِ.

ويبدو لى أن المُرْتَضَى قد اسْتَطَاعَ أن يُوظِّفَ هذا الغزلَ تَوْظِيفاً فَنِيّاً حيثُ استخدمَ فى تعبيره لغةَ شعراءِ الغزلِ العفيفِ ومعجمَهُم الشعرىَّ استخداماً رَمَزيّاً، فتراهُ يرمزُ بالمحبوبِ - كما سنبينُ - تارةً إلى عفتِهِ وتقائِهِ وطهرِهِ، وتاراتٍ إلى الإمامَةِ التى سَلَبَتْ من العلويينَ.

1- خصائص التراكيب - ص ٢٥٣ .

2- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول - مرجع سابق - ص ٥٦ .

3- انظر: ابن المعتز : طبقات الشعراء - تحقيق عبدالستار فراج - دار المعارف - مصر - ص ٢٠٥ .

يقول المرتضى في النسيب :^(١)

فؤادى مَشْغُولٌ بِكَ العَمْرَ كُلَّهُ وأنت - كما يهوى الخليّون - فارغٌ
وإن ألك في دار الهوى وَشَطَّ عَقْرِهَا فإنك عن دار الصباية رائغٌ
تباعدت عَنِّي بَعْدَ أَنْ قَدْ مَلَكَتْنِي فألا ولم تبلغ بقلبي المبالغُ
خُلِقْتَ بِقَلْبٍ لَمْ تَجْزُ فِيهِ صَبَوَةٌ وقد صاغ قلبي للصباية صائغٌ

والمرتضى في هذه المقطوعة يتوجه بخطابه الشعريّ إلى محبوبه الذى لا يشعرُ بهواه، مستعطفًا إياه. فالمحبوب قد ابتعد عنه بعدما استقرّ في قلب الشاعر حُبّه، وملك عليه كل شيء من أمره.

ويبدو لي أنّ هذا الغزل يَنحُو مَنحَى رَمَزيًا، وأنّ الشاعر قد رمزَ بالمحبوب للإمامة / الخلافة التى تقع في الصميم من قلبه، وهى بعيدة عنه.

وفي النسيب أيضًا، يقول المرتضى :^(٢)

أَمَلَّتْنِي وَزَعَمْتَ أَنَّـ سَنَكَ خَائِفٌ مِّنِّي الْمَلَأَهُ ؟
وَأَطَعْتَ فِيَّ وَمَا أَطَعـ سَتَ مُحَرِّفًا - أَبَدًا - مَقَالَه
وَعَلِمْتَ مِّنِّي مَا عَلِمـ سَتَ فَلِمَ عَلِمْتَ عَلَى الْجَهَالَه
يَا مَنْ جَفَانِي فِي النُّضْجِي وَأَزَارَنِي وَهَنَا خِيَالَه
وَحَرَمْتَ مِنْهُ صَحِيحَه وَقَلَبْتَ مَضْطَرًا مُحَالَه
هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَنَا ضِمْنُ الْجَمِيلِ فَمَا بَدَالَه

والمرتضى في هذه المقطوعة يتوجه بخطابه الشعريّ إلى محبوبه مُعَاتِبًا له. فهو قد صدّ عنه وأطاع فيه قول الوشاة، ولم يتبين حقيقة ما عَلِمَ. ثم يمضى المرتضى في حديثه فيصفُ محبوبه بأنه قد كان يزوره ليلاً لا نهارًا، يزوره حلمًا لا حقيقة. والمرتضى -

1 - الديوان: ٢ / ٢٤١ (من الطويل).

2 - الديوان: ٣ / ٧٣، ٧٤ (من مجزوء الكامل).

رغمًا عنه - قانعٌ منه بهذا، وإلا فماذا يفعلُ ؟ لا شيءَ سوى الأملِ. إنه يتمنى من محبوبه ألا يبخلَ عليه ببعضِ الجميلِ، ويجودَ عليه بزيارةٍ حقيقيةٍ.

فالمحبوبُ هاهنا - كما هو واضحٌ - رمزٌ للخلافةِ التي ابتعدتْ عن أيدي العلويين، وصارتْ لا تأتيهم واقعا بل حُلما، والتي يتمنى الشاعرُ أن تعودَ إلى أصحابِها مَنْ هُمْ أَحَقُّ مِنْ غيرِهِم بها.

وإذن، فقد استطاعَ المُرتضى بِحَقٍّ - من خلالِ تأثيره بحضارةِ عصره أى خلالِ غزلهِ بالمذكر - أن يُعبّرَ عن هَمِّ يشغلُ عقله، ويقضُ مضجعه، وهذا الهَمُّ هو انتزاعُ الخلافةِ (الإمامة) من العلويين.

٢ - الالتفات من ضمير الإناث إلى ضمير الذكور :

ويقولُ المُرتضى في النسيب :^(١)

أقولُ لها لما التقينا على منى	وأبرزَها ذاكَ الخمارُ المُصبَّغُ
وأبدتْ صُدودًا لم يكنْ عادةً لها	وقد يتجنى في الهوى المتمرِّغُ
لقد خانَ مَنْ أَدَّى الحالَ إليكمُ	ومانَ علينا في المقالِ المبلِّغُ ^(٢)
شغلنا وأنتم فارغون ولم يعج	على ذى اشتغالٍ - دهره - المتفرِّغُ
كأننى أشكو الحبَّ شكوى مجمِّم	فتى ضلَّ عنْ وأدى البلاغةَ ألثغُ

والشاعرُ في المقطوعةِ السابقةِ يتوجه بخطابه الشعرى إلى محبوبتهِ حاثًا لها على حُبِّه. فهو قد التقى بها على وادى منى، وقد أعرضتْ عنه على غيرِ عادتها. وهو قد شغلَ بحبِّها ولا يستطيعُ أن يبوَحَ به، وهى فارغةٌ من حُبِّه.

ومن الملاحظِ أنَّ المُرتضى قد خاطبَ محبوبتهِ في البيتينِ الأولِ والثانى بضميرِ المفردِ المؤنثِ، فقال " أقول لها "، " أبدتْ صُدودًا " ثم انحرفَ عن ذلكَ في الأبياتِ

1 - الديوان ٢ / ٢٤١ (من الطويل) ..

2 - مَانَ : كَذَبَ .

التالية للبيتين، والتفت إلى مخاطبة محبوبته بضمير جمع الذكور، فقال "إليكم"، "أنتم فارغون" وكان من مقتضى السياق النحوي أن يقول "إليك"، "أنت فارغة".

وأنا أرى أن المترضى قد انحرف في هذه المقطوعة، فالتفت في مخاطبته للمحبوبة من ضمير الإناث إلى ضمير الذكور؛ ليوحي لمتلقيه بأنه لم يكن يتحدث عن حب امرأة، وإنما هو يتحدث عن حب حُكم وخلافة. وما المرأة في هذا السياق إلا رمز للخلافة، بدليل قوله في آخر مقطوعته:

كَأَنِّي أَشْكُو الْحَبَّ شَكْوَى مُجْمَعٍ فَتَى ضَلَّ عَنْ وَادِي الْبَلَاغَةِ أَلْثَغُ

فالمترضى يحب حباً يُغْمِغُمُ به لسانه ولا يستطيع أن يبوَحَ به، وكأنه فتى أَلْثَغُ لا يحسن الكلام ولا يجيده. إِنَّهُ يُحِبُّ الْخَلَاْفَةَ حُبًّا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْصَحَ عَنْهُ أَوْ أَنْ يَشِيرَ إِلَيْهِ تَقِيَّةً لأولى الحكم والسُّلْطَانِ.

ويقول من قصيدة في الفخر: ^(١)

قَدْ كَانَ يُدْرِكُ عِنْدَكُنَّ السُّوْلُ فَالآنَ لَا وَصْلٌ وَلَا تَعْلِيلُ
لَيْلٍ - وَأَنْتُمْ نُزْخٌ بِمُحَجَّرٍ - لَيْلُ - كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ - طَوِيلُ
لَمْ يَبْقَ مِنِّي بَعْدَ يَوْمٍ فِرَاقِكُمْ إِلَّا دَمَوْعٌ لِلْفِرَاقِ تَسِيلُ

وقد وردت الأبيات السابقة في سياق النسيب والشاعر في البيت الأول يتحدث - كما قلت قبلاً عن علاقته بمحبوبته، وأنها كانت قائمة في الماضي على الوصال ثم تحولت الحبيبة - بعد - إلى الصَّدِّ والاجتناب دون ذكرها للأسباب. وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ آثَرَ الشاعر مخاطبة هذه المحبوبة بضمير جمع الإناث، فقال "عندكن" لأن سياق البيت سياق حديث عن علاقة الشاعر بمحبوبته. وهذه العلاقة لا تكون إلا بينه وبينها فحسب وليوحي للمتلقى بإشاراته هذه إلى أنوثتها - بأنه يستعطفها أملاً في وصالها.

1 - الديوان: ٣ / ٣١ (من الكامل).

ثم انحرف الشاعر في البيتين الثاني والثالث عن ضمير الإناث إلى ضمير الذكور، فقال: "أَنْتُمْ"، "فراقكم" وكان من مقتضى السياق أن يقول: "أَنْتُنَّ"، "فراقكنَّ"، ولكن الشاعر انحرف عن هذا السياق؛ لأنه في البيتين يتحدث عن رحيل المحبوبة وفراقها وهذا الرحيل لم يكن منها وحدها وإنما هي قد رحلت وقومها، مما يوحي بعفتها وطهرها.

كما يوحي هذا الالتفات بأن هذه المرأة - التي عدل عنها إلى المذكر - رمز للخلافة التي رحلت عن الشاعر وفارقتة، ولم تبق له إلا الدموع والأحزان.

٣- الالتفات من ضمير الذكور إلى ضمير الإناث :

يقول المرتضى في مطلع قصيدة في الفخر: ^(١)

رَضِينَا مِنْ عِدَاتِكَ بِالْمِطَالِ	وَمِنْ جَذْوَالِكِ بِالْوَعْدِ الْمُحَالِ
وَأَقْنَعَنَا هَوَاكِ وَقَدْ ظَمِئْنَا	إِلَى وَرْدِ الزُّلَالِ بِكُلِّ آلِ
وَأَنَسَانَا دَوَامُ الْهَجْرِ مِنْكُمْ	وَطَوُلُ النَّأْيِ أَيَّامُ الْوِصَالِ
وَكُنْتَ الزُّورَ يَطْرُقُنِي مَسَاءً	وَإِنْ مَنَعَ الضُّحَى فإِلَى ظِلَالِ
إِلَى أَنْ صَدَّكَ الْوَاشُونَ عَنَّا	فَمَا نُزْدَارُ إِلَّا فِي الْخِيَالِ

والمرتضى في الأبيات السابقة يخاطب محبوبته يائسا من وصالها. فهو قد أصبح راضيا بمماطلتها في اللقيان، وصار قانعا بوعدِها المحال، فقد أنساه الصد منها أيام الوصال. أما المحبوبة فقد كانت تزوره ليلا ثم غدت - بصنع الوشاة - لا تزوره إلا حُلما، ومن الملاحظ في الأبيات السابقة - التي وضعها المرتضى مقدمة للفخر بأجداده - أن المرتضى قد خاطب محبوبته في البيتين الأول والثاني بضمير المفرد المؤنث، قائلا: "عِدَاتِكَ"، "هواكِ" ثم انحرف المرتضى في البيت الثالث، فخاطب

المحبوبة بضمير جمع الذكور، فقال : " مِنْكُمْ " وكان من مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنْ يَقُولَ " مِنْكَ ". ثُمَّ انْحَرَفَ مِنْ جَمْعِ الذُّكُورِ إِلَى الْمُؤَنَّثِ الْمَفْرَدِ فِي الْبَيْتَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ فَقَالَ " وَكُنْتَ " ، " صَدَّكَ " وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى سِيَاقِ الْبَيْتِ الثَّالِثِ أَنْ يَقُولَ " كُنْتُمْ " ، " صَدَّكُمْ " لِيَسْتَمِرَّ الْخُطَابُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَيَبْدُو لِي أَنَّ الْمُرْتَضَى قَدْ قَامَ بِهَذَا الانْحِرَافِ عَنِ النَّظَامِ النَّحْوِيِّ فِي هَذَا السِّيَاقِ الَّذِي يُقَدِّمُ بِهِ لِلْاِفْتِخَارِ بِأَجْدَادِهِ ؛ لِيُؤْخِىَ لِلْمَتَلَقَّى بِأَنَّ الْمَحْبُوبَةَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا لَيْسَتْ امْرَأَةً حَقِيقَةً وَإِنَّمَا هِيَ رَمْزٌ لِلْخِلَافَةِ / الْإِمَامَةِ الَّتِي هَجَرَتْهُمْ لِغَيْرِهِمْ، وَمَاطَلَتْ فِي الْوِصَالِ، وَصَارَتْ لَا تَزُورُهُمْ إِلَّا حُلُمًا بِسَبَبِ الْوَاشِينَ. وَقَدْ رَمَزَ الْمُرْتَضَى بِكَلِمَةِ " الْوَاشُونَ " فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ إِلَى خُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ آنَ ذَاكَ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ الْخِلَافَةَ مِنْ أَنْ تَذْهَبَ لِغَيْرِهِمْ.

الخاتمة

لَقَدْ قُمْتُ فِي هَذَا الْبَحْثِ - مُعْتَمِدًا عَلَى الْمَنْهَجِ الْأُسْلُوبِيِّ - بِرَاضٍ الْخَوَاصِّ
الْأُسْلُوبِيَّةِ التَّرَكِيبِيَّةِ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى وَتَصْنِيفِهَا ثُمَّ وَصَفِهَا وَتَحْلِيلِهَا مَعَ رَدِّهَا إِلَى
أَصْلِهَا الْمَعْيَارِيِّ ؛ وَذَلِكَ بِهَدَفِ الْوُصُولِ إِلَى الدَّلَالَةِ مِنْ وَرَاءِ التَّرَكِيزِ عَلَى تِلْكَ
السَّمَاتِ التَّرَكِيبِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا وَبَيَانِ دَوْرِهَا فِي سِيَاقِ النَّصِّ مَوْضِعِ الدِّرَاسَةِ.

وَلِأَنَّ الْبَحْثَ بَحْثٌ تَطْبِيقِيٌّ فَهُوَ جَدِيدٌ، وَمُعْظَمُ جَوَانِبِهِ نَتَائِجٌ ؛ وَلِذَا فَإِنِّي
سَأَكْتَفِي فِي هَذِهِ الْخَاتِمَةِ بِذِكْرِ أَهَمِّ التَّفْسِيرَاتِ الدَّلَالِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالرَّمْزِيَّةِ الَّتِي كَشَفَتْ
عنها التَّرَاكِبُ خِلَالَ الْبَحْثِ، وَهِيَ - مُوجِزَةً - كَالتَّالِي :-

أولاً: لَقَدْ كَشَفَتْ التَّرَاكِبُ عَنْ أَنَّ مُهِمَّةَ الشُّعْرِ وَوُضُوعَهُ عِنْدَ الْمُرْتَضَى هِيَ
الدَّفَاعُ عَنِ الْعَلَوِيِّينَ وَمُنَاصَرَتُهُمْ.

ثانياً: كَمَا كَشَفَتْ عَنْ أَنَّ غَزَلَ الْمُرْتَضَى لَمْ يَكُنْ غَزْلاً حَقِيقِيًّا ؛ إِذْ كَانَ يَرْمِزُ بِالْمِرَاةِ
تَارَةً إِلَى عِفَّتِهِ وَنَقَائِهِ وَطُهْرِهِ، وَتَارَاتٍ إِلَى الْإِمَامَةِ الَّتِي سَلَبَتْ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ.

ثالثاً: وَكَشَفَتْ عَنْ تَأَثُّرِ الْمُرْتَضَى بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي لُغَتِهِ وَمَعَانِيهِ وَأَفْكَارِهِ
وَصُورِهِ، وَلَا غَرْوَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ نَقِيبَ الْعَلَوِيِّينَ فِي عَصْرِهِ، وَفَقِيهِهِمْ.

رابعاً: وَكَشَفَتْ عَنْ أَنَّ الْمُرْتَضَى كَانَ يَمِيلُ إِلَى السُّهُولَةِ فِي الْأَدَاءِ عَلَى نَحْوِ يَقْتَرَبُ
اقْتِرَابًا شَدِيدًا مِنْ لُغَةِ الْحَيَاةِ آنَذَاكَ.

وَهُوَ يَفْعَلُ هَذَا إِمَّا رَغْبَةً فِي انْتِشَارِ شِعْرِهِ بَيْنَ الْعَامَّةِ بِهَدَفِ نَشْرِ الْمَذْهَبِ الشَّيْعِيِّ
وَالتَّرَكِيزِ عَلَى أَهَمِّ مَبَادِيهِ - وَهُوَ أَحَقِّيَّةُ الْأُئِمَّةِ الْإِثْنَى عَشْرِيَّةِ فِي الْخِلَافَةِ مِنْ سِوَاهُمْ -
وَالْتَّنِيدِ بِالْخِلَافَةِ الَّتِي تَجَسَّدَتْ فِي الْأُمَوِيِّينَ فِي بَادِي الْأَمْرِ ثُمَّ فِي الْعَبَّاسِيِّينَ بَعْدَهُمْ ؛
وَذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَوْحِيدِ صُفُوفِ الشَّيْعَةِ، وَإِمَّا - تَأَثُّراً بِبَيْئَةِ بَغْدَادِ الْحَضَرِيَّةِ وَبِرُوحِ
عَصْرِهِ الْأَجْتِمَاعِيِّ، وَبِمَا سَادَ فِيهِ مِنْ تَرَائِبٍ لُغَوِيَّةٍ جَدِيدَةٍ اسْتَحْدَمَهَا الشُّعْرَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ
لَكِنِّي يُودُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَعَانِي بَعِيْنَهَا، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ: يَا أَمَلِي، يَا سَكْنِي... إلخ

خامسًا: وكشفت عن تأثيره بالحياة العربية القديمة التي كان الشاعر فيها يعتمد على إلقاء شعره لا على كتابته وتدوينه، ومن ثم فقد كثرت التكرار في الشعر؛ ليسهل حفظه أولًا، وليأثر في المتلقين ثانيًا.

سادسًا: وكشفت التراكيب عن أن المرتضى كان يمدح العباسيين تقيّة لهم وفقًا لمبدأ الشيعة، كما كان يفتخر بنفسه وبآبائه وأجداده ليقرر أنهم - أي العلويين - أحق بالخلافة من الأمويين والعباسيين ومن غيرهم.

سابعًا: وكشفت التراكيب عن أن السر الذي يحتفظ به المرتضى بين ضلوعه ولا يستطيع أن يوضح به ويتطرّق وقتًا معينًا ليفصح عنه هو أن العلويين أحق بالخلافة من العباسيين.

ثامنًا: ولقد أوحى التراكيب بأن سبب الهموم التي لا تفارق المرتضى، والتي ستبقى - أبد الدهر - تلازمه وهو لا يستطيع أن يفصح عنها خيفة هو تذكر ما نزل بالبيت من قتل وتشريد وسلب للخلافة منهم وهم أحق بها من غيرهم.

وبعد، فإن شعر الشريف المرتضى ما يزال في حاجة إلى درس وتحليل على مستويات أخرى، ومن ذلك - مثلاً - دراسة الأبنية الموسيقية ومدى فاعليتها في البناء الشعري، ودراسة التناسيب في شعره وكيف وظفها المرتضى للإفصاح عن أسرار دلالية.

ولذا أوصي الباحثين بأن يقوموا بهاتين الدراستين وبغيرهما على شعر المرتضى من أجل تفسيره وفهمه.

والحمد لله في البدء والختام، وعليه - سبحانه - قصد السبيل.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المقدسة :

١ - القرآن الكريم.

ثانياً المصادر :

١ - الشريف المرتضى : ديوان الشريف المرتضى - تحقيق : رشيد الصفار -

مطبعة الحلبي - القاهرة - ١٩٥٨ م.

ثالثاً: المراجع العربية :

١ - إبراهيم عبدالرحمن محمد : الشعر الجاهلي، قضاياها الفنية والموضوعية - الشركة

المصرية العالمية للنشر - لونغمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠ م.

٢ - ابن الأثير : المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر - دار النهضة - مصر -

١٩٧٣ م.

٣ - أبو العتاهية : شرح ديوان أبي العتاهية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- الطبعة الأولى - ١٩٨٥ م.

٤ - أحمد بن حنبل : المسند - تحقيق : أحمد شاكر - دار المعارف - القاهرة - (د. ت.) .

٥ - أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب للطباعة

والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨ م.

٦ - أحمد عبدالستار الجوارى : نحو المعاني - مطبعة المجمع العلمي العراقي -

١٩٨٧ م.

٧ - أحمد يوسف علي : دوائر النقد الأدبي - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية -

القاهرة - ٢٠٠٤ م.

٨ - _____ : قراءة النص، دراسة في الموروث النقدي - الناشر : مكتبة الأنجلو

المصرية - القاهرة - ١٩٨٨ م.

- ٩- — : مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ٢٠٠٤ م.
- ١٠- ابن اسحاق الكليني الرازي : الكافي في الإمامة - صححه وعلق عليه : على أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران - الطبعة الثالثة - (د. ت).
- ١١- أسامة بن منقذ : البديع في نقد الشعر - تحقيق : أحمد بدوي ، حامد عبد الحميد - الحلبي - ١٩٦٠ م.
- ١٢- بهاء الدين السبكي : عروس الأفراح ، ضمن شروح التلخيص - القاهرة - عيسى الحلبي - ١٩٣٧ م.
- ١٣- بشار بن برد : ديوان بشار بن برد : تقديم وشرح وتكميل / محمد الطاهر بن عاشور - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٦ م.
- ١٤- جمال عبد المجيد : بلاغة النص ، مدخل نظري ، دراسة تطبيقية - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ م.
- ١٥- ابن جنى : الخصائص - الهيئة المصرية العامة للكتاب - (د. ت)
- ١٦- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية - دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٨ م.
- ١٧- حسنى عبد الجليل : أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ م.
- ١٨- حنا الفاخوري ، و خليل الجر : تاريخ الفكر الفلسفى عند العرب - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ م.
- ١٩- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، المسمى بغية الإيضاح لتلخيص

المفتاح - شرح عبد المتعال الصعیدی - مكتبة الآداب - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠ م.

٢٠ - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان - تحقيق : إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٦٨ م.

٢١ - الراغب الأصفهانی : المفردات في غريب القرآن - تحقيق : محمد أحمد خلف الله - مكتبة القاهرة - القاهرة ١٩٧٠ م.

٢٢ - الزركشى : البرهان في علوم القرآن - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث - القاهرة - ١٩٥٧ م.

٢٣ - الزمخشري : الكشاف - دار المعرفة - ١٩٥٧ م.

٢٤ - سعد الدين التفتازاني : المطول - مطبعة أحمد كامل - ١٣٣٠ هـ.

٢٥ - ابن السراج : الأصول في النحو - تحقيق عبد الحسين الفاتلي - مطبعة النعمان - النجف - ١٩٧٣ م.

٢٦ - سعد دغيس : تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي - دار الثقافة - الزمالك - القاهرة - ١٩٨٠ م.

٢٧ - سعيد حسن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م.

٢٨ - السكاكي : مفاتيح العلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - (د. ت.).

٢٩ - سوزان فؤاد فهمي : شبه الجملة، دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م.

٣٠ - سيويه : الكتاب - تحقيق : عبد السلام هارون - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٦ م.

- ٣١- السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن - الحلبي - القاهرة - ١٩٥١ م.
- ٣٢- السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات النحاة - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - الحلبي - القاهرة - ١٩٦٥ م.
- ٣٣- — : معترك الأقران فى إعجاز القرآن - تحقيق : على محمد البجاوى - دار الفكر العربى - ١٩٧٣ م.
- ٣٤- الشريف المرتضى : الأمالى - تحقيق : أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربى - بيروت لبنان ١٩٩٨ م.
- ٣٥- شفيع السيد : التعبير البيانى ، رؤية بلاغية نقدية - دار الفكر العربى - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٩٨٨ م.
- ٣٦- شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة - ١٩٩٦ م.
- ٣٧- — : العصر العباسى الأول - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة عشرة - (د. ت.) .
- ٣٨- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م.
- ٣٩- — : علم الأسلوب ، مبادئ وإجراءاته - دار الشروق - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٨٨ م.
- ٤٠- — : نظرية البنائية فى النقد الأدبى - دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٩٨ م.
- ٤١- عبد الحكيم راضى : نظرية اللغة فى النقد العربى - مكتبة الخانجى - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م.
- ٤٢- عبد القادر حسين : فن البلاغة - مطبعة الأمانة - القاهرة - ١٩٧٧ م.

- ٤٣- عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر
- مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٩٩٢ م.
- ٤٤- _____ : أسرار البلاغة : قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر - الناشر :
مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١ م.
- ٤٥- عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي ، الرؤية والفن - الناشر المكتبة
الأكاديمية - الطبعة الأولى - ١٩٩٤ م.
- ٤٦- العلوي : الطراز ، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٨٢ م.
- ٤٧- علي بن الجهم : ديوان علي بن الجهم - تحقيق : خليل مردم - دار صادر -
بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٩٦ م.
- ٤٨- عامر النجار : في مذاهب الإسلاميين . الخواج ، الإباضية ، الشيعة - دار
المعارف - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ م.
- ٤٩- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الألفية - تحقيق : محي الدين عبد الحميد - دار
التراث - القاهرة - الطبعة العشرون - ١٩٨٠ م.
- ٥٠- فتح الله سليمان : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية - مكتبة الآداب -
القاهرة - ١٩٩٧ م.
- ٥١- فخر الدين قباوة : إعراب الجمل أشباه الجمل - دار الآفات الجديدة - بيروت
- الطبعة الثالثة - ١٩٨١ م.
- ٥٢- ابن فارس : الصحاح في فقه العربية - تحقيق : السيد أحمد صقر - الحلبي
القاهرة - ١٩٧٧ م.
- ٥٣- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - دار المنار للنشر والتوزيع - القاهرة - (د-ت).
- ٥٤- لطفى عبد البديع : التركيب اللغوي للأدب - الشركة المصرية العالمية للنشر -
لونجمان - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م.

- ٥٥- كمال الدين بن الفوطى : تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب - تحقيق - مصطفى جواد - المطبعة الهاشمية - دمشق - ١٩٦٢ م.
- ٥٦- المبرد : المقتضب - تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر - ١٣٩٩ هـ.
- ٥٧- محمد أبو موسى : خصائص التراكيب / دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الخامسة - ٢٠٠٠ م.
- ٥٨- _____ : دلالات التركيب. دراسة بلاغية - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٨٧ م.
- ٥٩- محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار - نشر دار الكتب الإسلامية - طهران - ١٣٨٧ هـ.
- ٦٠- محمد بن الحسن الطوسي : الفهرست - تحقيق : محمد صادق بحر العلوم - المطبعة الحيدرية - ١٩٦١ م.
- ٦١- محمد عبد المطلب : البلاغة قراءة أخرى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٩٧ م.
- ٦٢- محمد بن على الجرجاني : الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة - تحقيق : عبد القادر حسين - دار النهضة - مصر - (د. ت.).
- ٦٣- محمد الهادى الطرابلسى : خصائص الأسلوب فى الشوقيات - المجلس الأعلى للثقافة - ١٩٩٦ م.
- ٦٤- محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة - الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨ م.
- ٦٥- محمود ياقوت : قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٥ م.
- ٦٦- مختار عطية : علم البديع ودلالات الاعتراض فى شعر البحتري، دراسة بلاغية

- دار الوفاء - لدينا الطباعة والنشر - الإسكندرية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م.
- ٦٧- مصطفى السعدنى : البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربى الحديث - منشأة المعارف - الإسكندرية - ١٩٨٧ م.
- ٦٨- مصطفى الشورى : شعر الرثاء فى العصر الجاهلى. دراسة فنية - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ م.
- ٦٩- ابن المعتز : طبقات الشعراء - تحقيق : عبدالستار فراج - دار المعارف - مصر (د. ت.).
- ٧٠- منير سلطان : بديع التراكيب فى شعر أبى تمام. الجمل والأسلوب - منشأة المعارف - الإسكندرية - ١٩٩٩ م.
- ٧١- موسى موسى : الشيعة والتصحيح. الصراع بين الشيعة والتشييع - مطابع الزهراء الإعلامى العربى - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٨٩ م.
- ٧٢- مازن الوعر : جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب فى ضوء نظرية النحو العالمى لتشومسكى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ م.
- ٧٣- ابن مالك : عمدة الحفاظ وعدة اللافظ - تحقيق : عبدالمنعم أحمد هريدى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٥ م.
- ٧٤- ابن هشام : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تصحيح محمد محى الدين عبدالحميد - مكتبة محمد على صبيح - القاهرة - (د. ت.).

رابعاً: المراجع المترجمة إلى العربية :

- ١- جون كوين : بناء لغة الشعر - ترجمة وتقديم وتعليق : أحمد درويش - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٩٩٣ م.
- ٢- ديفد ديتش : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق - ترجمة : محمد يوسف نجم - دار صادر - بيروت - (د.ت) - ص ٥٩٨.
- ٣- فندريس : اللغة - ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٠ م.

خامساً : المعاجم :

- ١- إبراهيم أنيس ورفاقه : المعجم الوسيط - اشرف على الطبع : حسن على عطية ومحمد شوقي أمين
- ٢- الزمخشري : أساس البلاغة - دار صادر - بيروت - ١٩٩٢ م.
- ٣- محمد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية - مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الثانية - ٢٠٠١ م.
- ٤- ابن منظور : لسان العرب - تحقيق : عبدالله على الكبير وزميليه - دار المعارف - (د.ت).

سادساً : المخطوطات:

- ١- عبدالرازق محي الدين : أدب الشريف المرتضى - رسالة دكتوراة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٥٦ م.
- ٢- منيب عبدالرازق : الغزل في شعر الشريف المرتضى، دراسة موضوعية وفنية - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٨٧ م

سابعاً: الدوريات :

- ١- يان موكارفسكى : اللغة المعيارية واللغة الشعرية - تقديم وترجمة : ألفت كمال الزوي - مقال بمجلة فصول - المجلد الخامس - العدد الأول - ١٩٨٤ م.

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٦-٥	علي سبيل التقديم بقلم أ. د/ أحمد يوسف علي
١٥-٧	المقدمة.....
٥٩-١٦	الفصل الأول : التقديم.....
١٨-١٦	تمهيد.....
١٨	التقديم في ديوان الشريف المرتضى.
١٩	أولاً : تقديم شبه الجملة.....
٢٠	النوع الأول : تقديم تتوسط فيه شبه الجملة التركيب..
٢٠	١- تقديم شبه الجملة على المفعول به.
٢٣	٢- تقديم شبه الجملة على الفاعل.
٢٥	٣- تقديم شبه الجملة على خبر الناسخ..
٢٦	٤- تقديم شبه الجملة على اسم الناسخ..
٢٩	٥- تقديم شبه الجملة على الخبر....
٣٠	٦- تقديم شبه الجملة على النعت..
٣١	٧- تقديم شبه الجملة على الحال..
٣٢	٨- تقديم شبه الجملة على نائب الفاعل.

٣٢	٩- تقديم شبه الجملة على المفعول المطلق
٣٣	١٠- تقديم شبه الجملة على التمييز
٣٤	١١- تقديم شبه الجملة على المفعول لأجله.
٣٥	النوع الثاني : تقديم تتصدر فيه شبه الجملة التركيب
٣٥	١- في الجملة الاسمية
٤٣	٢- في الجملة الفعلية
٤٦	ثانيًا : التقديم في التركيب الإسنادي :-.
٤٦	١- تقديم المبتدأ على خبره الفعلي
٤٦	أ- تقديم المبتدأ المثبت على خبره الفعلي
٥٠	ب- تقديم المسند إليه (لفظ مثل أو غير) على خبره الفعلي.
٥١	ج- تقديم المسند اليه المنفى على خبره الفعلي
٥٢	د- تقديم المسند اليه لفظ (ماكل) على خبره الفعلي
٥٣	٢- تقديم المسند
٥٣	أ- تقديم الخبر على المبتدأ
٥٤	ب- تقديم خبر الناسخ على اسمه
٥٤	ثالثًا : تقديم الفضلات والمكملات :-
٥٥	١- تقديم المفعول به الظاهر على الفاعل . .
٥٦	٢- تقديم الحال على صاحبها

٥٧	٣- تقديم النعت الجملة على النعت المفرد
٩٨-٦٠	الفصل الثاني : الإنشاء الطلبى :-
٦٠	تمهيد.....
٦١	الانشاء الطلبى فى ديوان الشريف المرتضى
٧٨-٦٢	أولاً : الاستفهام :-.....
٦٣	الاستفهام فى ديوان الشريف المرتضى...
٦٤	١- الاستفهام بـ (من).....
٦٦	٢- الاستفهام بـ (كيف).....
٦٧	٣- الاستفهام بـ (ما).....
٦٩	٤- الاستفهام بـ (الهمزة).....
٧١	٥- الاستفهام بـ (أين).....
٧٢	٦- الاستفهام بـ (هل).....
٧٣	٧- الاستفهام بـ (أى).....
٧٥	٨- الاستفهام بـ (كم).....
٧٦	٩- الاستفهام بـ (متى).....
٧٧	١٠- الاستفهام بـ (أنى).....
٨٦-٧٨	ثانيًا : الأمر :-.....
٧٩	١- الأمر بفعل الأمر.....
٨٥	٢- الأمر باسم فعل الأمر.....

٨٦	٣- الأمر بالمضارع المقرون بلام الأمر
٩٠-٨٦	ثالثًا : النداء :-.....
٨٧	١- النداء بالياء.....
٨٩	٢- النداء بـ (أيا).....
٩٠	٣- النداء بـ (الهمزة).....
٩٥-٩٠	رابعًا النهى.....
٩٨-٩٥	خامسًا : التمنى.....
١١٩-٩٩	الفصل الثالث : التركيب الشرطى :-
٩٩	تمهيد.....
١٠١	التركيب الشرطى فى ديوان الشريف المرتضى
١٠٢	١- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (إن)
١٠٨	٢- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (إذا)
١١٤	٣- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (لو)
١١٦	٤- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (لما)
١١٦	٥- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (لولا)
١١٧	٦- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (متى)
١١٨	٧- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (كلما)
١١٩	٨- التركيب الشرطى المصدر بالأداة (من)
١٤٤-١٢٠	الفصل الرابع : الحذف.....

١٢٠	تمهيد.....
١٢١	الحذف في ديوان الشريف المرتضى...
١٢٤	أولاً : حذف جزء الكلمة.....
١٢٤	١- الترخيم.....
١٢٥	ثانيًا : الحذف في الحروف.....
١٢٥	١- الحذف في حروف الجر...
١٢٧	٢- حذف حرف النداء.....
١٢٩	٣- حذف همزة الاستفهام.....
١٣١	ثالثًا : الحذف في التركيب الإسنادي...
١٣١	١- حذف الفاعل.....
١٣١	٢- حذف المبتدأ.....
١٣٣	٣- حذف الفعل والفاعل معًا، والإبقاء على المفاعيل
١٣٤	٤- حذف الخبر.....
١٣٥	رابعًا : الحذف في التركيب الشرطي...
١٣٥	حذف جواب الشرط.....
١٣٥	خامسًا : حذف الفضلات والمكملات...
١٣٥	١- حذف المفعول به.....
١٣٩	٢- حذف الموصوف.....
١٤٠	٣- حذف المنادى.....

١٤١	٤- حذف الصفة.....
١٤١	٥- حذف المضاف.....
١٤٢	سادسًا : حذف شبه الجملة.....
١٤٢	١- حذف الجار والمجرور.....
١٤٣	٢- حذف الظرف.....
١٧٠ - ١٤٥	الفصل الخامس : الاعتراض.....
١٤٥	تمهيد.....
١٤٦	الاعتراض في ديوان الشريف المرتضى.
١٤٨	١- الاعتراض بين الفعل والمفعول به
١٥٣	٢- الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر
١٥٤	٣- الاعتراض بين الفعل والفاعل.....
١٥٤	٤- الاعتراض بين المبتدأ والخبر.....
١٥٧	٥- الاعتراض بين الفعل ومتعلقه.....
١٥٩	٦- الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
١٦٠	٧- الاعتراض بين القول والمقول
١٦١	٨- الاعتراض بين خبر الناسخ واسمه
١٦٢	٩- الاعتراض بين متعلق الخبر المحذوف واسمه.
١٦٤	١٠- الاعتراض بين الصفة والموصوف
١٦٥	١١- الاعتراض بين الفعل والمفعول المطلق.

١٦٦	١٢ - الاعتراض بين فعل الشرط وجوابه
١٦٨	١٣ الاعتراض بين الصلة والموصول . .
١٦٩	١٤ - الاعتراض بين الحال وصاحبها . .
١٧١ - ١٨٤	الفصل السادس : القصر
١٧١	تمهيد
١٧٣	القصر في ديوان الشريف المرتضى . . .
١٧٣	أولاً : القصر بالنفى والاستثناء
١٨٠	ثانيًا : القصر بـ (إنما)
١٨٢	ثالثًا : القصر بالعطف بـ (لا، وبـ، ولكن)
١٨٥ - ٢٠٢	الفصل السابع : الالتفات
١٨٥	تمهيد
١٨٦	الالتفات في ديوان الشريف المرتضى . .
١٨٧	أولاً : العدد
١٨٧	١ - الالتفات من ضمير الواحد الى ضمير الجمع .
١٨٩	٢ - الالتفات من ضمير الجمع الى ضمير الواحد .
١٩٠	٣ - الالتفات من الجمع الى المثنى
١٩١	٤ - الالتفات من المثنى الى الجمع .
١٩٢	ثانيًا : الضمائر

١٩٢	١ ، ٢ - الالتفات من ضمير التكلم الى ضمير الخطاب، ثم من الخطاب الى التكلم. . .
١٩٣	٣ - الانتقال من ضمير الغياب الى ضمير الخطاب.
١٩٥	٤ - الانتقال من ضمير الخطاب الى ضمير الغياب.
١٩٥	٥ - الانتقال من ضمير التكلم الى الغيبة. . . .
١٩٧	ثالثاً : التذكير والتأنيث.
١٩٧	١ - الإخبار عن المؤنث بالمذكر / الغزل بالمذكر.
١٩٩	٢ - الالتفات من ضمير الإناث إلى ضمير الذكور.
٢٠١	٣ - الالتفات من ضمير الذكور إلى ضمير الإناث.
٢٠٣ - ٢٠٤	الخاتمة.
٢٠٥ - ٢١٢	المصادر والمراجع.
٢١٣ - ٢٢٠	المحتويات.

من إصدارات مكتبة الأكراب



تباع كتبنا لدى المكتبات الكبرى :

دار المعارف - الأهرام - الأخبار - الجمهورية - الهيئة المصرية العامة
روزاليوسف ... ودار الأمل للكتاب ٢٨ شارع الدقي ت: ٣٣٣٥٩٧١٩